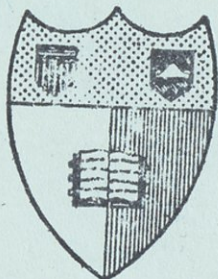


OLIN
DS
79
.9
B3
B38
v.1

CORNELL UNIVERSITY
LIBRARIES
ITHACA, N. Y. 14853



JOHN M. OLIN
LIBRARY

77
Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

78-962208

(vol. 1)

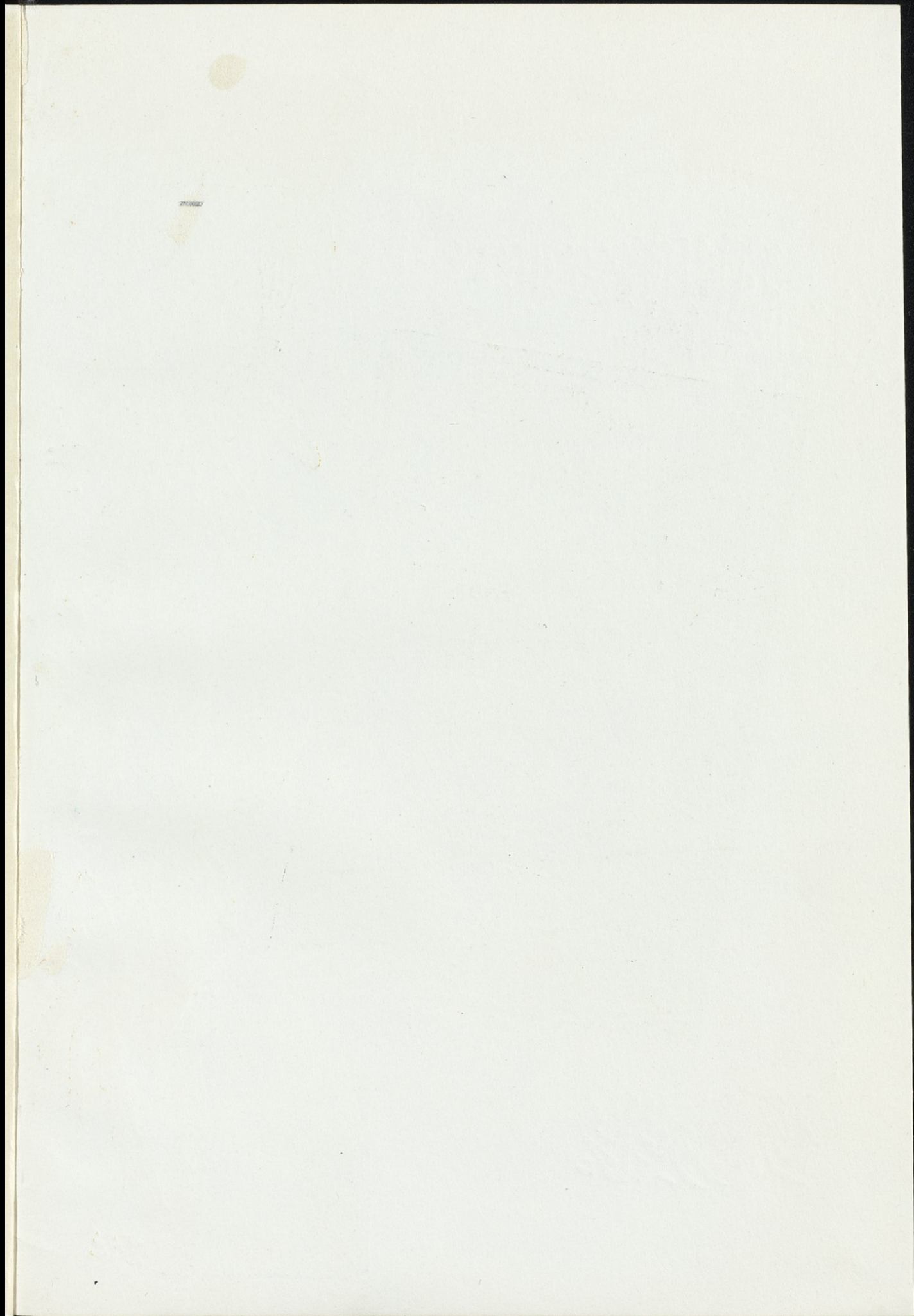
البصرة

في الفترة المظلمة
ومابعدهما



مكتبة يوسف الألكترونية

لنشر وترويج الكتب pdf
يوسف الرميض



من التاريخ والتاريخ

البصرة

في الفترة المظلمة

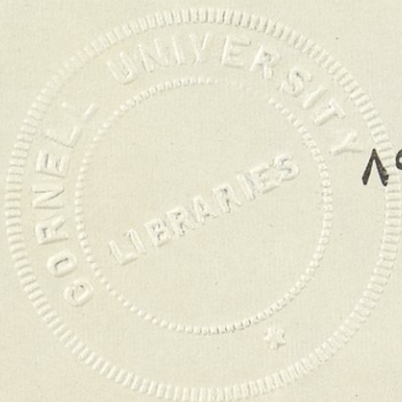
بقلم
حامد البازي

الناشر
دار منشورات البصري

بغداد

١٣٨٩ هـ - ١٣٦٩

مطبعة دار البصري - بغداد تلفون ٨٩٢٧٩



al-Bāzī, Hamid
al-Basrah fi --



+

المقدمة

زعما الاجيال وقوادها هم من ابنائها المفكرين الذين اعطوا ميزات لم تكن موجودة في غيرهم .

والامة التي تنجب اكثر عطاء هي الامة التي تكون اكثر مجداً وسؤدداً .
والامة العربية من اكثر الامم ولادة للبناء والاحرار ورجال الفكر والعلم
والمعرفة فهي وفي بقعتها هذه انجبت الانبياء والاولياء .

ونحن نقيس عظمة الشعوب بمقياس اعمال ابنائها فهي سجل خلودهم ولا اظن
ان احداً من المثقفين وغيرهم قد نسي بان قرطبة وبنفداد والقاهرة والبصرة
والكوفة وواسط والفسطاط وغيرها من المدن هي من صنع أيدي ابناء العرب .
والبصرة هي الحاضرة العربية الاسلامية التي انجبت اعظم الرجال من حملة
السيوف والاقلام من رجال الحرب والعلم .

رجال الطب والهندسة والفلسفة والحكمة والشعر والحديث حتى سميت بقبة
الدينيا ومحراب الخليل وبلد اخوان الصفا .

فالبصرة مدينة عربية خالدة بالرغم مما اصابها من خراب ودمار !!

تعالوا نسأل التاريخ كم مرة احترقت البصرة ؟

كم مرة هاجمها الزنج والبدو والخوارج والقرامطة ؟

كم مرة هدمت بيوتها وسفكت دماء ابنائها ؟

وهي بالرغم من ذلك خالدة تنتقل من قلب الصحراء الى محل قريب من دجلة

العوراء (شط العرب) لتعطي لابنائها من قوة المياه ما يساعدهم على الجد والعمل .

* * *

ونحن وفي هذا الوطن العربي الكبير الذي نعيش فيه
فانني لافتخر أن اكون احد ابناء هذه المدينة الكريمة .
افتخر بالبصرة بلا اقليمية فهي بقعة من ارض وطني العربي العزيز .
ووفاء لهذا الفخر وهذا الاعزاز
وخدمة لبلدتي الحبيبة كعبة العلم ومهد العرفان .
فقد تقدمت لأطرح الى المجتمع العربي هذا السجل البسيط معبراً فيه عن
معنى الحب .

انقدم وأنا لا ادعي العصمة للتاريخ حافل بالاحداث التي الى الآن لم
يكشف النقاب عن بعضها أو جاءت المصادر عنها متضاربة ولذا فانني بمباحثي هذه
رجعت الى ما يتحقق عندي صحتها وذلك بعد أن انظر الى المؤرخ او المتحدث
او محقق البحث .

ومواضيع هذا الكتاب كنت قد نشرت اكثرها في مجلة التاجر الغراء
وجريدة النهار الغراء وكل من جريدتي الحياة والبريد وكلها صحف بصرية .
وقد اطلقت لفضة الفترة المظلمة للعمومية علماً بانني في قسم من بعضها كنت
قد تحدثت عن أزمنة سبقت هذه الفترة او أعقبها .

والفترة المظلمة في تاريخ البصرة تحدد من سنة ٩٤٥ هـ الى سنة ١٣٣٣ هـ .
١٥٣٨ م الى ١٩١٤ م .

والبحت التاريخي عن هذه المئات الاربع من تاريخ العراق عامة وتاريخ
البصرة خاصة لزيد وشيق للقاريء والسامع حيث ان أخبار هذه الحقبة من الزمن
كان مطموراً وبعضه لا يزال في طي المخطوطات والسجلات والمدكرات وكان
شوقي للبحث والتاريخ قد دفعني الى ان أحمل المشاق وأجشم المصاعب لاستقصي

التاريخ وأنا أقضي الليالي والايام منهم كما بين الكتب والمكتبات والاتصال بالناس
والعلماء والمعمرين لا حصل على اخبار ذكر بعضها في مصدر واحد او جاء على لسان
واحدة مرة واحدة أو هو لا يزال محجوزاً في مكتبات احد من الناس .

هناك من الناس من اختزن الكتب القديمة والمخطوطات وراح يفتخر أنه
يمتلك مثل هذه ولكنه لم يساعد أحد البعثات على تكملة بحثه ولا هو يريد أن
يخرج ما هو مدون في المخطوطات الى المجتمع ليعرف الناس ما هناك من أحداث .
أما أنا فله الحمد لم يساعدني احد من الناس على البحث او اعطاني أي مصدر
سوى ما قدمه لي المرحوم صبري افندي أمين صندوق البصرة وهو بعض المذكرات
كما وانني في نقلي وكتابتي ومراجعة المواضيع لم احصل على مساعد سوى
ما كانت تقوم به ابنتي استقلال من تبيض بعض المسودات ونقلها ومناولتي
الكتب والمصادر التي اريدها وكنت لا أريد ان اشغلها عن دروسها
فلها مني الشكر .

أما فكرة التحدث عن الفترة المظلمة فكانت تراودني منذ عدة سنين واذكر
انني والسيد غالب الناهي كنا نتحدث عنها ونود لو أن أحداً يقوم بها فيكنت
أنا ذلك الأحد .

وكذلك ساعدني المرحوم عبود الشبر فهو كان يشجعني على المضي في هذه
البحوث وكان الأخ كثير المدح لي على طريقة العصر الحديث وهو ان اشاعة
مدح الشخص في نوع من العمل تجعله يندفع به واليه .

ولقد قسمت تاريخ البصرة الى قسمين الأول يبحث عن هذه المدينة الخالدة
من قبل أن يؤسسها المسلمون سنة ١٤ هـ الى سنة ٩٤٠ هـ .

وسيصدر في جزءين أعددت مسودتهما عندي .
والقسم الثاني يبحث عن تاريخ البصرة في الفترة المظلمة وهو هذا الذي
أضعه بين يدي القاري .

ولربما يتساءل البعض عن سبب تقديمي القسم المتأخر من تاريخ البصرة
وتأجيلي التاريخ المتقدم منها . . . ولكن الأخ المتساءل سيكون معي عندما
يعرف بانني جئت بالبحث المتأخر لعموض حوادثه وعدم سرد التاريخ لها فقد
التقطت أخبار هذه الفترة من مصادر أكثرها لم تدخل المطبعة لحد الآن ولقد اخذ
الأخ علي البصري علي عاتقه اخراجه للقراء .

هذا وأرجو أن اكون قد وفقت لخدمة امي ووطني وبلدتي والتاريخ والله
نسأل ان يوفق الجميع الى ما فيه خدمة الشعب ومنه العون وبه الرجاء والسلام .

حامد البازي

البصرة في ١٤ / ٩ / ١٩٦٩

كلمة الناشر

سمعت بالاخ حامد البازي انه يكتب عن البصرة ، ويكتب حوادث غامضة
ومسلية عن فترة من فترات البصرة المظلمة ، وكم وددت أن اقرأ هذه الابحاث
لأنني احب البصرة حيث فيها ولدت وترعرعت وفيها دفنت اخوتي واخواني ثم
والذي وخرجت منها مرغماً . واخيراً علمت انه ينشر جل ابحاثه في مجلة غرفة
تجارة البصرة التي يهيمن عليها الاخ جواد الشيخ حسين . وكم وعدني هذا بارسال
المجلة إلي ببدل الاشتراك او على حد قوله بالمبادلة فتبين انه يأخذ ولا يعطي
واخيراً اثبتت من وعوده فبحثت عن الاخ البازي ، واذا به هو ايضاً يبحث عني
بنية طبع ابحاثه في كتاب مستقل .

والتقينا عدة مرات وطلبت منه تنسيق الابحاث بعد جمعها والحصول على
الصور اللازمة ، وفي فترة قصيرة جهز كل شيء وقبل أقل من شهر دفع لي
المسودات مع الصور و (الكلايش) وقد أجاز لي التصرف بكتابه وانه لا يريد
جزاء ولا شكوراً وانما يكتبني بكمية من النسخ يحتفظ بها لأصدقائه . وغاية قصده
اخراج الكتاب الى الوجود كي يبقى له ذكراً للمستقبل فما يكتب في القرطاس هو
الذي يبقى للكاتب ذكراً ابدياً يخلده في بطون التاريخ .

هذا وارجو ان اكون قد أدت قسماً مما يترتب علي في خدمة البصرة ، استمد

التوفيق من الله تعالى فهو نعم المولى ونعم النصير .

الناشر

علي البصري

بغداد في ١٤ / ١٠ / ١٩٦٩

صاحب دار منشورات البصري في بغداد

البصرة

معنى البصرة وتأيسرها :

روايات عديدة عن معنى هذه التسمية . .

قال البلاذري في ص ٣٤٣ من فتوح البلدان : انها سميت بالبصرة لأن فيها
حجاراً سوداً او أن حجارتها كانت رخوة ضاربة الى اليباض .
وقال ياقوت في ج ٢ ص ١٨٣ من معجم البلدان : انها في كلام العرب
الأرض الغليظة .

وفي لسان العرب مادة - بصر - هي الحجارة الرخوة البيضاء او الصلبة السوداء
وقال ابن الغفيرة في ص ١٨٧ من البلدان : انها الحجارة الصلبة .

وقال الجوهري في التاج في مادة - بصر - والبصرة بلد معروف . . واسم
البصرة قديماً تدمر والمؤتفكة لأنها ائتفكت باهلها أي انقلبت في الزمن الأول
وقال العلامة هارتمان في ج ٣ ص ٦٦٩ من دائرة المعارف الاسلامية : انها
كانت تسمى قديماً (ترذن) و كان اليونانيون قد بنوها حينما استقروا به - دغزو
الاسكندر للشرق فاطلقوا عليها اسم ترذن وهي في محل يبعد عن الماء فراسخ ثم
بنوا (الابله) لتكون مرفأ لها .

وتحدث ياقوت مرة اخرى لقيول ان المثنى بن حارثة الشيباني هاجم مدينة
فارسية اسمها (دهشتاباذ اردشير) وخربها فلما فتح العرب المنطقة سموها الخريبة
ثم اطلق عليها اسم البصرة .

ويقول الدكتور احمد كمال زكي في ص ٢١ من كتابه (الحياة الادبية في البصرة)

ولو رجعنا الى الورا . . الى ما قبل الفتح الاسلامي لاقليم العراق وجدنا لفظه
(بصريانا) في الآرامية وردت في نبذة نقلها المستشرق (لسترنج) في عرضه
لكتاب جغرافي لابن سراييون .

وقال: ويرى الباحث ان (بصر) بالكلدانية هو الجزء الضعيف و(بصريا)
و (بصري) تعني الافنية و (بتصري) و (باصري) و (باصرا) محل الاكواخ
وانا مع الدكتور عندما يرى بأن هناك شدة تقارب بين هذه الالفاظ
الكلدانية والاسم الجديد العربي الاسلامي لمدينة البصرة .

ولنرجع الى ياقوت ايضا حيث يقول : انها كانت يوماً ما تسمى (سي راه)
ومعناها بالفارسية الطرق الثلاثين . وربما كانت الطرق نهرية اكثر مما هي برية .
ويكاد يكون الاجماع تاماً على انها اسست سنة اربع عشرة للهجرة بعد معركة
القادسية كما يذكر ابن الفقيه انها مصرت سنة ١٦ هـ .

أما الغاية من تأسيسها فهو واضح حتى ان العلامة هارتمان يتفق معنا بان
الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قصد ببناء البصرة ان تكون مركزاً للجيش
الزاحف لبث الدعوة .

وحيثما تقدم عتبة بن غزوان للفتح اصطدم بالفرس عدة مرات ثم هاجم
الابله التي كان يسكنها الاجانب ولكن ليس ذلك ان هذه المنطقة كانت خالية
من العرب فلقد ذكر الطبري في ج ٢ ص ٢٨ من تاريخه وذكر ابن الاثير في
ج ١ ص ١١٦ من تاريخه بان عدة قبائل من اولاد معد بن عدنان كانوا قد
هاجروا من الحجاز ايام بختنصر فسكنوا منطقة جنوب العراق .

وكان بختنصر قد خافهم فاسكنهم حران ثم الأنبار والسواد بمرور الزمن

سكنوا منطقة البصرة .

ويذكر المسعودي ان تبس بن حمير انزل بعض الضعفاء من قومه المنطقة الجنوبية من العراق وفي الابله وعلى هذا يكون العرب قد سكنوا منطقة البصرة قبل المسيح بثمانية قرون .

وكانت البصرة تسمى ارض الهند حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قال لعتبة بن غزوان اني اريد ان اوجهك الى ارض الهند لتمنع اهل تلك الجيرة من امداد اخوانهم على اخوانكم .

استنتجا من هذه بيان لنا بان منطقة البصرة قبل الفتح الاسلامي كان يسكنها خليط من الناس منهم الفرس والزط والهنود .

وقد ذكر المؤرخون بان العرب في اول بناء البصرة كانوا لا يكادوا أن يخرجوا من بيوتهم واحياهم حتى يجدون انفسهم اقلية بين اقوام من غير العرب وكان سكان هذه المنطقة من الزراع ولكن بعد تمصير البصرة والاستقرار بدأت التجارة تأخذ دورها في حياة الناس وهكذا اجتمعت مقومات العيش السعيد من زراعة وتجارة لانباء المنطقة الذين وصفهم انس بن حجية قائلا : لقد انشأت عليهم الدنيا فهم يبيون الذهب والفضة .

ويقول البلاذري ان الصحابة والفقهاء والزهاد والنسك انصرفوا الى التمتع بالنعيم فاقتنى انس بن مالك قصره الضخم وهو في الزاوية عند الطفوف كما يقول اليعقوبي في ج ٢ ص ٣٣٨ من تاريخه ان راتب امير البصرة خالد القسري بلغ عشرين الف الف درهم .

وتحدث ابو الفداء في كتابه تقويم البلدان فقال ان البصرة مدينة اسلامية

بنيت ايام عمر بن الخطاب (رض) وفي غرب البصرة وجنوبها جبل سنام كما تحيطها من غربيها وجنوبها البرية كما فيه وادي النساء حيث يظهرن النساء ليلتقطن الحكاة .

وسنام عن البصرة نحو نصف مرحلة وليس في بركة البصرة مزروع على المطر اصلا . ومرشد البصرة محلة عظيمة من جهة البر كان يجتمع فيها العرب من الاقطار يتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون .

وقال ابن قتيبة في ج ١ ص ٢١٦ من عيون الاخبار : قست البصرة في ولاية خالد القسري فوجدت طولها فرسخين .

وقال الطبري ان عدد سكان البصرة بين ٣٠٠ - ٤٠٠ الف نسمة وان عدد جيش البصرة المحارب في خراسان كان اربعين الفاً .

وقال النووي في ج ١ ص ٣٧ من كتابه تهذيب الاسماء واللغات : البصرة بفتح الباء البصرة المشهورة وفيها ثلاث لغات فتح الباء وضمها وكسرهما وافصحهن الفتح .

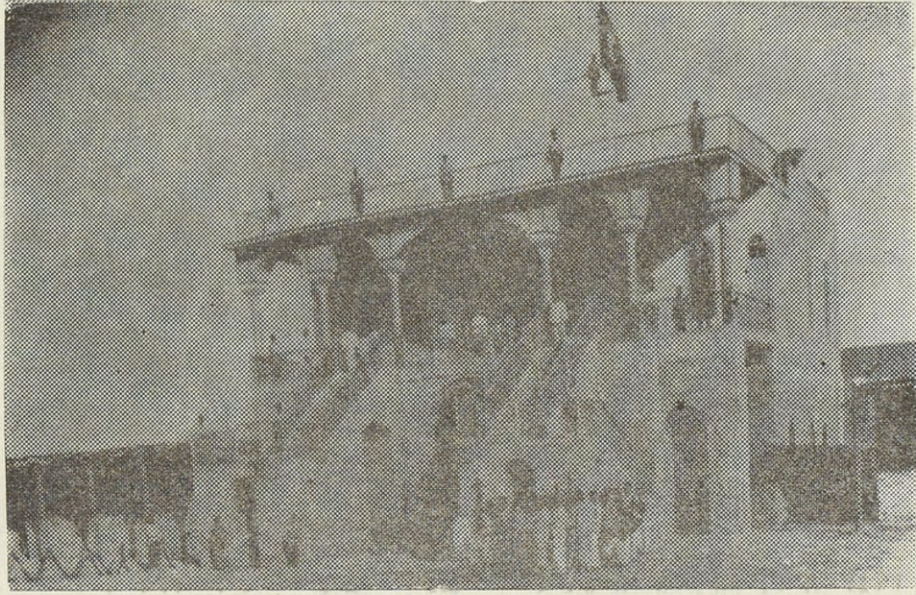
وقال السمعاني : البصرة قبة الدنيا بل قبة الاسلام وخزانة العرب ولم يعبد في ارضها صنم والنسبة اليها بصري .

ويقول الجاحظ في ج ١ ص ٣٤٠ من كتابه البيان والتبيين ان الهذلي كان يفاخر بالبصرة فيقول للكوفيين نحن اكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا ونهراً عجاجا وكان خالد بن صفوان يفاخر الكوفيين فيقول : منابتنا قصب وانهارنا عجب وسماؤنا رطب وأرضنا ذهب .

ويروي صاحب مروج الذهب عن الفتيات البصريات بانهن ذوات الألسن

العذبة والقُدود المهففة والاصداغ المزرفنة والعيون المكحلة
والثدي المحقفة .

هذه نبذة قصيرة سميتها هنا للتعريف بمعنى اسم هذه المدينة العربية الاسلامية
الخالدة التي سنتحدث عنها في فصولنا القادمة من هذا السجل العظيم .



﴿ قشلة البصرة سنة ١٩٠٦ ﴾

تجارة البصرة

مع تطور الزمن

ماذا قال عنها الرحالة؟ صكوك البصرة ومصارفها قبل الف سنة 11

أول باخرة رست في شط العرب .

أول تاجر اشترى الصوف العراقي وصدره عن طريق البصرة :

بتاريخ ٢٠ شعبان سنة ٤٤٣ هـ ٢٨ كانون الاول سنة ١٠٥١ م زار البصرة
الرحالة الابراني ناصر خسرو المولود في بلدة - قباديان - من اعمال بلخ
سنة ٣٩٤ هـ - ١٠٠٣ م
وقد مكث هذا الرحالة في البصرة ٥٤ يوماً حيث بارحها في ١٣ رمضان
سنة ٤٤٣ هـ ٢٠ شباط سنة ١٠٥٢ م .

وكان ناصر خسرو قد ألف رحلته هـ - هذه في كتاب سماه (سفرنامه)
وهو بالفارسية ولكنه ترجم الى العربية كما سبق وان ترجم الى التركية والفرنسية
ولسنا الآن بصدد التحدث عن بعض الاخطاء والاهام التي وقع بها الرحالة
المذكور وخاصة عند تحدّثه عن انهار البصرة ولكنه كان موفقاً في وصفه لتجارة
البصرة وطرق البيع والشراء والصيرفة والصكوك وكيفية صرفها .

وفي أحد احاديثه قال : ان السوق في هذه المدينة تنصب في ثلاث جهات
يومية . ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة وفي الظهر في سوق عثمان وفي

المغرب في سوق القداحين . وهكذا كل يوم .

أما عن كيفية الصرف والبيع والشراء فقال : « كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكاً . ثم يشتري ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف وفي هذه الطريقة لا يستخدم المشتري شيئاً غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة » . ان هذا الوصف يبين لنا بان المشترين وزوار البصرة ورواد أسواقها قبل عشرة قرون كانوا لا يستعملون النقود في معاملاتهم اليومية في كل شيء بل انما يودعون أموالهم عند الصرافين وفي المصارف ويأخذون منهم اقراراً بتسلمها ويستلمون الصكوك للشراء ويدفع قيمتها لأصحاب المصارف الى البائع على شكل حوالة .

أما الرحلة (مدام ديولا فوا) التي زارت البصرة في ٣ أيلول سنة ١٨٨١م فهي في وصفها للبصرة تقول انها بندقية الشرق ذات البيوت المخرتفة تحت ظلال غابات النخيل وأشجار الليمون والموز .

ثم ترجع الى تجارة المدينة فتقول بانها شاهدت اكداس الجبوب وخاصة الخنطة وهي تملأ الساحات كما شاهدت التمر الذي سمته بالثمرة اللذبة السكرية ذات الشهرة العالمية والتي لها اسواق رائجة في العالم حيث تصدر من البصرة في سلال وأقفاص تصنع من الجريد وسعف النخيل اللين وتحمله السفن الشراعية العديدة .

وكان كلام (مدام ديولا فوا) يؤيد ما قاله الرحالة (انجهوات) الذي زار البصرة في تشرين الثاني من سنة ١٨٦٦م فقال : ان تمر البصرة الكثيرة ترسل الى اوربا بالسفن الشراعية التي تقف في شط العرب .

وكذلك ذكر الرحالة (فونتانيه) في رحلته بان بان في كل سنة ترسو في

شط العرب اكثر من ١٥٠ سفينة شراعية تسمى كل واحدة (بغلة) فتحمل
التمور ومعدل حمولة كل سفينة (٦٠ طنا) ويبلغ قيمة هذه الصادرات اكثر من
مليونين فرنك .

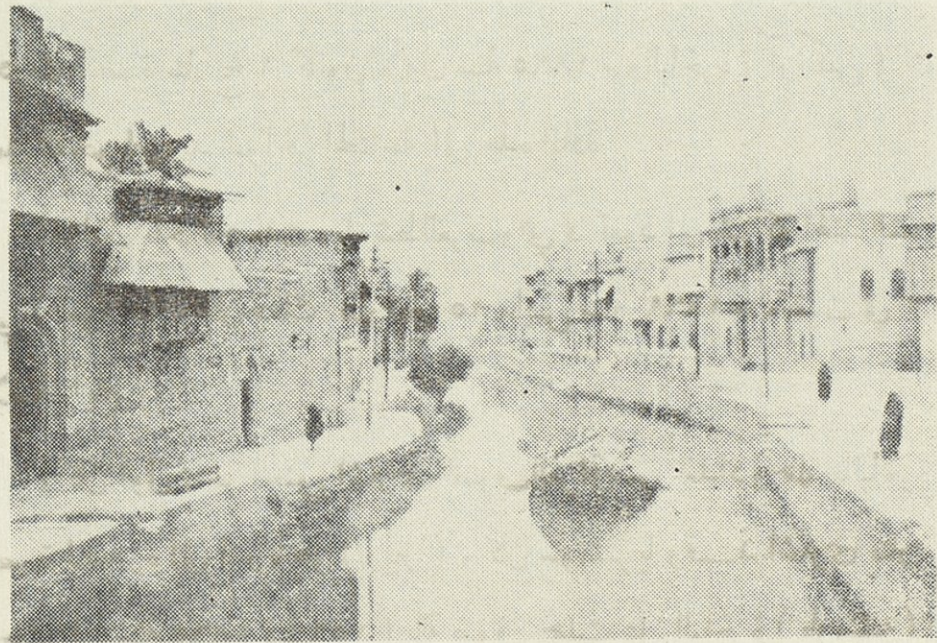
كذلك يذكر (فونتانيه) بانه انحدر من بغداد الى البصرة بالباخرة المسماة
(وفريتس) وهي كما اظن أنا بأنها كانت تابعة الى بعثة (جنسي) وهي أول
باخرة جربت حظها في نهر دجلة كما كانت شركة الهند الشرقية قد جلبت بعض
البواخر لنقل البريد وكانت من أشهر تلك البواخر (هيو لنديسي) التي يقال
بأن اهل القرنة اضطربوا لما رأوها لانهم لم يتعودوا على مشاهدة باخرة وعلى
هذا تكون شركة الهند الشرقية أول من قام بتسيير البواخر التجارية في دجلة
أما البواخر البحرية التي كانت ترسو في شط العرب فاهمها (بار مانتيه) التي
غادرت البصرة بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٨٦٥ م والباخرة (آشور) التي
غادرت البصرة بتاريخ ٦ كانون الأول سنة ١٨٦٥ م والباخرة (آراكس) كانت
تحمل الفحم لتزويد البواخر المحتاجة الى هذه المادة .

أما اول باخرة دخلت مياه شط العرب وهي لا تعود الى شركة الهند الشرقية
فهي (مولا) وكان ذلك بتاريخ ١٥ مايس سنة ١٨٦٩ م وبقيت في الشط
ثلاثة أيام .

وكان أول تاجر اجنبي اشترى الصوف العراقي من بغداد وحمله بالباخرة الى
البصرة ليصدره الى اوربا هو (ويير) وكان سويسريا وقد اشترى بتاريخ
٦ حزيران سنة ١٨٦٥ م (١٥٦) بالة صوف حملت على الباخرة (بارمنتيه) التي
غادرت بغداد في ١٩ تموز سنة ١٨٦٥ م قاصدة البصرة .

ومما تجدر الاشارة اليه ان البصرة كانت تدخها السفن الشراعية القادمة من اليمن وموانيء البحر العربي وخليج البصرة وكانت تسمى (الخشب) كما هناك نوع (البتيل) ثم (البغلة) ولكن التجار الكبار كانوا يفضلون تحميل بضائعهم على ظهر البواخر عوضاً عن السفن - بالرغم من رخص السفن - وذلك لسرعة وصول البضائع كما كانوا يطلبون ضمانا من شركات التحميل وكان هذا الضمان يسمى (شوكرانس) الذي نسميه في هذا الوقت - سيكورتا - واللفظتان مأخوذتان عن الايطالية وكان أول ضمان قيل انه جرى لتجارة حملت من كالكتا الى البصرة سنة ١٨٢٥ م وكان مقدار السيكورتا خمسة بالمائة .

ويقول ماسينيون في - ص ٣١٢ من كتابه - اثر الاسلام في تأسيس ونشاط المصارف اليهودية في القرون الوسطى - بان الصيرفة كانت في البصرة اولا بيد النصارى ثم انتقلت الى الايدي اليهودية وذلك لأن كلا من الطرفين



﴿ منظر داخل مدينة البصرة ﴾

كان يتعاطى الربا .

وكانت العينة منتشرة في البلاد الاسلامية ويذكر الجاحظ في ص ١٢٤ من كتابه (البخلاء) بان ابا سعيد المدائني كان من كبار المعينين ومياسيرهم في البصرة ولربما يتساءل البعض عن معنى العينة فهي ان يبيع الشخص سلعة بثمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به .

وهناك طريقة ثانية للعينة وهي ان الدائن يشتري للمدين بضاعة بقدر معلوم ويدفع ثمنها الى التاجر الذي يأخذ حصته بالنسبة للبضاعة ويعيد الباقي الى المدين .

وسميت عينة من الاعانة حيث يحصل النقد للمحتاج ان المال هو المعين . . .
وكانت هذه المعاملات تجري يومياً بين عدد كبير من التجار الصغار والكبار وخاصة في الفرض والاسواق البحرية حيث تنزل البضائع وتباع من واحد الى الآخر وكان من اشهر تلك الاسواق البحرية (سوق الكلاء) الذي اندثر فكان ان يقول فيه الشاعر مسلم بن الوليد :

ضللت في فريضة الكلاء مكتئباً ابكي عليها بعين دمها سرب

وكذلك ذكرها ياقوت في الجزء السابع ص ٢٦٨ من معجم البلدان فقال :
اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة ايضاً .

كما جاء في ج ١٨ ص ٧٢ من لسان العرب وفي مادة بدا قوله : ﴿ لم تلهه السوق ولا كلاًؤه ﴾ .

وكان الجزء الرابع من كتابه (النهاية في غريب الحديث) قد تطرق الى حديث انس بن مالك القائل : اياك وسباخها وكلاًها ويعني بذلك البصرة .
وكان يسكن البصرة عدد كبير من التجار الحلبيين الذين جاءوا مع اواخر

القرن السابع عشر الميلادي والذين تحدث عنهم الرحالة - بارسنس - الذي أقام في البصرة نحو من ثلاثين يوماً سنة ١٧٧٤ م فقال بانهم يجلبون الى البصرة أموالاً اوربية ترد حلب عن طريق البندقية كما كانوا يجلبون اللؤلؤ من البحرين والبن من اليمن .

وكذلك - فونتانيه - وهو الرحالة الذي كان قنصلاً لفرنسا بالبصرة سنة ١٨٣٨ م كتب رحلته في كتاب سماه « رحلة الى الهند والخليج الفارسي » فقال ان علاقة البصرة بمدينة كلكتا الهندية قوية جداً فهي تصدر اليها البضائع الاوربية كما تصدر المرجان والاولاني وخاصة الطينية منها والتي تسمى (غليون) .

ومن أشهر الحلبيين الذين سكنوا البصرة ميخائيل عبود الذي مكث فيها ثلاث سنوات من ٢٤ كانون الثاني سنة ١٨١١ ثم غادرها الى كلكتا في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨١٤ م وقيل انه ترك اخاه يوسف عبود في البصرة ليدبر أمواله التجارية ونزل ضيفاً في كلكتا على التاجر الحلبي فتح الله حنا أصفر ولكن ميخائيل هذا توفي بدار فتح الله بعد شهر من وصوله كلكتا وذلك في ٣٠ تموز سنة ١٨١٤ م .

وكان ميخائيل اثناء مكوثه في البصرة قد سجل في مذكراته كل الحوادث التي جرت ومن طرائف مذكراته قوله :

١ - في ٨ نيسان سنة ١٨١١ م وصل مركب يوفرتس - ويسمى الفرات - الى البصرة بسلامة .

٢ - في ٦ حزيران من السنة نفسها توجه مركب السلطاني الى بنغاله .

٣ - في ١٢ كانون الثاني سنة ١٨١٢ م ورد البصرة جملة خشب من البحرين وفيها أموال .

٤ - في ٣٠ ايلول من السنة نفسها كانت القهوة تنباع - تباع - على العطارين والتجار ليس لهم رغبة بها . واليلدز (عملة تركية) في ٦ وربع وخمسة ريال فرنسه
٥ - في ٢٦ تشرين الاول من نفس السنة بهذه الايام انطلب الذهب - طليية على الذهب - وصعد الى سعر ٦ ونصف عين .

وكان التجار والصرافون في البصرة يتعاملون بحساب - الاقجة - وهذا نقد ظهر ثم اندثر ولكنه بقي كوحدة في المعاملات ، وكانت كل ثلاث اقجات تساوي بارة وكل اربعين بارة تساوي قرشاً وكل مائة قرش يساوي ليرة ذهبية وكذلك الشامي كان يدخل في المعاملات ويقال انه كان يسمى قرشاً قبل ضرب الليرة الذهبية العمانية .

والبعض يسميه قرش رومي وكان كثير الاستعمال في معاملات التمر وقد زيدت قيمته بعد ذلك فاصبح يعادل تسعة قروش .

وعلى سبيل المثال نقول ان بدل التزام بعض مقاطعات البصرة سنة ١٨٦٦ م كان حسب ما يلي :

مقاطعة الفياضية ٥٠٠٠ شامي ، ويوسفان ١١٣٠٠ شامي ، وكوت الفرنسي
٢١٥٠ شامي ، والكباسي ٣٥٥٠ شامي ، وكتيبان ٣١٥٥٠ شامي .

وكان بدل الالتزام يدفع على اربعة أقساط يتتديء من اول كانون الاول
أما الدلاية فتدفع نقداً .

أما طريقة تبادل السلع فقد استعملت قديماً طريقة المقايضة كما كانت تستعمل
طريقة دفع السبائك الفضية والذهبية وهي تدفع بالوزن . وكان المقدسي قد تحدث
عن هذه الطريقة مما يدل لنا بأن النقد الورقي كان قليلاً كما كانت وسائل السكة

عديمة أو صعبة وقليلة .

ويقول (لافوا) في الجزء الأول ص ٧ من كتابه النقود الاسلامية بان
أقدم نقود سكة في البصرة هي التي سكتها الامام علي بن ابي طالب (ع)
وذلك سنة ٤٠ للهجرة .

ولكنه يقول بان البصرة عرفت النقود سنة ٢٥ هـ ولم تكن تلك النقود
باسلامية كما وان عبيدالله بن زياد ضرب بالبصرة سنة ٥٦ هـ سكة كانت عليها
كتابة بالعبرية لأن العمال كانوا من اليهود .

ويقول بيريه في ص ٢٥٧ من كتابه (الحجاج) بان في سنة ٨٦ هـ اسهم
الحجاج في ايجاد سكة عربية خالصة حيث نقشت السكة البصرية بالنقوش
والكتابة العربية .

ومن انواع هذه النقود هو الدينار والدرهم والطنسوج والدانق والفلس والحبة
ومما تجدر الاشارة اليه ان الفلس البصري كان اكبر الفلوس العربية حجماً .
اما الكيل والمقاييس في البصرة بعد أن كثرت تجارتها وتوسعت رقعتها
فكانت - الذراع الهاشمية - للقياس المحلي كما كان يستعمل الفرسنج في اكثر
قياسات المسافات الطويلة .

ومن أهم المكييل - القفيز - وهو ثلاثون مناً - والمكوك - وهو حسب
ما يقول شارل بلات كان خمسة امنان . اما الحاجري فيقول انه يسم صاعاً ونصفاً
او نصف رطل الى ثمان آواق وكذلك تستعمل الكيلجة والرطل والدرهم الذي
يقول عنه الاستاذ الكرملى بأنه مأخوذ من اليونانية حيث يسمى (دراخمي) .

ثم هناك القيراط والدانق والحبة وهي اصغر مقياس للاوزان .

وهذه الاوزان تطورت مع مكاييلها فكانت - الوقية والحقة والدرهم -
وكذلك المن البصري والقطار والكاراة البصرية التي هي كاراة كبيرة و كاراة صغيرة
وفي رجوعنا الى بعض مسميات البصرة (مطرح البر) نقدر أن نقيس
مقدار اتصال هذه المدينة الخالدة بالمدن البحرية فحيث عندها تطرح الاحمال الآتية
من جميع انحاء العالم كما تصدر منها البضائع سميت - بالمطرح - وزيد عليها
- البر - حيث هذا اللفظ بحري يطلق على اليابسة التي ينزل عليها البحارة
للتفريغ والتحميل .

ولقد جاء في مادة - سوق - من دائرة المعارف الاسلامية بان المراد وهو
خارج البصرة حيث تحط القوافل اصبح مركزاً للفعالية التجارية البصريه .
وقال البلاذري في ص ٣٦٤ من فتوح البلدان بأن بلال بن ابي بردة احتفر
سنة ١١٠ هـ نهر بلال وجعل على جانبيه حوانيت ونقل اليها السوق حيث تباع
السلع الثمينة ومنها اللؤلؤ العمانى والياقوت الهندي والعقاقير الصينية والادم من
اليمن والجلود النمرية من الهند والحريير من الصين والبن من اليمن وكذلك تباع
الجواري والغلمان والخيول والطواويس والسروج والاوانى الخزفية .

وكان من محصولات البصرة ونواحيها الخبز والحناء و ثياب الكتان والبنفسج
والرمان وماء الورد والحريير والوسائد والديباج وحصر الحلفاء زيادة على التمور
والحبوب والفواكه التي كثرت حتى اصبحت البصرة من جنان الدنيا .

والى هذا المختصر الرشيد من هذا الموضوع المفيد نقف على ان لنا عودة
لمباحث اخرى تخص هذه الحضارة العربية الاسلامية البصرة مدينة الساج
والعاج والديباج والذهب الوهاج . .

البصرة قبة الدنيا

أول سايلو واول برج مراقبة يؤسسان في البصرة سنة ١٢٠٠ هـ

اسالة الماء قبل سنة ١٢٠٠ في البصرة . .

وزارة النفط في البصرة - أول مدرسة طب ومختبر حيواني . .

مصانع ضرب وصهر المعادن . . من هو الباليوز ؟

البواخر ترسو في شط العرب - البصريون يرفلون في الحضارة .

آل رزق من تجار البصرة . .

أول رئيس غرفة تجارة في العهد العثماني والعهد الوطني . .

كانت علاقة منطقة البصرة التجارية بالعالم قوية جداً حتى قبل تأسيسها حيث ان ارض (تردون) أو حسب التسمية الثانية (تدمر) أو (المؤتفكه) وهي البصرة الحالية - والتي كانت تدعى بارض الهند - كانت تتصل بالعالم المعروف وتتجر معه بریا وبحرياً ولكن تجارة البصرة كانت قوية اكثر مع بلاد الهند حتى ان الطبري في ج ٤ ص ١٤٨ من تاريخه يقول : « ان البواخر الهندية كانت ترسو في منطقة البصرة وكان عدد كبير من الهنود يسكنون هذه المنطقة » .
وعلى هذا الاساس جاء الجاحظ ليؤكد في رسائله بأن أهل البصرة لم يكونوا ليشتهون من النساء سوى الهنديات وبنات الهنديات .

أما العرب فقد سكنوا منطقة البصرة قبل حكم الاسكندر المكدوني باربعة قرون والمعروف عن الاسكندر انه حكم سنة ٣٣٦ قبل الميلاد ، وعلى هذا يكون العرب قد سكنوا منطقة البصرة قبل نحو من خمسة وعشرين قرناً بالرغم من أن سابور الفارسي المعروف - بندي الاكتاف - الذي خلع اكتاف العرب وأراد أن يشردهم عن منطقة البصرة ولكنهم ثبتوا وقالوا على لسان شاعرهم :

على رغم سابور بن سابور اصبحت قباب أياد حولها الخيل والنعم
حتى اذا جاء العرب مع الاسلام ومصرت البصرة حدثنا التاريخ ان المجتمع
البصري كانت تسوده الطبقة الارستقراطية تقابلها الطبقة الكادحة هذا من حيث
الزراعة ولكن طبيعة موقع البصرة الطبوغرافي شجع اهلها على العمل في التجارة
وذلك لما فيه من فائدة اعم واسهل وكثرة في الثراء على ان الزراعة وهي التي
تصاحب نشأة الامم - حيث هي من شعارات الاستقرار - جعلت من البصرة
جنة الدنيا حتى يروي البلاذري في فتوح البلدان بأن عدد انهار البصرة بلغت
يوماً ما ١٢٠ الف نهر فكانت الحبوب وكانت النخيل وكانت الثمرات والاعناب
والخضر واذا بهذه المدينة العربية الاسلامية الفتية في مدة قصيرة من عمر الزمن
هي القبة الخالدة .

ثم انشأت الجسور والطرق والاسوار والمعابر والاسواق وبنيت المستودعات
للخزن فكان اول سايلو أقيم في البصرة سنة ٢٠ للهجرة كما اقيمت الصواري
والعلامات البرية والبحرية ونظمت بروج المراقبة لارشاد السفن القادمة ونظمت
أمور التجارة فكان قضاة الصكوك والتجارة (كتاب عدل) حتى طبقت قوانين
البيع والشراء والمعاملات والعقود وتسجيلها للحفاظ على المعاملات .

ثم زادت من أهمية البصرة وجود النفط فيها وهو المادة التي عرفها الشعب الساسي منذ آلاف السنين حتى ثبت أن شوارع مدينة بابل واور كانت مبلطة بالقيير وتستضيء بالنفط .

ثم البيهقي في ص ١٨٢ من المحاسن والمساويء يقول بأن الدولة الاسلامية اهتمت بامور النفط الى درجة انها استحدثت وظيفة (وزير) او ما يسمى (والي) لمن ولي النفطات وعلى هذا الاساس نستمع الى الشاعر البصري عبد الصمد بن المعدل يعاتب احد اصدقاءه الذين عينوا لوزارة النفط فبات يثنيه بها :

لعمرى لقد أظهرت فيها كأنما توليت للفضل بن مردان منبرا
بمحفظ عيون النفط أظهرت نحوه فكيف به لو كان مسكا وعنبرا
دع الكبر واستبق التواضع انه فبيح بوالي النفط ان يتكبرا
وكان ابن جبير في رحلته الى العراق قد ذكر انه شاهد اراضي القير والنفط بين البصرة والكوفة وربما هي منطقة (المقيير) - الاور - وهي اكثر الاماكن ظهوراً له كما يقال ان ذي قار هو اسم لمحل يكثر فيه القير .

وبمناسبة تحدثنا عن هذه المنطقة نقول ان الرحالة (ديلافاله) كان قد كتب في رحلته الى الشرق بانه بوصوله الى (كوييده) بين البصرة والمقيير انه شاهد في هذا المحل رسوم الكبارك تؤخذ باسم شيخ هذه المنطقة واسمه عبدالله .

وقال : انه شاهد التبن (التبغ) وهو يرسم ولكنه لم يذكر لنا هل أن هذا التبغ كان مصدراً من جنوب العراق الى شماله أم بالعكس علماً بأن شمال العراق هو منطقة زراعة التبغ فاذا كان التبغ الذي شاهد ترسيمه الرحالة قد صدر من جنوب العراق الى شماله فيكون حين ذلك اما أن يكون تبغاً هندياً او ايرانياً

جاء عن طريق البصرة على أن البصرة عرفت زراعة التبغ أيضاً وصدرت منه الى محلات اخرى ولكن الى حد .

وكان (ديلافاله) قد زار البصرة سنة ١٦٢٥م ١٠٣٥هـ وتطرق الى البصرة و (كويده) وهو على خلاف حديث الرحالة (نيبور) الذي قال بان بين البصرة القديمة وجبل سنام واد خصيب كثير الخضرة يدعى وادي (سيد سبان) وان اكبر قراه (كويده) التي حرقها الناس الى الخربة .

واذا ابتعدنا اكثر نستمع الى الطبري في ج ٤ ص ١٤٨ يقول : بان تجارة البصرة قبل تأسيسها كانت متمر كزة في منطقة الابله منذ عهد الاسكندر ثم السلوقيين فالاشكانيين وبعدهم الفرس وبقيت الابله مرفأ السفن الآتية من الصين وما دونها حتى فتحها عتبة بن غزوان .

ثم يصف لنا البلاذري في ص ١٣٣ من فتوح البلدان بأن نهر معقل في التقائه بنهر الابله اصبح طريقاً تجارياً هاماً وكانت السفن تمخر عباب هذه المياه فتدخل التجارة الى آخر حدود البصرة كما تنقل منها وبهذا سهلت وسائط النقل وكثرت الصادرات وازدادت السلع المعروضة ، فائرى أهالي البصرة زيادة على اثراتهم من غنائم الفتح والذي قيل فيه أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لما سأل احد العائدين من البصرة الى المدينة وهو انس بن حجية عن مسلمي البصرة اجابه انس : لقد انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة . . وحتى بلغ الصحابي الناسك انس بن مالك ان يبني له قصرآ بمائة الف دينار كما كان خالد القسري ينفق مائة الف درهم .

وكذلك الرخاء التجاري والزراعي جعل من البداوة العربية حضارة متجددة

وقد ادخلت أدوات جديدة للطبخ والعمل وافرشة ووسائد وملابس متحضرة
فاستعمل اهل البصرة (البرفكان) وهو أزار أو ثوب يلبس على الملابس لحفظها
وقد ذكر في ج ١ ص ١٤٤ من البيان والتبيين بقول الشاعر :

اني وان كان أزاري خلقا وبرفكاني مملا قد اخلقا
قد جعل الله اساني طلقا

ولقد روى العلامة (دوزي) في معجم الملابس ان اهالي الامصار المتحضرة
كانت تستعمل البرفكان وهو أزار او كساء جميل يلف به الجسم ويستعمل للنساء
والرجال . . . وكان البرفكان البصري حضري في صنعه وجيوبه وازرارته التي
عملت من الذهب دلالة على اثراء البصريين .

واستعمل اهالي البصرة (المرفقه) وهي المحدة من الريش - ريش النعام -
وكان قد قيل فيها :

كسح الهجر ساحة الوحل لما غير البين في وجوه الصفاء
وجرى البين في مرافق ريش هي مذخورة ليوم اللقاء

وكذلك استعملت المطارح - جمع مطرح - وهي المفارش من الحرير كما
استعملت - المتكأ - والذي عرفه العرب منذ القدم وقد جاء ذكره في سورة
يوسف من القرآن الكريم ولكن البصريين تفننوا في الزخرفة والعمل وهكذا
عملت ثروة البصرة في رقي الحالة الاجتماعية .

ولم تقف الثروة البصرية الى هذا الحد بل تجاوزتها الى العلم والمعرفة
فكانت أول مكتبة عامة في البصرة هي التي اسسها ابن سوار في القرن الرابع
للهجرة ورتب معاشاً للعلماء الذين يشتغلون بها كما وقف القاضي ابو الفرج ابن

ابي البقاء مكتبة تحتوي على نحو من خمسين الف مجلد .

ويعد مالك بن ابي السمح مؤسس المدرسة البصرية في الفناء وهو من تلاميذ
معبد في المدينة وقد وفد على والي البصرة سليمان بن علي فاحسن وفادته .
ويعتبر باتكين بن عبدالله الرومي الناصري مؤسس مدرسة علم الطب بالبصرة
وذلك عندما ولي البصرة من قبل الخليفة العباسي المستنجد بالله سنة ٦١٨ هـ .

وكذلك يذكر لنا البغدادي في ص ١٨٤ من الفرق بين الفرق بان الباطنية
في البصرة اخذوا يدرسون حالة الحيوانات كما اخذوا يقومون بالبحوث والمقارنة
والنظريات كما ان الجاحظ ذكر في ج ٢ ص ٢٢٨ من الحيوان بان محمد بن علي بن
سليمان كان يجري التجارب الطبية والعلمية على الظباء والبقر والافعى .

ولقد اسست مصالح المياه واسالة توزيعها على البيوت حتى ذكرت المصادر
بان محمد بن سليمان الهاشمي عمل (الدواليب) وحفر الارض وبنى الاحواض
لخزن المياه ثم عمل انايب واقنية من رصاص لتوزع على البيوت وهكذا وزعت
المياه لتسهل الحياة .

ثم سكت النقود من الفضة والذهب والمعادن الاخرى لتسهيل التجارة فكانت النقود
التي سكها الامام علي (ع) اول نقود سكة بالعربية في البصرة كما سك بعده
زياد ثم الخلفاء العباسيين حتى جاء الزنج فكانت العاصمة المختارة على نهر
ابي الخصيب ثم انتشرت سكتهم في منطقة البصرة الى ان جاء الموفق ليحل
بسكته عوضاً عن سكة الزنج التي يقال ان بعضها كتب عليه - لا حكم الا لله -
وهو من شعار الخوارج .

وذكر الرحالة الفرنسي (تافرنيه) عند مروره بالبصرة سنة ١٦٥٢ م ١٠٦٣ هـ

وايام حكم حسين باشا أفراسياب انه شاهد مصانع ضرب النقود باسم الحاكم وان كميات كبيرة من الفضة والذهب كانت تصهر وان عدداً كبيراً من العمال والموظفين يشتغلون في معامل السكة .

كذلك ذكر الرحالة (بارسنس) الذي زار البصرة سنة ١٧٧٤ م ومكث بها ثلاثين يوماً والرحالة تكسير الذي زار البصرة بتاريخ ٦ من شهر آب سنة ١٦٠٤ م بانها شاهدة مصانع النقود وباقي الصناعات اليدوية وخاصة صناعة الحديد والخشب .
واقدم وصف تكسير البصرة فقال ان تجارتها كانت رائجة وانه شاهد بيوتاً كثيرة متهدمة ولاحظ العمل يجري فيها بسرعة ولما سأل عن هذه الظاهرة علم بانه قبل اسبوع من قدومه كانت النار قد شبت في مستودع للبارود والذخيرة ومعامل الاسلحة عائد للحكومة فالتهمت النيران آلاف الاكياس من المعدات الحربية فحدث انفجار كبير أدى الى اهتزاز البيوت وسقوط بعضها .

وفي سنة ١٨٤٨ م ١٢٦٥ هـ صدر من الباب العالي امر بأن يؤسس في البصرة مسفنأ ومعملاً لتصليح الاسطول وعلى اثر ذلك ارسلت الحكومة من الاستانة الاميرال (بيري بك) مع عدد من الضباط والعمال الفنيين علماً بأن الحكومة العثمانية لم تكن لها بواخر نهريه الى ذلك التاريخ اذ انها اشترت مركب الرصافة سنة ١٢٨٦ هـ ليسير بدجلة بين بغداد والبصرة كما اشترت مركب (بصرة) ليسير في الفرات وكان يستعمل للكشف .

ثم اشترت الحكومة مركب بابل وحوات (الرصافة) الى (بوسطة) وعلى اثر ذلك تأسست دائرة حكومية باسم دائرة الملاحة النهريه وكانت على شط العرب (الكورنيلش حالياً) .

ثم اشترى نقيب البصرة السيد عبدالرحمن بن السيد طالب مركب (الفيحاء)
الى أن كانت سنة ١٢٨٦ هـ حيث اكمل مركب بابل وحول الى مركب ركاب
جاهز للسفر الطويل ونقل الحجاج من البصرة الى جدة في ١٥ يوما وهو في اجوره
على ثلاث درجات ٤٠٠٠ قرش للموقع الاول ٢٥٠٠ قرش للموقع الثاني و ١٢٠٠
قرش للموقع الثالث وهكذا قضى على الشركة الانكليزية التي كانت تحتكر
النقل باسعار عالية .

وعلى هذا الاساس كثرت الايدي العاملة وانتعشت التجارة وخاصة بعد
أن كان علي رضا باشا والي البصرة قد احتل المحمرة كما احتل جزيرة الخضراء وجزيرة
المحلة سنة ١٢٥٣ هـ وباتت المحصولات تنقل من البصرة واليهما .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المحمرة مدينة حديثة شيدت سنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٢ م
وقد سكنتها قبيلة كعب العربية وكان من امرائها الشيخ جابر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ
والشيخ مزعل المتوفى سنة ١٣١٥ هـ ، والشيخ خزعل المتوفى في ٢٦ ايار
سنة ١٩٣٦ م .

ولندع هذه الالتفاتة لارجع الى موضوعنا فنقول : وفي اواخر شعبان من
سنة ١٢٥٠ هـ كانون الاول سنة ١٨٣٤ م طلبت الحكومة البريطانية من الدولة
العثمانية اجازة بتسيير باخرتين للنقل في نهر الفرات وبتوسط علي رضا باشا والي
البصرة صدر الفرمان بالموافقة حالاً ثم حصلت الاجازة لتسيير باخرتين في نهر
دجلة وعلى هذا الاساس تأسست ولأول مرة - شركة المراكب البخارية في نهر
الفرات ودجلة - وصار مقرها البصرة واتخذت لها محلا على ضفاف شط العرب
وزادت حركة التجارة بزيادة حركة النقل .

والحقيقة ان عهد علي رضا باشا في البصرة كان من العهود الزاهرة بالاعمال
ولكن بعض المفرضين وشوا به واتهموه - بالبكتاشية - وخاصة بعد مباحثاته
مع السيد محمد سعيد المفتي ومحمود الآلوسي حول اسلام ابي طالب .

ومما زاد الحقد عليه ان القنصلية الانكليزية كانت قد تأسست في البصرة
سنة ١٧٩٧ م وكان قنصلها يلقب بالمقيم ومن اشهر القناصل الانكليز (رج)
وكانت تتمتع هذه القنصلية بامتيازات كبيرة فلها ١٢ قواساً وعدد من الجنود
الاهلية يزيدون على الستين وتحت تصرف القنصلية باخرة خاصة تدعى (كوميت)
ولقد اخذ القنصل الانكليزي باستبدال الجنود العرب الاهليين باخرين
من الهنود .

فلما رأى علي رضا باشا ذلك شدد الرقابة على القنصلية ومنع استبدال الجنود
الاهليين بالهنود مما جعل القنصل يشكيه الى الحكومة العثمانية التي كانت لعبة بيد
الانكليز ولذا عزلت الوالى ارضاء للانكليز بينما كان يقوم الوالى بواجبه .

ومما يلاحظ أن قناصل الاجنبية عدا الايرانية كانت تدعى (باليوز) وهو
يقابل لفظ اجنبي (باليوز) كما كان يدعى القنصل (روزدنت) ولكن (باليوز)
وهو (ايطالى) شاع بين اهالي البصرة حتى باتوا يطلقونه على جميع القناصل .

والى وقت ليس بالبعيد كانت البواخر تحمل البريد من الهند الى البصرة
ومنها الى اوربا وحتى قبل افتتاح قناة السويس فلقد جاء في مذكرات (جوزيف
زفوبودا) وكان احد كتّاب شركة بيت لنج بقوله : بتاريخ ١٥ أيار سنة ١٨٦٩
وصلت البصرة من بومبي الباخرة (مولا) وهي تحمل البوسطة - أي البريد -
ثم كان أن يزداد رسو السفن التجارية البحرية في ميناء البصرة حتى بلغ سنة

١٩٠٧ م (٢٠٠) باخرة ثم تحول سنة ١٩٣٩ م الى (٢٥٦) باخرة ثم ازداد هذا العدد مع الحرب حتى كانت تدخل الميناء يومياً ثلاث بواخر أي بمعدل ١٢٠٠ باخرة سنوياً .

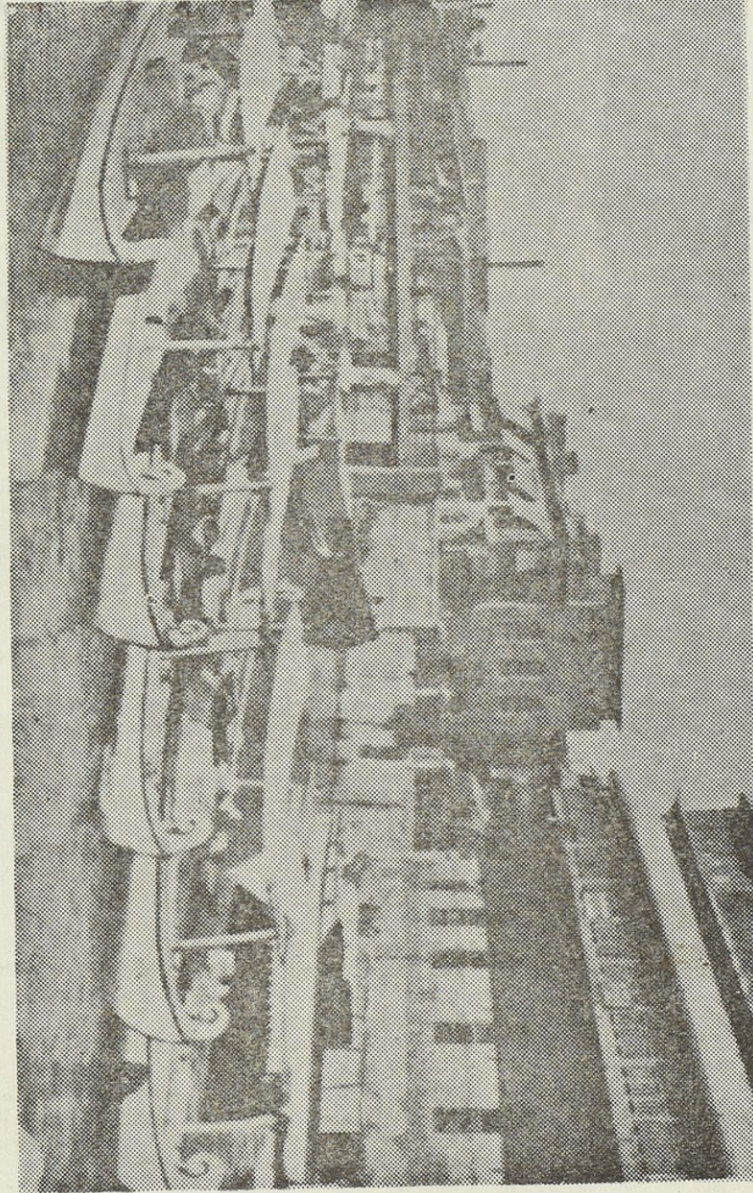
ويحدثنا جوزيف زفوبودا فيقول : وفي الساعة ١١ والدقيقة ٢٠ من بعد ظهر يوم ٣ حزيران سنة ١٨٦٩ م وصلت البصرة الباخرة (ايسينيا) وعلى ظهرها مسعود بك البلجكي وهو مهندس ركب الباخرتين البصرة وبغداد اللتين اشترتها الحكومة العثمانية وانه ذاهب الى بغداد لانشاء الترامواي .

كما تحدث هذا الكاتب فقال : في ٢٢ اذار سنة ١٨٧٠ قدم مسعود بك من بومبي بعد ان كان قد اشترى للحكومة العثمانية باخرة نهريه مع دوتين بخمسة وستين الف روبية .

ثم بعد احتلال العجم للبصرة أرادوا ان ينقلوا مركز التجارة من البصرة الى الضفة الثانية من شط العرب فاسسوا اولاً قلعة (كردلان) وقد سماها صاحب كتاب (كلشن خلفا) باسم (كردكان) ومعناها (المأوى العالي) او (ارض التل) كما ذكرها صاحب كتاب (تاريخ راشد) فقال اسمها (كوردلان) وقد ذكرها الاستاذ العزاوي في تاريخ العراق بين احتلالين فقال ان يحيى باشا والي البصرة سنة ١٠٧٨ هـ حولها الى معسكر جمع فيه انواع العساكر .

وكان العجم بعد انسحابهم من البصرة قد تركوا هذه القلعة التي اصبحت بعد ذلك معمورة كما نقلت اليها القوات العسكرية والارزاق والمدافع فكانت البصرة مصدر آلاعاشة هذه الجموع في هذه البلدة الجديدة . وهكذا ازدادت الايدي العاملة .

وكذلك فان الحكومة العثمانية عينت مصطفى باشا سنة ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩ م
لينظم امور البصرة المالية فوصل البصرة وعين مخدمين من الرجال الاكفاء المخلصين
حيث ضبطت الاراضي الاميرية ورسومها والاقواف والاملاك المعفاة من الرسوم
العرفية والأعشار .



منظر بصري اخذ سنة ١٩٢٥ م

ثم سجلت اراضي البصرة ونخيلها ووارداتها وصادراتها ومحصولاتها
ومصرفاتها ومسكت دفاتر التسجيل تحت توافيق الرؤساء واشرف الوالي
وتوقيعه فكان ان يجمع الوالي في خزينة الدولة الاموال المتوفرة ولأول مرة بعد
أن كانت تذهب الى جيوب الولاة وزميرتهم .

ثم بدأت تجارة البصرة بالانتظام حتى دخلت - هولندا - المجال التجاري
في خليج البصرة وارسلت قائد بحريتها بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١١١٧ هـ ٧ تشرين
الثاني ١٧٠٥ م الى أمير البصرة - مغامس بن مانع - ليوقع معاهدة تجارية وان
يؤسس فرع للشركة الهولندية بالبصرة وان تحمي كنيسة الكرملين في البصرة
وهكذا صارت السفن والتجارة الهولندية تصل الى أرض البصرة بعد موافقة
مغامس بن مانع كما كانت الحاصلات البصرية تنقل الى انحاء العالم بواسطة الشركة
الهولندية التي اخذت تشتري المحصولات العراقية كما برز عدد كبير من التجار
البصريين منهم خالد بن احمد بن رزق التاجر الذي وصفه احد كتاب ذلك العهد
وهو (نعمة الله عبود) بقوله : انه من التجار البصريين الذين لهم شغف بالعلم
والادب حتى أن ذلك بات يلهيه عن اشغاله التجارية .

ويظهر ان والده كان قد نزل (الزبارة) من اعمال البحرين وصار يرسل
التجارة الى البصرة كما يستورد منها وقد ذكره النهاني في تحفته فقال انه اول من
نزل الزبارة وعمرها كما كان عثمان بن سند قد صنف كتابه فيه سماه - سبائك
المسجد في اخبار احمد بن رزق الاسعد - .

ولربما يقال أن احمد هذا كان اولاً من رجالات الكويت ثم قصد البصرة
وصار هو وولده من التجار أصحاب القصور حتى أن الاستاذ يعقوب سر كيس

في القسم الاول من المباحث العراقية يقول بأن خالد بن رزق شرع في بناء قصور
تم بناؤها سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٦ م وانه طلب من الشعراء قصيدة يزين بها
مجلس احد القصور .

ومما تجدر الاشارة اليه ان آل رزق هم الذين بنوا قصر آ في منطقة ام قصر
الحالية حيث سميت المنطقة باسم ذلك القصر .

ومن جهة ثانية فانه في ١٤ صفر سنة ١٢٧٦ هـ نشر قانون الاراضي وانظمة
الطابو في البصرة واحتسبت الاراضي الخالية بحساب الدونم وانه يؤخذ عن كل
دونم من الاراضي المغروسة ٣٠ قرشا سنويا أما الاراضي الصالحة للزراعة وهي غير
مغروسة فيؤخذ منها العشر وما يفرص جديداً يعفى عن الرسوم لمدة ست سنوات
مما شجع الملاكين على الزراعة ولكن الى حد ولكن عند زيارة مدحت باشا للبصرة
اصبحت تؤخذ الرسوم الاميرية على كل دونم ١٥ قرشا والغى الخرص واصبحت
الرسوم تؤخذ على جميع الاراضي المغروسة وغير المغروسة بالتساوي وهنا اخذ
كل ملاك من زراعة ارضه الخالية حتى يقال انه بينما كانت واردات البصرة
تساوي ٤٨ حملا من النقود ارتفعت بعد سنين الى ٧٠ حملا ..

وكانت زيارة مدحت باشا هذه في ٤ شوال سنة ١٢٨٦ هـ حيث نظمت
امور البصرة المالية بينما زار مدحت باشا البصرة في ٢١ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ عند
توجهه الى الاحساء ونجد حيث عند رجوعه أصبحت هذه المناطق تابعة للبصرة .

ان مساحة الاراضي المزروعة بالاشجار والنخيل بالعراق تبلغ ٧٤٩ الف مشاركة
فيها من شجر العنب نحو ١٢ مليون ومن الرمان ٢ مليون ونصف ومن البرتقال
مليون وسبعمائة وخمسين الفا كما فيها اكثر من ٩٠٠ الف شجرة تفاح كما هناك

٣٩٨ الف مشاركة تزرع بالخضروات منها ٦٨ الف مشاركة تزرع بالرقى ونحو ٤٤
الف مشاركة للبطيخ و ٥٢ الف مشاركة للطماطة .

أما عن النخيل ففي العراق ٢٦ مليون نخلة والعالم كله يعرف بأن منطقة
البصرة أغنى بقاع العالم بالنخيل فهي تضم ١٠٨ أميال وبعرض ميل واحد
وتحتوي على ١٣٨ الف فدان او اكثر وان قسما منها تابعاً لايران بينما للعراق
١١٢ الف فدان وبمعدل ١٥٠ نخلة للفدان يكون العدد التقريبي لنخيل البصرة
١٧ مليون تدخل تحت حوالي ٣٥٠ نوع مختلف من حيث الذائقة والحجم وكمية
السكر وكان الخلاوي اول نوع صدر الى اميركا سنة ١٩١٤ م ثم اخذ بالازدياد
خاصة بعد أن عرف بأن التمر لا يحمل المكروبات وحتى مكروب الكوليرا فانه
يموت بعد ٤٨ ساعة من وجوده في التمر .

و كان ابو بكره وهو من اصحاب مؤسس البصرة عتبة بن غزوان اول من
غرس النخيل في البصرة وذلك سنة ١٤ هـ فكان هذا التمر الجني الذي يتحدث
عنه الكولونيل (ودد) وهو مدير الموالي . في العهد البائد المتوفى في ١٠ تشرين
أول سنة ١٩٤٢ م فيقول عن فائدة التمر بأنه وفي العهد العثماني كان ضابطاً بحريا
يعمل في الاسطول الانكليزي في مياه خليج البصرة وقد أثر به وببقي الجنود
مناخ الخليج فاصيبوا - بدمامل - دموية في وجوههم وايديهم وصادف ان نصحبهم
احد اعراب سواحل الخليج بأن ياكل التمر فاخذ الانكليز بنصيحته مع الاستهزاء
ولكن سرعان ما زالت تلك الدامل . . وعاد صفاء البشرة . . وهذه شهادة
اجنبي لتمرنا .

الباون الواحد من التمر يعطي ١٣٣٠ سعرة حرارية بينما يعطي البيض ٦٣٤

سعة والخبز ١٠١٤ والسّمك ٣٠٠ - ٧٠٠ واللحم ١٠٩٠ سعة والبطاطة ٤٠٠
ولحم الخنزير ١٢٧٣ سعة .

وفي ١٥ صفر سنة ١٣٢٨ هـ فوجيء البصريون بأمر من نظارة الدفتر
الخاقاني التركي باعتبار اراضي البصرة اميرية واشجارها ونخيلها ملكا لاصحابها
فكان أن تكتب جريدة (الايقاظ) البصرية لاصحابها سليمان فيضي وفي عدد رقم
٣٧ الصادر في ٢٠ صفر سنة ١٣٢٨ - ٢ آذار سنة ١٩١٠ م كلمة مطولة عن عدم
شرعية هذا القرار وقد نشرت الجريدة المذكورة برقية احتجاج أهالي البصرة
الى الباب العالي و كان ان تستفتي الحكومة المشيخة الاسلامية التي اعلنت بان
اراضي البصرة عشيرة مملوكة لاصحابها وليس لاحد غيرهم حق التصرف بها
وهكذا الغي الامر .

ويتخلل أراضي البصرة وبساتينها ٦٣٥ نهراً بين كبير وصغير كلها تنفرع من
شط العرب ويكون ٤٧٠ منها على جانبي شط العرب الغربي ابتداء من القرنة حتى
الفاو وكما يكون منها ١٦٥ نهراً على الجانب الشرقي من الشط ابتداء من القرنة
الى نهر الخرنوبية في اخر الحدود العراقية الايرانية .

وتبعد البصرة عن الخليج ٨٨ كيلومتر وعن بغداد ٤٢٠ كم وكانت في العهد
العثماني تنقسم الى اربع متصرفيات هي المنتفك والعمارة والقطيف والهفوف بما
فيها ٢٣ قضاء و ١٥ ناحية وكان لوالي البصرة السيطرة على كل هذه المناطق .

ولقد ازدادت أهمية البصرة التجارية بعد زيادة اهميتها العسكرية وأصبح
الأجانب ينزلونها ليعملوا فيها كما ان أهالي البصرة في اواخر العهد العثماني جدوا
في العمل فكانت معامل الثلج والطحن والهبش والخلج والحياكة والمبردات

ومعامل الطابوق وبناء السفن وكبس التمور والنحاسية والصياغة .
وقد تأسست اول غرفة تجارة للبصرة سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٥ م وكان مسؤولها
محمود بن علي كاظم بك الذي جلب بذور القطن فكان اول من زرعه الشيخ
عبدالواحد باش اعيان في مزرعته بالصالحية كما جلب - محلجة - حلج القطن
وتنظيفه من الجذور كما زرع الخروع وجلب معصرة لاستخراج دهنه .
وكان محمود بك هذا قد جلب بذر التوت - التكي - ايضاً حيث اخذت
تربية دودة الحرير بالكثره وعلى هـ - هذا انتشرت صناعة الحرير وبانت تحاك منه
الملابس والافرشة لتصديرها الى الخارج .
وفي سنة ١٩٢٦ م تأسست غرفة تجارة البصرة بموجب قانون غرف التجارة
رقم ٤٠ لسنة ١٩٢٦ وكان اول رئيس للغرفة الحاج عبدالله الخليل وهو شخصية
قذة ومن كبار رجال البصرة وكان قد ولد في مكة المكرمة سنة ١٨٧٠ م
ولكنه عاش بالبصرة وعمل من أجلها . . .

البصرة حاضرة تجارية زراعية

كم كانت تبعد المدن التجارية العالمية عن البصرة ؟ ..

ما هي طرق المواصلات في البصرة ؟ ..

من الذي شق طريق بصرة - عشار ؟ .

وماذا تعرف عن السراجي والزبير والقرنة ؟ .

لماذا سميت الفاو - وفي أي دقيقة احتلها الانكليز ؟

كم عدد جزر شط العرب ، ومن كان يحب الثمن البصري ؟ ..

لقد كان نهر معقل يطوق البصرة من جهتها الشمالية كما يطوقها من الجنوب نهر الابلّة ثم يلتقيان في فرعين لهما ليشيدا من البصرة جزيرة على شكل قبة ثم يفترقان من محلين آخرين ليتصلا بالصحراء وعلى هذا الاساس كانت تجري حركة - المسافنة - وهي عملية نقل البضاعة من سفينة الى اخرى حيث ان السلع التي كانت تأتي الى البصرة من شمال العراق تدخل من المعقل بينما البضائع التي كانت تأتي من خارج البلاد تدخل من نهر الابلّة فكانت البصرة مستودع الخزن والمرکز التجاري البحري زيادة على اتصالها بالصحراء لتكون طرق مواصلات القوافل .

والبصرة تبعد عن الكوفة ١٥ فرسخاً وعن مكة ٢٧ مرحلة وعن واسط ٥٠ فرسخاً وعن عمان ٢٢ مرحلة وعن اليمامة ٣٢ مرحلة كما كانت تتصل بسيراف التي تبعد عنها ٥٠ فرسخاً بطريق بحري منتظم زيادة على اتصالها بالاهواز ويران والهند واليمن والصين .

وصارت البصرة قاعدة بحرية حربية عثمانية وفي سنة ٩٦١ هـ قدمها سيدي علي رئيس احد القواد البحرين العمانيين وكان يحمل فرماناً سلطانياً لاستلام القوة البحرية الموجودة في البصرة والذهاب بها الى مصر . . . وكانت قوة البصرة تتكون من خمس عشرة قطعة كل منها تسمى (قدرعة) وقد مكث سيدي علي رئيس في البصرة خمسة اشهر زار خلالها مسجد الامام علي (ع) والزبير وطلحة وأنس والحسن البصري رضي الله عنهم جميعاً كما امر بتصليح بعض القطع البحرية التي كانت تحتاج الى تصليح .

كذلك كانت في البصرة عدة قطع بحرية حربية راسية منها القطعة المسماة - بركندة - والقطعة - فاليتة - والقطعة - قرلا نغيج - .

ولقد ازدادت علاقة البصرة مع الهند تجارياً وعسكرياً بعد أن استنجد حاكم كجرات المسلم بالعثمانيين ضد الضغط البرتغالي فساعده الأتراك بالسلع والحبوب والحيوانات كما ساعده بالقوات .

* * *

وحتى في الايام الاخيرة من حكم آل ثويني للبصرة كانت الطرق العالمية تمر في هذه المدينة الاسلامية الخالدة .

ان ثويني هذا هو أحد شيوخ المنتفك وقد استولى على البصرة سنة ١٢٠٢ هـ

١٧٨٧ م بدون مقاومة فلما دخلها بجيشه اصدر امراً شديداً لرجالہ انذروهم فيه
بالقتل اذا ما تعرضوا لاحد من انسكان او اموالهم ومع ان حكمه لم يدم اكثر من
ثلاثة أشهر فقد اتصل بالتجار العالميين كما اتصل بالحكومات والشركات لتزدهر
التجارة وذلك لأن تجارة البصرة بعد ايام من احتلاله لها زادت اضعافاً مع انها
كانت قبل الاحتلال كاسدة حتى جاء في مذكرات احد موظفي شركة الهند
الشرقية وكان موجوداً في البصرة سنة ١٢٠١ هـ - ١٧٨٦ م بأن تجارة البصرة
في تدهور ثم جاء في مذكراته لسنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٨ م بأن تجارة البصرة لم تكن
زاهرة مع انها لا تزال المخزن التجاري لهذه الاصقاع فيثري التاجر فيها، وأما
حاكمها فتركي وسكانها عرب وتوطنتها أسر ارمنية .

والحقيقة أن ثويني قام بعمل عجيب في احتلاله للبصرة حتى تذكر التواريخ
بأن الحياة التجارية عادت الى المدينة وفتحت الحوانيت والمحلات التجارية بعد
ساعة من احتلال المدينة وكان روح النظام العسكري العربي قد تجسم في
ارواح الجنود الفاتحين حتى انهم قاموا بشق الطرق وتوسيع الشوارع وخصص
حرس في خارج المدينة لتأمين التجارة والقوافل كما خصصت قوات في سفر
تجوب مياه شط العرب وفم الخليج لتأمين التجارة البحرية .

وكان اخر الولاة العثمانيين الذين اهتموا لطرق تجارة البصرة وتنظيمها هو
سليمان نظيف بك الذي شق طريق بصرة - عشار الحالي سنة ١٣٢٧ هـ كما امر
بقص الطريق من باب سليمان ومن عند قصر شعبان جلبي الى باب العريض ثم
امر بمده الى باب الطويل في ابي الخصيب .

وسليمان نظيف بك كان قد وصل البصرة في اليوم الثامن عشر من شهر

تشرين الاول سنة ١٩٠٩ م لاستلام وظيفته ولكن السلطات الصحية حجرتة لمدة اربعة عشر يوماً ثم خرج في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني وفي طريقه الى مقر عمله امر بهدم بعض المباني التي كانت تزاخم الطريق ومنها دار المنديل ودار البهرة الكبير علماً بان القنصل البريطاني في البصرة احتج على هدم بيت البهرة بدون اذار او اعطاء مهلة لنقل من فيه من الناس او من الحاجيات كما امر بهدم سوق السيمر العائد الى آغا جعفر دون أن يعطي صاحبه ما يعوضه فكثرت عليه الشكايات فصدر الامر بعزله ثم غادر الفاو على ظهر باخرة لتقله الى استانبول وذلك في ٣ تشرين الاول سنة ١٩١٠ م .

* * *

لترك مدينة البصرة ولنخرج على أهم النقاط التجارية في هذا اللواء حيث يمكننا ان نحصرها في مناطق اربع هي :

١ - السراجي :

ويقال ان هذه الناحية سميت بالنسبة لنهر السراجي المنسوب الى رجل كان يبيع السروج .

وتحتوي هذه المنطقة على (٤٥٠٠) جريب من النخيل ونظراً لاهميتها في السابق شيد فيها مسجد كبير مع منارة عالية وجميلة لا تزال باقية الى اليوم .

وفي نفس المنطقة شيد عبدالوهاب باشا بن احمد القرطاس قصرًا فخماً لقرينته كما بنى عدة بيوت لفلاحيه وزودهم بالبذور واشترى لهم البقر والدجاج وساعدهم على حفر انهار البساتين وحرانتها وانشاء السدود فازدادت الحاصلات النباتية والحيوانية زيادة على حاصلات التمور و كانت نساؤهم تقوم بغزل الصوف وجمع

الخطب فكان الناس من البصرة وباقي المناطق يأمون السراجي للشراء محلياً كما كانت السفن الشراعية والابواب والمراكب تقف امام هذه المنطقة لشراء حاجياتها كما كان يتم تبادل الملح فالشخاط والتبغ والتوابل والاواني والبصل والحلوى كانت تنزل من السفن لتأخذ محلها في مخازن السراجي كما ازدادت علاقة ابناة الخليج العربي مع ابناة هذه المنطقة فازدادت الثقة التجارية .

ومن هذه المنطقة ينبع نحو من ٢٠ نهراً منها نهر المحرقرة والمقام والبراذعية والدوغة والمزايينة وميثان وفريق الصخر وكوت الضاحي وابي سلال والشعشاعي والشطبان . .

كما شيد أغا جعفر قصرأ فخماً مزيناً بالصور البارزة والزخارف وفي مدخله اسدين جميلين من البرنز لذا سمي القصر (قصر ابو السباع) وبالحيقة ان هذا القصر يستحق ان يكون متحفاً او معرضاً للبصرة في شتى مجالاتها .

وكان الرحالة البرتغالي (تكسيرا) عند زيارته للبصرة في ٦ آب سنة ١٦٠٤م قد تحدث عن منطقة السراجي ونهرها فقال ان السفينة التي كانت تقله رست امام السراجي حيث كانت ترسو السفن القادمة الى البصرة في هذه المنطقة لتفريغ شحناتها وتحميل البضائع الى خارج العراق .

ثم يقول تكسيرا بأن على صدر النهر قلعة عسكرية كبيرة للاتراك وهي مزودة بالمدافع كما تضم عدداً كبيراً من الجنود الى ان يقول بأنه استقل زورقاً صغيراً سار به في نهر السراجي ما بين بساتين النخيل المكتضة وحقول الذرة حتى وصل الى مدينة البصرة وبعد أن قطع ما يقارب الفرسخ حيث أن البصرة تتصل بشط العرب عن طريق هذا النهر كما وانها محاطة بخندق عميق خارج سورها الطيني

وهذا الخندق يستمد مائه من نهر السراجي .

* * *

٢ - الفاو :

وهي الارض الجنوبية من العراق وتقع عند منتهى نهر شط العرب وعلى جهته الغربية وتحتوي المنطقة على اكثر من ثلاثة وثلاثين نهر اهمها نهر العشار - ولذا يقولون بأن البصرة اولها العشار وآخرها العشار - ثم نهر معتوق الذي جرت عنده معارك سنة ١٩١٤ بين الاتراك والانكليز في الحرب العظمى الاولى ونهر القشلة حيث عنده بنيت ثكنة عسكرية ونهر المهلبان الذي حفرتة (خيرة) زوجة المهلب بن ابي صفرة ولكن اسم زوجها المهلب غلب عليه .

وتبعد الفاو عن البصرة نحو من ٦٣ ميلا وكانت قديماً قطعة من مقاطعة تدعى (الدكك) وهي منطقة غير عامرة وتابعة الى راشد السعدون الذي ضمنها الى احد شيوخ (الدواسر) المدعو يوسف الخليفة الذي عمرها وزرعها فسميت بالمعاصر وكان ذلك سنة ١٢٢٦ هـ .

وقد انتقلت من ايدي آل السعدون الى آل الصياح ثم التزمها سنة ١٢٥٥ هـ ابن جبران ثم التزمها حاج راشد النابندي سنة ١٢٥٩ هـ .

اما سبب تسميتها بالفاو فهو ان سفينة اسمها (الفاو) كانت تابعة لاهل الديلم جاءت الى تلك المنطقة ليشتري ذووها حاجياتهم من التمر وصادف ان هبت رياح شديدة أدت الى غرق هذه السفينة في نهر المهلبان فاخذ الناس يطلقون على المنطقة اسم الفاو فيقولون محل غرق الفاو ثم حذفت لفظه غرق لتبقى (الفاو) ثم سميت المنطقة كلها بهذا الاسم .

وكانت الفاو قد تعرضت للطاعون الجارف الذي اصاب البصرة سنة ١٢٤٧ هـ
فهجرها الكثير من سكانها ولكن الحكومة العثمانية اهتمت بالأخير بها كما شيدت
فيها الخوانيت والمقاهي ودار للبريد وسراي للحكومة الذي يقال انه من
أعمال مدحت باشا .

كذلك أراد سليمان نظيف بك والي البصرة أن يثقف أبناء المنطقة فبنى
مدرسة فيها سنة ١٣٢٧ ولكن الاهالي قاطعوها ولكن الوالي بنى محجراً صحياً
ومستوصفاً ورصيفاً ودوراً للموظفين مما زاد في سعة المدينة وأهميتها .

ثم نظراً لوقوع المدينة على فم الخليج فقد سكنها الكثير من أبناء الكويت
والبحرين والاحساء ومسقط والهند وكان اللؤلؤ يأتي اليها والمحار ودهن الحوت
والاسماك البحرية والجوت « الكرواني » والخشب كما كانت السفن الشراعية
تنقل منها التمر والفواكه وخاصة الرمان كما تنقل الدبس وماء الورد وماء
القداح والحناء .

وكان الانكليز قد احتلوا الفاو في تمام الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة
والاربعين من يوم ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ م بقيادة الجنرال (ديلا مين)
وبعد أن قصفت الدراعة البريطانية (اودين) الاستحكامات التركية وخربتها .
وبأتصال الفاو مع البصرة برها اخذت المدينة في التقدم وخاصة بعد أن
صارت مرفأً لشحن النفط كما زادها اهمية وجود ام قصر هذا الميناء العظيم الذي
من المؤمل أن يصبح ميناء حراً حيث يكون للفاو شأن كبير .

٣ - الزبير :

وكانت هذه البقعة قد دخلت في قبضة العثمانيين سنة ٩٥٣ هـ وعند احتلالهم

للبصرة ، واهتم الاتراك بالزبير فبنوا مسجداً عند ضريح الزبير (رض) الى ان جاء الأمر السلطاني سنة ٩٧٩ هـ من سليم الثاني بانشاء قبتين على ضريح الزبير وطلحة ثم اخذ الناس يبنون بيوتهم حول المسجد اولاً ثم توسعت المدينة . وكان الوهابيون قد اجلوا اهل بلدة حريملة التابعة لبلدة الوشم وأهل بلدة حرمة التابعة لبلدة السدير . .

كانت قد اجلتهم عن ديارهم فجاهوا ليستوطنوا مدينة الزبير وكانوا تحت رئاسة يحيى بن الزهير الذي تمكن من اقناع العثمانيين فاعطوه مساعدة وبنوا سوراً حول الزبير وزودوه بالمدافع والبارود والمؤن والاموال لرد غارات الوهابيين كما وان العثمانيين خصصوا مرتبات شهرية لجميع سكان الزبير كل حسب عدد عائلته وحسب مرتبته كما وانها أعفت اهل الزبير من الخدمة العسكرية وكانت حكومة بني عثمان تصانع الزبيريين ليساعدها ضد الوهابيين ولذا فان المدينة كانت مهمة بالنسبة لهم باعتبارها قلعة تقف في وجه الاعداء .

ثم ان الزبير بين البصرة والكويت ومناطق المنتفق وصحارى نجد وطريق الخليج جنوباً مع سير مياه الفيضان وخور موسى جعلها منطقة تجارية استفاد منها اهلها فكانت نعم المورد لهم .

وكان الزبيريون على اتصال مع امارات الخليج والهند والصين حتى ان المؤرخ فصيح بن نعمة الله الحميري ذكر في كتابه (احوال البصرة) اسماء تجار البصرة فكان اكثر من نصفهم من أهل الزبير زيادة على ما هو معروف عن الزبيرى فهو عامل مجيد يحب الشغل ويخرج من الصحراء ماءً ليروي بها ارضاً ميةً واذا بها خضراء تنبت الخضر والفواكه .

وكان الرحالة تكسيراً عند تجده عن سفرته الى البصرة سنة ١٠٦٤ هـ ومن ثم مغادرته الى النجف عن الطريق البري قال انه شاهد سهلاً فسيحاً بين البصرة والدرية وقال انه كانت عادة البصريين أن يجتمعوا في هذا السهل ايام الجمع للبيع والشراء والتسلي بالعب الفروسية والخيل .

والحقيقة ان هذه السوق كانت زيرية وليست بصرية فهو يقع خارج سور مدينة الزبير وهو يقام عادة لانه من تقاليد الزبيرين وكانت البضائع التي تعرض زيرية وخاصة الصوف وغزل الشعر والوبر والمنتجات الحيوانية والكمأ والاشواك للوقود وانواع الماشية للبيع والتبادل فكان سوق الزبير من اكبر اسواق البصرة .

* * *

٤ - القرنة :

وقد اطلق عليها اسم (العلية) نسبة الى علي باشا افراسياب حيث فتح الجزائر وعاد الى القرنة فخصنها بعد أن كانت صغيرة للجند العثماني ثم جاء من بعده ولده حسين باشا الذي حارب العثمانيين بقيادة ابراهيم باشا سنة ١٠٧٧ هـ فزاد في تحصينها فكانت ثلاث قلاع الواحدة تحيط بالثانية وبينها فرج صالحة للقتال كما احاطها بالماء وزودها بالمدافع فكان سورها لا يؤثر فيه الرصاص .

ومن أهم القصبات التابعة للقرنة هي (سحاب) ومنها كانت تشد الاحمال الى الحويزة وهي نقطة استراتيجية مهمة ثم (السويب) وكان اسمه السوب ثم صغر لكثرة تناقله على الاسن حيث هو مركز مهم لزراعة الخضرات والبطيخ . ثم الحويزة وكانت قديماً ادارة لامارة حتى سنة ١٠٧٨ هـ وقد سميت بالمحيسنية نسبة الى عشيرة المحيسن والرئيس محسن وكانت محاطة بسور . . ومن ثم (الدير) وهو آخر

حدود القرنة الجنوبية ، وقد ذكر المرحوم سايمان فيضي انه كان فيه (دير الدهدار)
وانها لفظة فارسية معناها النخلات العشرة وفاته رحمه الله ان (ده) بالفارسية
اذا كانت مفتوحة معناها (عشرة) واذا كانت مضمومة معناها القرية ولكن (دار)
ليس معناها النخيل أو النخلات ابدأ وانما تأتي بمعنى الصاحب او المالك او الرئيس
ويقال انه في الدير كانت منارة طويلة بقيت الى نهاية القرن الحادي عشر
للهجرة وكان هناك من يزعم بأنها من بناء الجن وقد بنيت من نفسها دون بناءين
او عمال ولا حتى مواد انشائية !

وفي القرنة توجد الشجرة المقدسة التي يقال انها شجرة الخلد التي اكل منها
آدم ولا يزال جذع هذه الشجرة محط رحال السواح الاجانب .

وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم التاسع من شهر كانون الاول
سنة ١٩١٤ م والمصادف ٢٠ محرم سنة ١٣٣٣ هـ سلم صبحي بك القائد التركي
القرنة الى الكولونيل (فرازان) قائد الحملة البريطانية . ثم بعد الحكم الوطني
اصبحت القرنة قضاء تابعاً للبصرة .

أما أهمية هذه المنطقة فتتلخص في انها ملتقى دجلة والفرات وفي اقترانها
بشط العرب (سميت القرنة) شكلت منطقة مائية خصبة للزراعة والرعاية وصيد
الاسماك وتربية الدواجن زيادة على وجود القصب والمردى وعرق السوس والبردي
وزيادة على وجود الطيور والعصافير التي تغطي مياه الاهوار .

ويتحدث لنا التاريخ عن العلاقة التجارية ووفرة المواد الغذائية حتى ان احد
السواح ممن سافر من البصرة الى بغداد قال اشترت ثلاث دجاجات في
قرش واحد من القرنة .

ثم كانت السفن (والفلك) (سفينة فيها ماكنة) والابلام الكبيرة تأتي الى
البصرة وهي محملة بأقفاص الطيور والدجاج واخرى محملة بالقصب والبواري
وغيرها محملة بالخبز والدهن والجلود والصوف .

ثم كان الايرانيون وعرب الحويزة يأتون القرنة للتموين وتبادل السلع
فكانت ايام الربيع من أجل الأيام كما كانوا يأتون ايام الشتاء ايضاً لشراء
حاجاتهم وذلك عن الطريق البري او الطريق المائي .

* * *

ولقد كان الفلاح في القرنة يقوم بنشاط كبير في زراعة الأرز ايضاً وقد
حدثنا البعض بأن (الرحي) وهي الطواحين المحلية كان لها شأن كبير في تكوين
الخبز الأرزى (خبز التمن) .

* * *

وفي شط العرب مقاطعات على شكل جزر تسمى (شلهات) وكان اهمها
الدغيات والحسيبية والدعيجي والسلمانية والشلامي والصالحية والمعيرات والدره
والطويلة والبوارين والحدة وام الخصاصيف والبليانية والزياضية والرميلة
والفداغية والصوفية ووالخ .

وكانت عبادان قديماً تقع على شط العرب حيث ان النهر المسمى (بهمشير)
والفاصل بين عبادان والمحمرة يدور حول جزيرة عبادان ليدفع بها الى شط العرب
وكانت عبادان قديماً تقع على ساحل البحر ولذا قيل - ما وراء عبادان
قرية - ولكن بعد ذلك اخذ ماء البحر بالانخفاض وظهرت اراضي جديدة
فتكونت عدة قرى وراء عبادان .

ثم هناك جزيرة الصالحية حيث كان يكثر فيها الخنطة فكانت يبادره تملأ أرض الجزيرة وتُداس السنابل بالأرجل وبواسطة الحيوانات ثم يجمع الحب ويعزل عن العلف ويعبأ في أكياس فتأتي السفن الشراعية والمراكب لنقله الى الخارج كما كانت الزيادة تحول لتموين البصرة.

أما الرز فقد كثر في هذه الجزيرة حتى انتجت نوعاً جيداً منه سمي (الرز الصالحى) نسبة اليها كما ونسب الرز الحسيني الى جزيرة الحسينية ويشتهر بلذة طعمه ورائحته الذكية .

وعندما تحدث النبهي عن البصرة قال في ضواحيها يستنبت الارز وكان يعني بالضواحي هذه الجزر التي كانت عبارة عن مقاطعات زراعية تابعة للبصرة .

كما ان صاحب معجم البلدان وصف ضواحي البصرة فقال انها مخصصة جداً ينبت فيها الارز والورد والخنطة والتبغ وانواع الفواكه والتمر وهو أهم تجارتها بسبب كثرته .

وتحدث فصيح بن صبغة الله الحيدري في كتابه (أحوال البصرة) فقال عن نهر الدواسر انه من المحال الجسيمة في البصرة وفيه بساتين كثيرة ومزارع للرز .

وقال ايضاً بأن جزر شط العرب تزرع الرز وتصدره بكثرة ثم عدد الجزر وقال اهمها ام الجبائي المشهورة بارزها الخصاص وجزيرة المحلة وهي اكبر مخزن لهذه المادة (الرز) .

وقيل عندما استولى الشيخ جابر المراد على جزيرة المحلة كانت تصدر هذه الجزيرة سنوياً الف كيس من الرز زيادة على ما يستهلك محلياً .

وكانت البصرة قد عرفت اول طاحونة تجارية لطحن الخنطة سنة ١٣٠٥ هـ
عندما جلب يامين اليهودي هذه الطاحونة لانه كان يقوم بالتعهد لاطعام
وارزاق الجيش العثماني .

ثم قام الملا عبدالرزاق العوضي سنة ١٣١٣ هـ فجلب هباشة تدار بمحرك قوته
٢٥ حصاناً وذلك لتقشير الرز وتنظيفه فباتت البصرة تصدر الرز المقشر وغير
المقشر المعروف - بالشلب - كما كان هذا الغذاء اللذيذ الرخيص المتوفر هو
طعام العامة من أبناء الشعب .

وكانت البصرة تمون كل أقطار الخليج العربي بالرز (البصري) والى الآن
هناك وفي اقطار الخليج يطلق على اكثر انواع الرز الجيد بالبصري مع انه غير
بصري وبانت البصرة تستورد الرز بعد أن كانت تصدره ولنا أمل وطيد بأن
يعاد المجد التجاري والزراعي لمدينتنا الحبيبة .

وكان من أهم الآفات التي تؤذي البصرة مياه البحر المسماة (ماء الموح)
فهو يقد الى هذه المدينة ليغمر اراضيها وقد حدث اخيراً ان نظم هذا الماء موعده
غزوه فكان يأتي كل عشرين سنة تماماً .

فلقد غمرت مياه البحر أرض البصرة سنة ١٢٥٣ هـ وفي زمن احمد جلبي
وهي السنة التي اخذ بها علي باشا المحمرة حيث أرخت بالقول : (أنها وأشعل
النيران فيها ١٢٥٣ هـ) .

ثم جاء الماء سنة ١٢٧٣ هـ واذا كانت زيارته الاولى دامت نحو من
شهرين فقط فان هذه الزيارة دامت نحو من خمسة اشهر وكان ذلك في زمن
(رشيد بك الكوزلكلي) وكان حازماً شديداً قام ليرد طغيان هذا الفيضان

الوبيل وحده عن المدينة . . كما كان هو الذي تمكن من استخلاص مقاطعات
نهر خوز ومهيجران من ايدي الممتفك وكان بعده منيب باشا سنة ١٢٧٧ هـ قد
تمكن من طرد الاعراب عن املاك الاهالي بعد ان كانوا قد احتلوها بالقوة .

وجاء الموح مرة ثالثة سنة ١٢٩٣ هـ وفي زمن ناصر باشا السعدون الذي كان
يحمل رتبة (امير الامراء) حسب امر سلطاني صدر في ٢٦ شوال سنة ١٢٨٣ هـ
ثم في ٢٩ شوال سنة ١٢٨٦ هـ رفع الى رتبة (مير ميران) وفي تاريخ ٧ جمادى
الآخرة سنة ١٢٨٨ قلد وسام المجيدي ثم في ١٧ رجب سنة ١٢٨٨ هـ بدلت رتبته
الى (بكربكي) وفي ٢٢ رجب سنة ١٢٩١ هـ وجهت اليه ولاية البصرة مع رتبة
وزير وسافر الى الاستانة في ٢٣ رجب سنة ١٢٩٢ هـ عن طريق بغداد ثم
عند رجوعه حاول فصل البصرة عن بغداد وكان قد حدث بينه وبين قاسم باشا
الزهير مشادة حاول بعد ذلك قتل قاسم باشا الذي هرب الى الاستانة ليقدم شكايته
فكان أن يفصل ناصر باشا عن ولاية البصرة ثم عين في مجلس - شوراي
دولت - الى أن توفي في الاستانة في ٩ ربيع الاول سنة ١٣٠٣ هـ كانون
الاول سنة ١٨٨٥ م .

وكان آخر ماء موح غمر أراضي البصرة هو الذي حدث سنة ١٣٣٣ هـ وفي
زمن صبحي بك وكان قبله ماء الموح قد جاء سنة ١٣١٣ وفي زمن الفريق
حمدي باشا ولم يدم طويلا .

وكان ماء موح سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م أثناء الحرب العظمى الاولى حيث
غمرت المنطقة بين البصرة والزبير والشعبية الى القرب من الناصرية مما حول
الحرب الى صعوبة ثانية فوق صعوبتها وقد تعبت كل من الدولتين المتحاربتين

الانكليزية والتركية في الهجوم والدفاع وكانت معركة الشعبية قد حدثت في ١٢ نيسان سنة ١٩١٥ م ودامت ثلاثة ايام انتهت بانكسار العثمانيين وكان الجيش الانكليزي قد غطى ظهره بمياه هذا الماء .

وبعد الانتهاء من معارك جنوب العراق بني سد كبير لحماية البصرة ومدت السكة الحديدية التي تصل البصرة ببغداد على هذا السد الذي انشئ في منطقة (خرطراد) وهي منطقة مأخوذة من (الحر) وهي الارض التي تغمرها مياه (طراد) وهي ارض منبسطة تستخدم لطراد الخيل والعباب الفروسية والسباق . ولقد تخلصت البصرة بعد إقامة هذا السد من مياه البحر والافكانت المدينة تعزل عن كثير من المناطق اثناء وجود هذا الماء وكان الناس يركبون الزوارق والابلام للتنقل بين البصرة والشعبية والزبير .

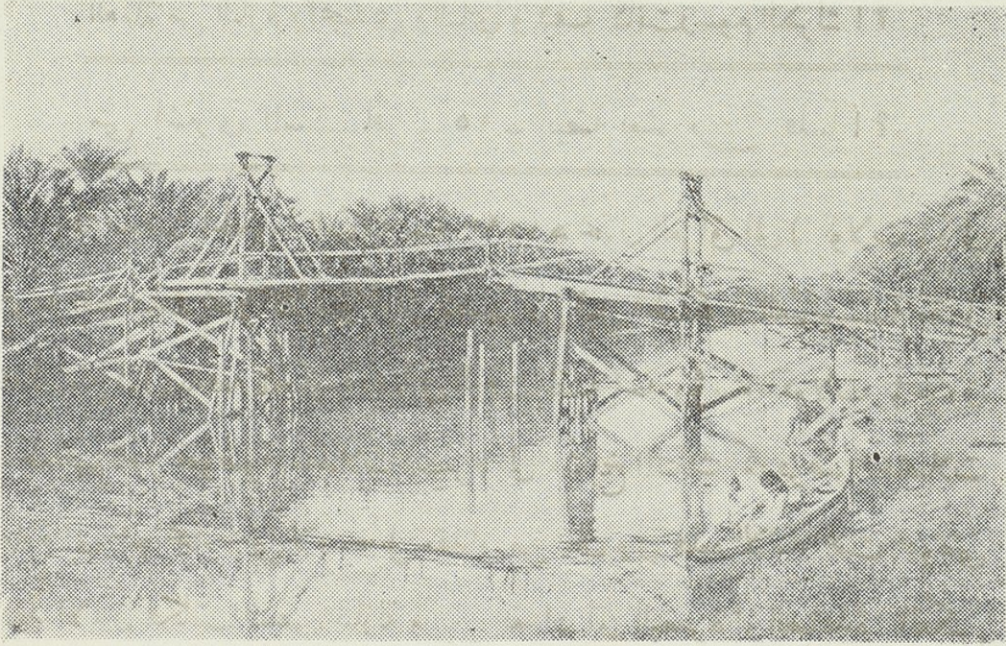
وهذا السد حافظ على البصرة من مياه البحر فقد عرضها لمياه فيضان دجلة والفرات والأهوار حيث ان هذه المياه كانت تنفذ الى البحر ولكنها اصبحت اليوم تغمر الاراضي المحيطة بها كما تغمر البساتين وتعرض اشجارها للتلف ومن أهم المناطق التي تتأثر بمياه الفيضان هي منطقة (كرمة علي) على نهر كرمة علي الذي يقال انه كان قبل ثمانين سنة يعبر بدون جسر وان مياهه كانت ضحلة جداً الا أن مياه الاهوار وسعته وعمقته .

ويقال ان اهالي البصرة كانوا يخرجون ايام ماء الموح للترهه واحياناً يبيتون الليل في الصحراء وعلى برودة الجو كما ان ماء البحر المالح كان يجرف معه الامماك البحرية ومنها النوع المعروف (الخباط) كما كان يجرف الموجات العظيمة من (الروبيان) فكان الناس يكثر من الصيد ويملاؤن المخازن الارضية والطينية

منها حتى اذا انخفضت المياه سهل صيد باقي الاسماك .

أما بعد رجوع ماء البحر فان الارض تصبح ملحية الى درجة ان الملح كان يبلغ ارتفاعه من الارض احياناً ثلاثين سنتيمتراً فكان الناس يجمعونه لاستعمالهم المنزلي كما كان يصدر الى الخارج .

ولقد سهل ماء الموح تجارة الملح مع بعض الاقطار المجاورة وخاصة ايران كما كانت الهند تستورد الملح البصري النظيف الذي كان الأهالي يعتنون به زيادة على أن التجار كانوا يبنون لهم محلات على شاطئ العرب لشراء الملح البصري الذي كان يطحن أحياناً بمطاحن خاصة ثم يعبأ في اكياس ويصدر للخارج وتبقى هذه العملية اكثر من سنة حيث تدر على الأهالي بالأرباح .



﴿ جسر بصري قديم ﴾

في الفترة المظلمة

الوقية الباذنجان والشجر بفلس وحقبة المشمش بفلسين ١١

وسائط النقل على الخيل والحير والابلام العشارية والنصارية ١١

اسماء البواخر النهرية والبحرية التي كانت ترسو في شط العرب ١١

طابع البريد من البصرة الى بومبي وقيمته سنة ١٨٦٣ م ١١

العملة من البارة والمجيدي والباي وكيف كانت رسوم الكرك ١١

متى اشترى المسافر - ١٥ - بيضة بعشرين فلساً ١١

ولما ضعفت الحكومة العثمانية سنة ١١٩٣ هـ تحول العراق الى (كولات) وهي مجموعة اقطاعات يحكم كل منها أمير ينصب من قبل الحكومة العثمانية مقابل مقدار من المال يدفعه للحكومة بينما في الوقت نفسه اخذ رؤساء الكولات يؤجرون مقاطعاتهم للغير ففوضوا حاصلات البصرة الى مشايخ المنتفك كما فوضوا حاصلات العمارة الى ابو محمد وبنو لام مقابل مقدار من المال وفي هذه الاثناء عمت الفوضى وقد الامان فكانت السفن النازلة من بغداد الى البصرة او العاصدة بالعكس لا تسير الا بصورة قوافل يبلغ عدد القافلة احياناً المائة ومع ذلك كانت تقف في ثلاثة عشر موقف لتدفع (الخاوه) الضريبة للعشائر والادمرت .

وكانت مجموعة هذه السفن تسمى (الكار) وهي تضم مجموعة من السفن الصغيرة السريعة التي تدعى (ماشوه) وجمعها ماشوات .
ومما يساعد على الفوضى مهاجمة كريم خان زند للبصرة وتناوب الولاة فكانت الحالة ان تنتقل في ثوبيني واستيلاء المنتفك على البصرة واملاكها الى ان جاءت سنة ١٢٦٨ هـ حيث تمكن والي البصرة اسماعيل باشا من تخليص مقاطعات ابي الخصيب والفياضي ويوسفان ومهبجران ونهر خوز من ايدي المنتفك واعادتها الى اهلها الشرعيين الذين تعاونوا مع الحكومة واخذوا يدفعون الضرائب عن طيبة خاطر حتى اذا كانت سنة ١٢٨٦ هـ جاء البصرة الوالي منيب باشا الذي طبق نظام الجريب الذي ارتاح له الناس جميعاً . .

وكانت مقاطعات البصرة الجنوبية غنية بفواكهها ومخضراتها التي اشتهرت بالرخص كما كان التمر رخيصاً والحبوب والبقول كذلك .
فبيع الطماطة بالاقفاص فكان قفص الطماطة الذي يحتوي على ٣٠ حقة بصرية يباع بالجملة بربع مجيدي أي ٥٠ فلساً كما كانت تباع كغونية (كيس) البامية والذي يحتوي على معدل ٥٠٠٠ اصبع بنصف مجيدي ١٠٠ فلساً ومما تجدر الاشارة اليه ان البامية تباع في البصرة بالعدد منذ زمن بعيد .

أما الشجر والباذنجان فتباع الوقية البصرية بخمس بارات أي اكثر من الفلاس بقليل . . كما ان سعر العنب والتفاح والخوخ والمشمش والرمان الحقة بعشر بارات .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الغلاء الذي حدث في العراق سنة ١٢٠٢ هـ والذي سمي (القحط) او الذي دعي (قحط خسباك) لم يؤثر على رخص المعيشة في

في البصرة حيث يبيع عثق الموز الذي يحتوي على معدل ٣٠٠ موزة بمجدي
٢٠٠ فلساً مع لذة موز البصرة وطعمه والذي دعى العباس بن علي المكي صاحب
كتاب نزهة الجليس وهو من رجال النصف الأول من القرن الثاني عشر أن
يتمدح هذا الموز فقال فيه :

لموز احسان بلا ذنوب ليس بمعدود ولا محسوب
يكاد من موقعه المحبوب يدفعه البلع الى القلوب
وهكذا أثبت بأن البصرة عرفت الموز من نحو ثلاثة قرون مضت وليس كما
يدعي يعقوب سر كيس في كتابه مباحث عراقية بأن زراعة الموز حديثة
جداً في البصرة .

* * *

وسائط النقل الراحلية :

وكان التنقل داخل المدينة بين الاسر والافراد واصحاب المصالح يجري
بواسطة الدواب من حمير وبعال حيث تسرج بسروج جميلة ومنخرقة .
اما اصحاب الرتب العالية والموسرين فكان تنقلهم على الخيول التي كانت
مجلبة للمفاخرة فكانت على انواع وكانت الخيول العربية الاصيلة قد استقرت
في البصرة .

ثم هناك حمير وبعال للاجرة الطويلة والشاملة سواء للتنقل والسفر او لنقل
المحصولات والحاجيات والأعمال الثقيلة .

وكانت هناك ساحات (مسطحات) لوقوف هذه الدواب كما بنيت عدة
اكشاك وصرائف وعرائش (صوبات) لاصحاب هذه الدواب ولربما احتاج

الشخص الى عدد كبير من هذه الدواب حتى تصبح احياناً على صورة قافلة يسير معها المكاري (مجاري) .

أما الأجور فكانت حسب المسافة والحمل ووعورة الطريق وأمنه وحسب الفصول من حيث الحر والبرد كما كان ينظر الى شكل الدابة وقوتها والرجل والسرج الموضوعان عليها .

ثم تدرج الوضع فاصبحت هناك عجلات - عربات - تجر قسماً منها الدواب والقسم الآخر تجره الخيول التي كانت هي ايضاً على اصناف عديدة من حيث الجودة والاصالة حتى ان قسماً من الخيول سرجت بالفضة والذهب وقسماً من مساند العربات كان مزيناً بالذهب .

أما الحاصلات الزراعية فتنتقل من المزارع والقرى الى الاسواق والمدن والمخازن او الى السفن والمراكب على ظهور الدواب وانواع رخيصة من الخيول والحصان المسمى (كديش) .

ولقد استحصل أحد اصحاب هذه الدواب سنة ١٩١٢ م عوضاً عن تحميل تسعة حمير كل حمار كان يحمل ثلاث كواني من الحنطة من حمدان الى البصرة مجيدي ونصف ٣٠٠ فلساً علماً بأن قيمة الحمار الواحد كان عشرة مجيديات .

أما بعد سنة ١٩٠٩ م حيث قص سليمان نظيف بك طريق بصرة - عشار فكان الشخص يدفع ٥ بارات أو ييزه واحدة عن اجرة حمار يمتطيه من احد محلات الاجرة في البصرة ثم في العشار يتسلمه منه شخص آخر . وكذلك كانت الوسطة الثانية لنقل الأثمار والحاصلات والأثقال والاشخاص هي السفن والابلام وكانت الابلام - القوارب - على نوعين : عشارية ونصارية فكان البلم العشاري

يستخدم للسفرات والنزهة والتنقل القريب بينما كان النصارى يستخدم
للحمولات والسفرات البعيدة .

وأما أهم ما كانت تنقله هذه الابلام هو التمر حيث تقف السفن الكبيرة
والمراكب لنقله الى الخارج والتمر البصري يتحدث عنه ابن بطوطة عند زيارته
للبصرة سنة ٧٢٥ هـ فيقول انه شاهد في البصرة اربعة عشر رطلا عراقياً من
التمر بيعت بدرهم واحد .

وكذلك كانت السفن المسماة (مهيبة) ثم تحولت الى (فلكة) وهي سفينة
ذات ماكنة كانت هذه تنقل المسافرين كما جاءت مؤخرآ الماطورات - زوارق
بخارية - التي استخدمت اولاً لمدير الشرطة ورجال الكمارك والوالي ثم اشترت
من قبل المترين وفي مقدمتهم السيد عبدالرحمن نقيب البصرة .

وكانت اجور السفر بالسفن الى بغداد غالية بالنسبة للحالة المعاشية وذلك
نظراً للصعوبات والضرائب التي تدفعها السفن للعشائر فكان المسافر يدفع ليرة
عثمانية لسفره في السفن الشراعية ثم تحول السفر الى المراكب البخارية فكانت
الاجرة ليرة ونصف والى ان كانت سنة ١٩١٨ حيث صارت الاجرة في الدرجة
الأولى ١٢ ربية والدرجة الثانية ٨ ربيات والثالثة ٥ ربيات كما كانت اجرة السفر
بالدرجة الثالثة بالقطار من البصرة الى بغداد سنة ١٩٢٠ م ثلاثة عشر ربية وربع
ثم انخفضت الاجرة الى ٤٠٠ فلساً سنة ١٩٤٠ ثم بعد الحرب العظمى الثانية
اصبحت الاجرة ٧١٠ فلساً وهي الى اليوم ثابتة .

* * *

بواخر النقل النهريّة والبحريّة

وكانت البواخر تقف هي والسفن امام ابي الخصيد ومهيجران وغيرها من قرى جنوب البصرة لتتنقل الحاصلات الزراعية والحيوانية الى انحاء العالم وكان من اهم تلك البواخر تلك المسماة - دياالى - ديالة والتي كان اسمها قبل ان تشتريها الحكومة العثمانية - كوكرا - وقوتها ١٢٠ حصاناً .

ومعلوماتنا عن هذه الباخرة ان الحكومة ارسلت المهندس مسعود بك البلجكي الى الهند لشراء باخرة نهريّة مع جنبيتين وقد رجع الى البصرة بتاريخ ٢٢ اذار سنة ١٨٧٠ م بعد أن اشترى الباخرة (كوكرا) مع جنبيتين بمبلغ خمس وستين الف روبية على أن تصل البصرة قريباً .

وبتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٧٠ م وبينما كانت الباخرة (كوكرا) في فم الخليج العربي وهي في طريقها الى البصرة اصطدمت بصخرة بحرية كبيرة فتضررت فارسلت الحكومة العثمانية من البصرة الباخرة (فوكس) والتي سميت اخيراً (انور) لسحبها وفعلاً سحبت كوكرا وصلحت في البصرة وانهي من تصليحها في ٢٢ نيسان سنة ١٨٧٠ م وقد سميت بعد ذلك - دياالى - ديالة .

وكذلك كانت هناك بواخر نهريّة وبحريّة ترسانتها في البصرة ومنها الباخرة نجد قوتها ٢٥٠ حصاناً والباخرة انور وقوتها ١٢٠ حصاناً والباخرة الموصل ٨٠ حصاناً والباخرة زبيدة ٧٠ حصاناً والباخرة الرصافة ٦٠ حصاناً والباخرة بغداد ٥٠ حصاناً والباخرة مسكنة ٤٠ حصاناً والباخرة تلعفر ٣٠ حصاناً والباخرة البصرة ٢٥ حصاناً .

وهناك بواخر نهريّة باسماء زنوبة وحميدية ومجيدية ودجلة والفرات وفلتا

ويسميه العوام (فالتو) كما كانت تأتي من الهند كل من الباخرتين - ي مثل
ودامرا - وهما تحملان البريد الاسبوعي وفيهما محلات للسفر وهي على ثلاث درجات
اولى وثانية وثالثة حيث بعض الركاب ينزلون على ظهر الباخرة او مخازنها
- العنابير - حيث ان علاقة الهند خاصة (كراچي) عاصمة باكستان اليوم كانت
دائمة مع البصرة نظراً لكثرة الزوار الذين كانوا ياتون لزيارة العتبات المقدسة
في كربلاء والنجف الاشرف .

ثم هناك مركب الحدباء الذي كان بقوة خمسة حصن وهو يعمل مع المركب
(الشهباء) والذي قوته سبعة حصن في تطهير وكشف نهري دجلة والفرات .
كما كان مركب الفيحاء الذي اشتراه السيد عبدالرحمن نقيب البصرة ووهبه
للحكومة العثمانية .

ثم اشترت الحكومة مركباً كبيراً بقوة ٣٥٠ حصاناً وسعته ١٧٠٠ طناً وفيه
منام ٢٨٠ راكبا وكانت قيمته ٣٣٥٠٠ ليرة عثمانية وبات يعمل بين البصرة
وقناة السويس التي تبعد عن البصرة ٣٣٢٢ ميلاً وسمته - بابل - وكان يسير
بين البصرة واستانبول مرة في كل ثلاثة اشهر ولقد كان له فضل كبير على نقل
ابناء البصرة وطلابها ورجالها وتجارها ونوابها الى العاصمة ايام المناسبات خاصة
وان الحكومة العثمانية وفرت فيه جميع اسباب الراحة وزادت في تصليحه حتى
بلغ مقدار ما صرفته عليه ثمانين الف ليرة .

وبالحقيقة ان علاقة البصرة التجارية مع انحاء المعمورة لم تكن بمحيثة العهد
فلقد ذكر المسعودي ان تاجراً من سمرقند خرج بتجارة كبيرة متوجها الى البصرة
حيث حل فيها واتفق مع تجارها وسافر بعد ذلك بطريق البحر الى عمان ثم الى

مدينة - كلاه - حيث تنتهي اليها مراكب المسلمين من البصريين والعمانيين
والسيرا فيين كما تنتهي اليها المراكب القادمة من الصين بينما كانت قبل ذلك
البواخر الصينية تصل الى نفور المسلمين كما كانت البواخر الاسلامية تصل
نفور الصين .

أما سبب هذه القطيعة وهذا التوتر انه في سنة ٨٧٨ هـ قامت ثورة - هوانغ
شوا - المسلحة في الصين أدت الى هدم العاصمة - ككتون - وقتل عدد كبير من
أفراد الجاليات الاجنبية بما فيهم التجار العرب وهذا أدى الى توتر العلاقات
ثم المفاصلة ولكن بعد زمن تم الاتفاق بين الجانبين على الالتقاء في - كلاه -
الواقعة في شبه جزيرة الملايو .

وكانت في الصين جاليات اسلامية وعربية كبيرة كما كانت العاصمة ككتون
تضم عدداً من المساجد الاسلامية وكان للمسلمين امتيازات خاصة وقضاة خاصين
أما بعد ذلك فقد اختيرت البصرة لتكون نقطة تجمع تجارة المسلمين ثم السفر
منها على صورة قوافل بحرية والتوقف في - كلاه - حيث بقيت الصين بعد ثورة
- هوانغ شوا - نحو ثمانين سنة في اضطرابات ومنازعات .

وبعد هذا توثقت العلاقات التجارية بين البصرة ومدن جزر سومطرة والهند
وخاصة كلكتا وبومبي ثم كراچي مما أدى الى ان عدداً كبيراً من الهنود
يسكنون البصرة بينما سكن الهند عدد كبير من العراقيين وصارت المراسلات
التجارية بين الطرفين وكان للبريد فضل على هذه الاتصالات .

أما البريد : فكان هناك بريد خارجي منتظم ينقل عن طريق البصرة ويسمى
بوسطة وكانت اهم البواخر البحرية التي تنقل هذا البريد هي الباخرة المسماة

(هيولنديسي) التابعة لشركة الهند وكانت تعمل بانتظام بين البصرة والهند ولكنها تحطمت سنة ١٨٦٣ م في مدخل - لنجه - في الخليج العربي .

والباخرة هيولنديسي هي التي افتتحت الخط البريدي البحري بين بومبي وقناة السويس .

أما اجور البريد فكانت غالية بالنسبة للحالة المعاشية في ذلك العهد حيث أن طابع البريد على الرسالة من البصرة الى بغداد ربع مجيدي ٥٠ فلساً كما كانت اجرة البريد - الطابع - على الرسالة من البصرة الى الهند نصف مجيدي ١٠٠ فلساً واذا فرضنا ان الشخص كان يقدر ان يشتري في نصف مجيدي ١٠٠ بيضة دجاج وفرضنا ان معدل قيمة البيضة اليوم ١٥ فلساً تكون اجرة البريد بالنسبة للوقت الحاضر من البصرة الى الهند ١٥٠٠ فلساً .

وجاء في مذكرات احد كتاب البواخر في ذلك العهد وقد كتبها في ١٥ كانون الاول سنة ١٨١١ م بانه بتاريخ ٨ رمضان سنة ١٢٢٦ هجرية وصل المركب (باكيت) من بومبي وفيه بريد لنا وهي عدة مكاتيب مسجلة ولكنه لم يذكر كيف كان يتم تسجيل المكاتيب وهل كانت هناك رسائل غير مسجلة ام لا ؟ .

ومما يلاحظ ان المركب المسمى - مناريس - هو الذي كان يحمل البريد المسجل واذا كان البريد قد ساعد على توثيق العلاقات التجارية بين البصرة وانحاء المعمورة فان مد خط التلغراف من استانبول الى البصرة ماراً ببغداد سنة ١٨٦٠ م سهل الاتصال اكثر من السابق .

ولقد عين لمسؤولية التلغراف في البصرة موظفون من الاتراك وكان كل شيء

تركياً الى أن عين - كالوتي افندي - في ٢٧ آذار سنة ١٨٦٦ م بوظيفة رئيس
موظفي التلغراف في البصرة فكان ان يدخل ابناؤه البصرة في هذه الوظيفة وأخذ
يدربهم على الارسال والقبض فكانوا بعد ذلك نواة لاستلام هذه الوظائف .
ويقال ان برقية من خمسة عشر كلمة من البصرة الى استانبول سنة ١٩١٠ م
كانت اجرتها ٢٥ قرشاً وهي باهضة بالنسبة للحالة المعاشية ايضاً خاصة بعد أن
اصبح التجار البصريون على اتصال بتجار بغداد وتجار استانبول ودار الخلافة .
وكان للبريد والتلغراف مديرية - باش مديريت - وكانت تشمل على
ولاية بغداد والبصرة والموصل ثم بعد ذلك اصبحت البصرة شبه مفصولة حيث
زادت أهميتها فصارت لها دائرة خاصة .

ولقد كتب ميخائيل عبود في مذكراته عن البصرة سنة ١٨١٠ م يقول بان
التر قد اشتغلوا في وظائف البريد ولكن الحقيقة ان التتر كانوا يستخدمون في
نقل البريد فقط وذلك لأنهم يتحملون المتاعب في نقله خاصة وان بعض البريد
كان ينقل على ظهور الخيول والدواب في المحلات النائية والطرق غير المعبدة حتى
سمي البريد الذي يأتي عن طريق الأناضول بالبريد التتر - بوسطة التتر - والتتر
(هي البغال القوية) .

واردات البصرة :

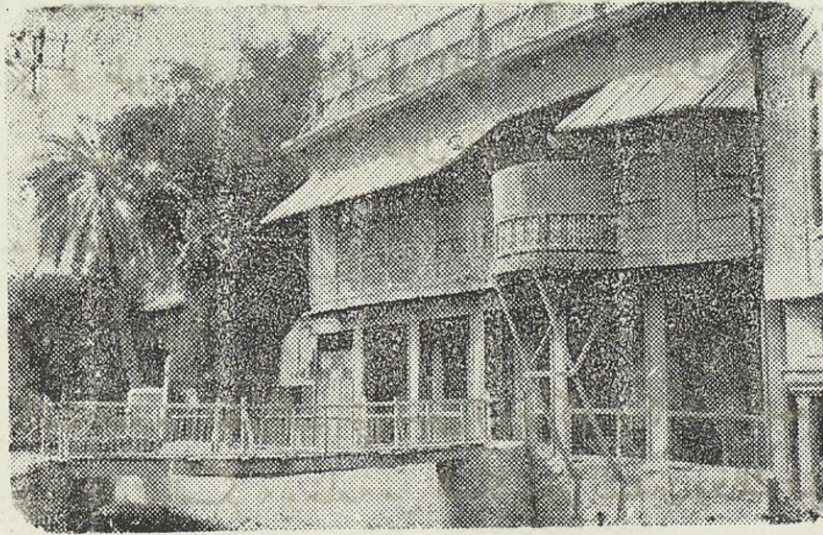
وكانت تجمع من الضرائب التي تسمى (ويرگو) كما كانت تجمع الاموال
عن طريق البدلات العسكرية وخاصة من السكان غير المسلمين وذلك قبل صدور
الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م .
ثم هناك واردات الاوقاف التي استخدمت اخيراً في الصرف على المدارس

زيادة على ما كان يدفعه التلميذ من اجور الدراسة .

وعلى سبيل المثال نقول ان واردات البصرة سنة ١٨٩١ م كانت ١٠٤ آلاف قرش من رسوم الاغنام واربعة ملايين ومائة وتسعة وعشرين الف قرش من حاصلات الأشجار ومائة وثلاثة وعشرين الف قرش من حاصلات متنوعة ومائة وثمانية آلاف قرش من رسوم متنوعة فيكون المجموع ٤٤٦٦٠٠٠ قرش .

وهذه الواردات ما عدا واردات البريد والتلغراف والجمارك التي بلغت ٢١٨٧٠٠٠ قرش كما كانت هناك رسوم للطابو والاملاك ورسوم المحاكم ورسوم متنوعة من ضرائب التبغ وكانت تسمى (رثري) .

وفي سنة ١٨٩٦ م بلغت واردات البصرة ١٩٠ الف ليرة أي اكثر من تسعة عشر مليون قرش كما كانت الواردات لسنة ١٩٠٤ م ١٧٠ الف ليرة وهذا النقصان سببته بعض الاضطرابات .



بيت بصري قديم

وكانت هناك رسوم كارك تؤخذ على المرور (ترانسيت) أما الذين كانوا
الواسطة في هذا المرور في البصرة فهم تجار من حلب ومن اشهرهم آل رزق
وآل أصغر وآل عبود .

وكان هناك طريقاً برياً يربط حلب بالبصرة رأساً دون أن يمر ببغداد أو
أي مدينة كبيرة ولقد سلكه الرحالة (ديلافاله) الذي سافر من البصرة في ٢٢
مايس سنة ١٦٢٥ م فوصل حلب في ٣٠ تموز من السنة نفسها .

كذلك تحدث الرحالة (بارسنس) الذي زار البصرة سنة ١٧٧٤ م فقال ان
التجار الحلبيين في البصرة يجلبون اموالا اوربية عن طريق حلب ليبيعوا قسماً
منها في العراق والباقي يحموه بالبواخر الى الهند والصين وامارات الخليج التي
كان التجار الحلبيون يشترون منها القوؤل و يرسلونه الى تركيا واوربا وهكذا
تحصل الحكومة على ضرائب الترانسيت .

وفي سنة ١٨٠١ م وصل سعر كيس القهوة ٣٠ ريالاً مع ان سعر الشراء
٤٠ ريالاً وذلك بسبب انقطاع مصر من شراء القهوة لأن اضطرابات حدثت
فيها وتكدست كمية القهوة حيث كان مقدار كبير منها لا يزال من سنة ١٨٠٠
لم يصرف وعلى هذا قام التجار الحلبيون في البصرة بشراء القهوة والعمل على
الدعاية لها وعرفوا كيف يصرفونها في سوريا ولبنان واليونان وباقي اوربا وهكذا
تمكنوا من انقاذ التجار البصريين من افلاس محقق عمل الحلبيون وعملت
حلب على ابعاده .

ولقد تحدث (ناصر خسرو) عن زيارته لحلب سنة ٤٣٨ هـ وكان حاكماً
- معز الدولة من بني مرداس - فقال ان حلب تتمتع بيسار ورخاء اذ تلتقي عندها

طرق التجارة الشامية والرومية والعراقية والمصرية .

كذلك تحدث عن حلب الطيب العراقي البغدادي (ابن بطلان) وهو مسيحي رحل من بغداد سنة ٤٤٠ هـ - ١٠٩٤ م فزار حلب واللاذقية وانطاكية والفسطاط فقال انه شاهد في حلب عشرين دكانا لوكلاء بيع يبيعون فيها كل يوم متاعا قدره ٢٠٠٠٠٠ دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى اليوم .

وقال (ابن جبير) عن حلب في رحلته بان موضوعها ضخمة واسواقها واسعة والزائر يخرج من سباط صنعة - مصنع - الى سباط صنعة اخرى وهكذا كما فيها من التجار والتجارة شيء عظيم .

أما عن واردات الكمارك :

فان نظام الكمارك في العراق يرجع عهده الى الحكم العثماني في النصف الثاني من القرن العاشر للهجرة حيث وردت في بعض الفرامين العثمانية وكذلك في فرمان الذي اصدره السلطان سليمان القانوني بتاريخ ٦ محرم سنة ٩٣٥ هـ - ١٥٢٨م بالموافقة على المعاهدة الكركية التي وقعت بين قنصل فرنسا في الاسكندرية وحكومة المماليك في مصر والتي كانت تمثل السلطة العثمانية وعلى ذلك فان العراق بعد أن دخل في الحكم العثماني عرف نظام الكمارك .

ولفظ الكمر كلاتينية الاصل (كوميرجيوم) ومتكونة من كلمتين وتعطي بالعربية معنى (مع البضاعة) وعند صياغتها حسب اللفظ تقصد مبادلة التجارة ، ثم اخذها الايطاليون وحرفوها الى (كوميركو) واخيراً أصبحت حسب الاصطلاح التركي كمرك .

وكانت هناك نظارة عامة للكمارك في العراق كما هناك مديرية عامة في البصرة

وكان اشهر نظارها الحازمين (صالح افندي خزنة كاتبي) وذلك سنة ١٨١٤م وهو الذي بمساعدته وبجهوده بنى كرك البصرة الواقع على ضفاف شط العرب وعلى صدر نهر العشار حيث شيدت معه عدة مخازن لحفظ الاموال وكان هذا الكرك قد تعرض للنهب وذلك بعد انسحاب العثمانيين من البصرة في الحرب العظمى الاولى وكان نهبه في ٢٠ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ م ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ هـ .
وكانت الاوامر تصدر الى كرك البصرة من بغداد حتى جاء في مذكرات الكاتب (ميخائيل يوسف عبود) انه بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨١١ صدر أمر من والي بغداد (عبدالله باشا) الى والي البصرة (ابراهيم اغا) بزيادة فئات الكرك حسب متطلبات الوقت .

وفي الحقيقة ان الكرك كان في البصرة كما قال المستر (لونكريك) في كتابه اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: رسومه خمسة بالمائة ولكن كان بالامكان التسامح من الكرك او من الامير بحيث يصبح الرسم اربعة بالمائة او اقل .
ثم بينما كان الرسم على التمر ثلاثة بالمائة رسمياً فان الكمارك تأخذ اثنين بالمائة وتسمح لكمية كبيرة ان تصرف بدون رسم مقابل رشوات خاصة .
واذا اردنا ان نجمع كل هذه الواردات التي ذكرناها نرجع الى قول مستر (لونكريك) فهو يقول ان امير البصرة كان حسن التدبير حاذقاً بحيث كان يوفر ثلاثة ملايين ليرة في السنة .

* * *

بعض انواع العملة في البصرة :

كانت المعاملات مع الاجانب تدفع ذهباً ونقدها (الليرة) التي كانت تدعى

مرة حميدية ومرة عمانية حسب السكة والصنع وكان المجيدي يساوي عشرين قرشاً والليرة تساوي خمسة مجيديات .

وهذه القيمة لليرة في زيادة ونقصان فبينما كانت الحكومة تنظر الى قيمة النقد بمنظارها الخاص كان الشعب وفي مقدمتهم التجار والصارفة والباعة ينظرون اليه بمنظار آخر حتى سميت اقساماً من الليرات بالمغشوشة باعتبار وجود مادة كبيرة وغريبة في جوهر الصنع وعلى هذا الاساس اصبحت الليرة تساوي مائة واربعين قرشاً والى ان جاءت سنة ١٩٠٩ م صارت قيمة الليرة مائة وقرشين واربع وعشرين بارة وهذه الأربع والعشرين بارة تساوي ستين بالمائة من القرش .

وكان الصيارفة يرمزون الى القرش العادي الراجح أما القرش الذي يتفقون على ثباته فيرمض اليه بالقرش الصاغ .

أما في البصرة فالقرش العادي الراجح كان يدعى (متليك) او متاليك وهو مأخوذ من لفظ افرنجي - متلك - ومعناه معدني .

وكذلك استعملت البصرة المتليك بعد الحرب العظمى الاولى فكان يعادل يزينين من العملة الهندية علماً بان البيزة هي جزء من اربع وستين جزء من الروبية وعلى ذلك يكون المتليك جزء من اثنين وثلاثين جزء من الروبية .

ولما كانت الروبية تساوي ٧٥ فلساً من عملتنا الحاضرة وهي تساوي ٦٤ بيزة فعلى ذلك تكون قيمة المتليك تساوي فلسين وحوالي خمسة وثلاثين بالمائة من الفليس أما وحدة العملة في البصرة فكانت المجيدي فكان الشخص يقول بكذا مجيدي اشتريت وبكذا مجيدي بعث كما وكان المجيدي قياس رواتب الموظفين وخاصة منهم الصغار .

والمجدي اجزاء منها النصف والربع كما كانت هناك عملة تدعى (قران)
وتساوي ثمانية قروش ونصف قران وتساوي اربع قروش وعملة من ذات القرانين
وتسمى - منكنه - .

وكان القران على نوعين فهناك قران قد سك وهو على شكل دائرة منتظمة
ويسمى قران چرخ كما وهناك قران غير منتظم الاستدارة ويسمى قران ابودبيلة
ثم بالحقيقة ان النقد الايراني كان رائجاً في البصرة نظراً لقرب ايران
ولقوة العلاقات التجارية والاحتكاك الشخصي والمصاهرات وغيرها فكانت
(الشاهية) الايرانية التي سماها اهل البصرة فلساً كما كانت هناك الشاهيتين
والمسماة فلسين وعملة ذات ثلاث شاهيات وقيمتها قرش رائج .

وكان يستعمل القمري الايراني الذي كان في زيادة ونقصان وسمي بالقمري
لان على أحد وجهيه ضرب هلال وكانت قيمته خمسة قروش ولذا سمي (بیشلغ)
أي ذات الخمسة .

وهناك الشاهي ويسمونه في غير البصرة بالقرش الرومي وكانت البصرة تتعامل
به في تجارة التمور فقط وكان قد فقد من الاسواق والايدى ولكنه كان عملة
تداولها الالسن والاقلام وتباع بها التمور وتشتري دون وجود للشاهي .

وبدأت العملة الهندية تدخل البصرة منذ عهد قديم فان (بهادر شاه) حاكم
منطقة كجرات الهندية وهو مسلم كان قد طلب الحماية العثمانية المسلمة ضد البرتغاليين
وذلك سنة ٩٤٣ هـ ثم زادت علاقة الحكومة العثمانية بالهند بعد ارسال الاستانة
قوة بحرية ومعدات عثمانية لمساعدة بهادرشاه وبدأت العملة التركية تدخل اسواق
الهند بينما انتشرت العملة الهندية في البصرة .

وكذلك زادت العملة الهندية في ايدي البصريين بعد ان فتحت شركة الهند الشرقية فرعا لها في البصرة وهي شركة هولندية وذلك سنة ١٦١٠ م وكانت تتعامل بكلا العملتين الهندية والتركية .

أما الوحدة الاساسية للعملة في الهند فهي (الروبية) وكانت هناك عملة لنصف روبية وربع روبية وتدعى قران ثم نصف قران ثم (آنة) وهي ربع قران كما وهناك البيزة واخيراً (الباي) وهي جزء من ثلاثة اجزاء من البيزة .

ومن مضاعفات الروبية كانت العملة من ورق فمنها الورقة ذات الروبيتين والعملة ذات الخمس روبيات والعشر روبيات والمائة روبية .

أما اعراب المنطقة الجنوبية من العراق فكانت كل معاملاتهم بالقران ويتحدث النبهاني عن رحلته من البصرة الى بغداد بالباخرة (زنوبة) فيقول انه تحرك من العشار يوم ٢٩ محرم سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ولما وصلت الباخرة القرنة وقفت ونزل الركاب فاشتروا كل ١٥ بيضة بقيمة قران واحد كما اشتروا دجاجة كبيرة بقران .

والمعروف ان الاعراب هؤلاء باعوا البيض والدجاج بثمان غال بالنسبة للوقت وباعتبار ان الحاجيات في المحطات ومحلات استراحة المسافرين تباع باغلى من ثمنها العادي .

هذا والقران الهندي يعادل عشرين فلساً من عملتنا الحاضرة ، وعسى أن يعود الرخص والرخاء الى ربوع وطننا الحبيب لتقضي على الجوع والفقر وترفل في أبواب السعادة والرفاه . .

البصرة في ٤٠٠ سنة

صفحات من الفترة المظلمة ..

البصرة تقاوم الطاعون والقحط والجراد والثلوج ..

ابو ذويل اكبر مذنب يظهر في سماء البصرة وهو على شكل سيف .

متى عرفت البصرة التطعيم بالثوم وان التمر لا يحمل مكروب الطاعون ..

أول جمعيات تعاونية وفلاحية تأسست في البصرة ..

متى صدر أول نظام طابو ونظام أراضي وهل طبقا حرفياً في البصرة ؟

أول انتخاب يجري لمختاري البصرة مع نموذج لبرقية قاضي الشرطة ..

لو كانت البصرة غير هذه البصرة الاصيلة الشائخة لما تمكنت من الوقوف في وجه الزمن مثل هذا الموقف الكريم وهي الحاضرة الاسلامية التي اصيبت بالكوارث اكثر مما اصاب أي مدينة اخرى .

فلقد ابتلت البصرة بالمشاحنات الداخلية والخارجية كما ابتلت بالطواعين والقحط والجراد وغيرها من الفيضانات والامطار وماء الموح والحمل ، وهذه نماذج مما حل في البصرة في أيام الفترة المظلمة ..

ففي الغلاء الذي اصاب بغداد في بدء سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م والذي ازداد فصار قحطاً لم ينل البصرة من هذا الضيق شيء كثير .

فلقد ضرب شاه عباس الايراني الحصار على بغداد وأخذ قائد بغداد بكر صوباشي بالدفاع ولما طال أمد هذا الدفاع فقدت المواد الغذائية من المدينة الى درجة الانعدام حتى تذكر بعض المصادر التاريخية ومنها تاريخ العراق بين احتلالين ان الامهات في بغداد وصلن الى درجة اكل ابنائهن وبناتهن كما بلغت قيمة الحمار الف أقرجه ..

وكانت بغداد قد أصابها القحط قبل سنتين من هذا التاريخ ايضاً في سنة ١٦٢١ م - ١٠٣١ هـ لم تنزل الامطار وحدثت الفوضى بين الفرس والعمانيين وبين الجند الترك انفسهم فصار الجوع شعار الجميع .

أما في البصرة فلم تكن الأزمة كما هي عليه في بغداد فلقد كان الحكم بيد افراسياب الذي وقف في وجه الغزو الايراني كما تمكن من تنظيم حالة معيشة الناس فسجل الاهلين في سجلات خاصة ثم سجل البيوت والانس حسب الاهوار ورتب المراقبين والحراس وشغل الناس اجباريا في الزراعة وحفر الترع والسقي ونظم الجماعات الزراعية ليتعاونوا في غرس الاشجار وزراعة الخضر ومكافحة الاحتكار وكانت هذه اول جمعيات تعاونية زراعية تعرفها البصرة وبذلك قضي على وباء الجوع .

وحتى في حصار قائد المعجم (امام قولي خان) للبصرة سنة ١٦٢٦ م ١٠٣٦ هـ فان علي باشا افراسياب صمد في وجه المعجم بينما كان من الجهة الثانية لا ينسى الحالة المعاشية حتى اذا ما عجز المعجم عن فتح البصرة ورجعوا منهزمين استولى البصريون على خيامهم ومؤنهم فاستفادوا منها وشكلت لجان لتوزيع الغنائم على الأهالي ..

وفي اليوم الثالث من شعبان سنة ١٦٣٥ م - ١٠٤٥ هـ اجتاح العراق وباء
الطاعون وكان من أهم أسبابه الجوع وكثرة الحروب وتعفن الموتى وانتشار المزابل
والجيف حتى ذكر صاحب كتاب (تاريخ الفراءبي) أن بعض الموتى في بغداد جروا
من أرجلهم ورمي بهم في دجلة . .

أما في البصرة فلم يبق من يدفن الموتى كما أعقب هذا الوباء غلاء فاحش
فانقرضت عائلات وزال أفراد من الوجود وقد اظلمت الحوانيت والأسواق
وتجمع الناس في المساجد ومحلات العبادة يدعون الله إلى أن يفرج عنهم وقد عاش
الناس أياماً بلا طعام .

وتذكر بعض المصادر أن هذا الغلاء دام إلى يوم عرفة وقال آخرون أنه دام
خمس وخمسين يوماً عوضه الأهالي بخمس وخمسين سنة فكانوا يقولون
٥٥ سنة من الجوع .

ويقول صاحب تاريخ الفراءبي أن قربة الماء بيعت بـ ٥ عباسيات في بغداد
لانعدام الماء بسبب انعدام السقائين - والعباسية نقد إيراني يساوي ثلاثة أرباع
المنقال . . ويقال أن الفقراء بعد انتهاء الأزمة أصابهم بعض الثراء نظراً لانعدام
أسر من الوجود مع عدم وجود وارث لهذه الأسر . .

وكان في البصرة قد خرج الأهالي إلى خارج المدينة مستقبلين القبلة للصلاة
والدعاء وقد سميت تلك المنطقة التي تجمعوا فيها بمحلة القبلة كما بني فيها مسجد
سمي بمسجد القبلة .

وقد سمع الله دعاء البصريين فكانت غلال السنة القادمة وحاصلاتها كثيرة
حتى عوض الله المتضررين عن ضررهم فكانت سنة ١٦٣٦ م - ١٠٤٦ هـ سنة

خير وبركة .

وكذلك شاهد اهالي البصرة سنة ١٦٨٢ م - ١٠٩٣ هـ مذنباً نورانياً في كبد السماء وكان على شكل سيف وقد بقي نحو من اسبوع كان في كل يوم في تناقص حتى اضمحل وقد سماه البصريون (ابو ذوبل) وفي الحقيقة انه كان من نوع النجوم المعروفة بـ (هاللي) .

ولقد ظهرت المذنبات في سماء البصرة عدة مرات ولكنها لم تبلغ ما بلغه هذا المذنب الذي ذهب فيه الاقاول وبني البصريون عليه حكمهم الزمني والمعاشي والصحي والديني .

وكان والي البصرة سلحدار حسين باشا قد اعفى من منصبه لظلمه ثم في هذه السنة اعيد للحكم مرة ثانية فكانت اقوال الناس بان هذا السيف الساوي بمثابة انذار للوالي وحتى قال البعض ان هذا سيف (ذو الفقار) سلطه الله على اعدائه وان الساعة لآتية لا ريب فيها .

وفي سنة ١٦٨٧ م - ١٠٩٩ هـ حدث غلاء في الموصل سمي بالغلاء الكبير كما عقبه في السنة الثانية غلاء في بغداد صحبه طاعون سمي (طاعون ابو طبر) ثم سرى الى الجنوب فاصاب البصرة التي قيل ان الاحياء من سكانها كانوا لا يقدرون على دفن موتاهم بل تركت الموتى في محلاتها ..

ولقد دمر هذا الطاعون اكثر من مائة الف من سكان بغداد وستين الف من البصرة ودام لمدة ثلاثة اشهر وكانت نهايته في غرة شوال من سنة ١١٠٠ هـ . ومن جرائه اصبحت المناطق الكردية بالجفاف فهاجر الاكراد الى بغداد والى جنوب العراق وسكنوا البصرة وقد تغيرت ملامح جمالهم الى اصفرار وقد

تزوج البصريون بكثير من الفتيات الكرديات الجميلات بصدق بسيط وكان ذلك
ولاول مرة يتزوج الشباب البصري بالكرديات .

ثم بدأت الهجرة الكردية تزداد لبصرة وقد سكن الاكراد في العشار وفي
منطقة سميت اولاً بمحلة الاكراد ولكن استبدل اسم المحلة اخيراً الى محلة الجبل
وذلك نظراً لارتفاع ارضها ولكون قاطنيتها من الجبلين .

وبعد ثلاث سنين عاد الطاعون والقحط الى بغداد في سنة ١٦٩٠ م ١١٠٢ هـ
قيل ان في بغداد كان يموت يومياً ١٠٠٠ شخص ودام الامر لمدة ثلاثة اشهر ثم
سرى الى البصرة وكان واليها احمد باشا ال عثمان الذي اخذ يزيد من الرسوم
على الأهليين ليسد نفقات الحكومة حيث هرب عدد كبير من الناس وبقيت
اكثر المحلات خالية حتى يقال انه احصي في محلة جسر العبيد بالبصرة فوجد ان
١٨٥ بيت خالي من مجموع ٢٥٠ بيت .

وعلى اثر ذلك توقفت الاعمال والزراعة لعدم وجود ايدي عاملة وفقدت
الحاجيات من الاسواق حتى بيع كيس الحنطة بمجدين ٤٠٠ فلساً كما بيع رأس
الغنم بمجدين ايضاً .

وكان الله في عون اهل البصرة حينما جاء ثمر النخل في هذه السنة بضعفين
او اكثر من السنة السابقة حتى قيل ان بعض النخيل اثمرت ما وزنه ثلاثة امنان
كما وان الاعجب من ذلك ان بعض النخيل لم تلقح ومع ذلك اثمرت ثمرأ طيباً .
وكانت البصرة قد عاشت في تلك السنة في قحط وطاعون ولم يأكل الناس
غير التمر الذي عوضهم الله في السنة الثانية ثمرأ كثيراً بدلا عنه فباعته منه كميات
كبيرة وخاصة الى البدو الذين دخلوا البصرة للاكتيال فتبادلوا في السلع فكان

فكان ان يحصل البصريون على الدهن واللبن واللبن واللحوم والوبر ايضاً .
وعرفت البصرة شتاء بارداً سنة ١٧٠٥ م - ١١١٧ هـ مع رياح واعاصير
شديدة ثم هطول امطار غزيرة مع سقوط البرد لمدة ست ساعات متتالية ثم توقف
ليسقط بعده - الوفر - الذي بلغ ارتفاعه شبرين او كما قال بعضهم كان
ارتفاعه ذراعين . .

ودام تساقط الثلج خمسة عشر يوماً جعل معظم اشجار الفاكمة تساقط كما
ماتت المحضرات وسقطت الاوراق حتى سقطت النخيل وصار بعضها خشبا وكان
سقوط هذا الثلج في ٨ رمضان وذكر بعضهم انه ظهر في ٨ شوال ولكن الاتفاق
تام على مدة سقوطه . .

وأدنى سقوط الثلج الى سقوط بعض الدور وتضرر الأهليين وكان الشيخ
مغاس قد احتل البصرة قبل سنة وحسن الجو مع الهولنديين الذين نقلوا الى
البصرة كميات كبيرة من الاخشاب والفحم كما ساهمت كنيسة الكرمليين في
البصرة في اسعاف المنكوبين فوزعت عليهم الاقمشة والمواد العينية والنقود وكان
الشيخ مغاس في معاهدته مع الهولنديين قد تعهد بحماية كنيسة الكرمليين في البصرة
وفي سنة ١٧١٣ م - ١١٢٥ هـ اجتاحت البصرة موجات كبيرة من الجراد
النجدي قيل ان صحارى البصرة ومزارعها وطرقاتها كانت مملوءة بها كما وان
سطوح المنازل وحتى الغرف كانت مملوءة بالجراد ايضاً فكان الشخص لا يقدر
ان يمشي خطوة واحدة دون أن يسحق على جراد .

وبالرغم من محاربة الناس لهذا الجراد وتجنيد انفسهم لقتله ليلا ونهاراً فقد
أضر بالزرع نظراً لكثرة وجوده ودام وجوده مدة اسبوعين ثم جاءت عاصفة قوية

جداً فشنت شمسه ونقلته الى محلات اخرى وقد دامت هذه العاصفة ست ساعات
وكان البصريون يتمنون لو انها دامت اكثر فلقد عاد الجراد بعد ثلاثة ايام فحجب
نور الشمس ثم اخذ يقضم ويقرض كل شيء في طريقه حتى ابواب البيوت .
وعلى اثر هجوم الجراد حدث غلاء في اسعار الحاجيات حتى ذكر العزاوي
ج ٥ من العراق بين احتلاين ان سعر وزنة الخنطة بلغ سبعة دراهم .

وكان والي البصرة عثمان باشا وزيراً قد احتاط للامر فكبس المخازن واستولى
على الحاجيات ونظم أمور العيشة فلم يدع الغلاء يزداد بل قبره في مهده حتى ان
والي بغداد لما سمع بعمل والي البصرة سار على خطته فاخذ يبيع وزنة الخنطة
بخمسة دراهم بدلا من السبعة .

ثم جاءت سنة ١٧٧٤ م ١١٨٨ هـ وجاء وباء الطاعون المسمى (ابو چفچير)
الذي فيه توفي عدد كبير من رجالات البصرة منهم الشيخ احمد باش اعيان
صاحب كتاب اللطائف السنية في شرح المقامات الحربية .
وقيل انه سمي بهذا الاسم لأن صاحبه كان يشعر وكان شخص يحاول ان
يقلب احشاه كما يقلب الأرز بالقدر . كما وان اخرون قالوا ان صاحبه كانت
تظهر على جسمه بقع تشبه الچفچير .

وكان والي البصرة سليمان بك ابو سعيد الملقب بالكبير قد احتاط للامر
وعمل بنفسه على عزل المناطق الموبوءة وعرض حياته للموت في سبيل حصر المرض
وكان هذا الوالي هو أول من اظهر فكرة مقاومة الطاعون باكل الثوم فلقد
طرحت الحكومة كميات كبيرة من الثوم وانها شكلت لجاناً ومعها الجندرمة
- الشرطة - لتطعيم الاهالي اجباريا باكلهم الثوم الطازج - الني - لمقاومة

الامراض وقد نجحت طريقته .

كما وان هذا الوالي اول من اكتشف ان التمر لا يحمل مرض الطاعون وان المادة السكرية التي في التمرة تقتل مكروبه .

وكانت الحوادث الجسام التي مرت بالعراق جعلت منه ميداناً للخصام والفوضى حتى اذا ما جاءت سنة ١٧٨٧ م - ١٢٠٢ هـ واذا بالقطر من شماله الى جنوبه يئن تحت وطأة الجوع الذي سمي باسم خصبك وسمي القحط الذي رافقه بقحط خصبك وبالرغم من ان البصرة كانت اقل تعرضاً لهذا الجوع من باقي انحاء العراق فان اسم خصبك اصبح علماً فكان الشخص اذا اراد ان يدعي على شخص آخر قال له - عساك بخصبك - او حسب اللفظة العامية وعند اهالي الاهوار - تخصبكت - .

ورافقه مرض سمي بمرض خصبك وهو اصفرار في الوجه مع ضعف عام في البنية حتى بات بعض الناس لا يقدرّون على السير في الطرقات .

وكان الشيخ ثويني قد احتل البصرة وعمل على القضاء على هذا الجوع وبالرغم من ان احتلاله لم يدم طويلاً فقد نظم الثموين وقضى على الاحتكار فكان كل محتكر يشنق حتى شنق من المحتكرين ثلاثين شخصاً ثم اصبحت المدينة في امان من شرهم .

وكذلك ضرب حصاراً حكومياً على محلات المرض ثم عزل المرضى في مخيمات خاصة وتفاوض مع الممثل السياسي الفرنسي فقدمت بعثة صحية فرنسية عملت على اسعاف الاهلين وكان هو قبل ذلك قد حسن العلاقات التجارية مع الدول الأجنبية فتخلصت البلدة من شر الجوع .

وبعد ربع قرن من هذا الوباء حل في البصرة مرض (النزول) وقد ابتدأ من أول شهر تموز سنة ١٨١٣ م - ١٢٢٨ هـ ثم اخذ يزداد حتى بلغ قوته في آب وكانت الحميات تأتي للشخص ثم يصاب بمرض النزول الذي هو عبارة عن نقطة سوداء وبقع تشبه - الدامل - يصاب بها صاحبها سريعاً حتى يصير جسمه مثل الاعلاف ثم تشخص عيناه وتنقطع عنه حاسة السمع ثم تستك اسنانه ويموت .

وقد كتب احدهم في مذكراته ان من جملة الموتى في البصرة كان السيد شعبان وهو من اعيان البصرة كما توفي يوسف اصفر وكان قد تمرض في ٢٤ تموز ثم اخذ الدم ينزف من بطنه وقد عالجته عدة اطباء ولكنه اخذ بالازدياد الى أن كان يوم ٣١ تموز حيث تغيرت ملامحه ثم مات .

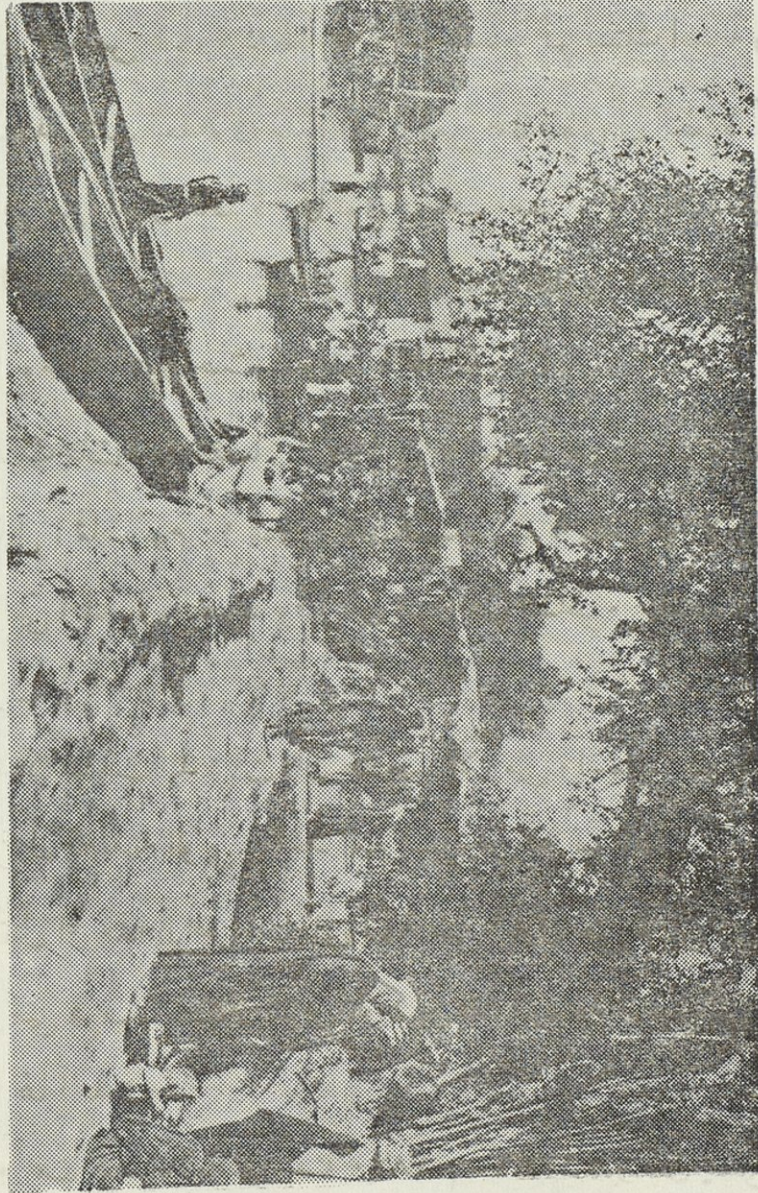
كذلك مات احد القصاد الرسولين واسمه - بدروس - وكان قد رجع من (كابل) فمات يوم ٢٠ تموز وكان قد مات له ولد وهو لا يزال على ظهر السفينة التي اقلته الى البصرة وقبل ان ينزل الى الشاطيء دفنه على ساحل شط العرب .

ويذكر صاحب المذكرات ان خادمهم الأرمني واسمه - كيورك - اصابته نقطة النزول فافقدته الومي واخذ الدم يسيل من فمه ثم مات .

ويقال ان هذا المرض امتد الى نهاية شهر ايلول حتى لم يبق ابي بيت بدون مفقود وحتى هرب أكثر الناس تاركين عقاراتهم ولو ازمهم التي بقيت بدون أن يهتم لها أحد .

ومجرت البصرة الطاعون سنة ١٨٢٠ م - ١٢٣٦ هـ وكان يسمى - الوباء - وقد ذكرته بعض المصادر على انه كان من اعظم الطواعين التي حلت بالبصرة

حتى قال ابن سند في كتابه (مطالع السعود) بان كثيراً من البيوت مات أهلها
جميعاً وقفلت بالضبة - مفتاح خشبي - يستعمل لفتح قفل خشبي حيث تكون
للمفتاح أسنان بواسطتها يتم فتح الباب وغلقه .



محفل أسد بابل اليوم
البحر سنة ١٩١٤ م

وقيل ان والي البصرة محمد كاظم اغا تعرض للموت حيث كان يشرف
بنفسه على عملية حصر المصابين وقد نجاه الله فرمم المسجد المعروف بمسجد عزيز
اغاً ولكن بعد ذلك عرف باسمه .

وقد فر الناس بالبوادي وكانت الموتى بالطرقات دون ان يهتم لهم احد
وكان الوالي قد أمر بابعاد الجثث عن شوارع المدينة ولكن الناس كانوا يتهربون
من عملية نقل الأموات .

وكانت من علامات صاحب هذا الوباء انه لا يبول فاذا بال نجى كما وان
علاماته القيء والاسهال المفرط وصاحبه تعتربه حرارة شديدة حتى كان المصابون
يرمون بانفسهم في المياه . .

ودامت مدة هذا الطاعون ثلاثين يوماً من نهاية شوال الى نهاية ذي القعدة
من السنة نفسها ولكن الايام العشر الاولى منه كانت شديدة جداً وقد سماه
بعض البصريين - بالهواء الاصفر - .

ويظهر ان هذا الوباء اخاف الناس ولو لمدة فرجعوا الى الله وتمسكوا بالدين
فكثر المصلون واقامت الشعائر ومع ان الذهاب الى بيت الله كان مفروضاً
ولكن البعض تركه فان السنة التالية عرفت حججا كثيرين نساء ورجالا
من أهل البصرة . .

وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ حل في البصرة الطاعون الجارف
فكانت سنة ١٨٣٠م - ١٢٤٧هـ من السنين التي تعرضت لعناء البصرة ورجالانها
فقد توفي الشيخ حسين بن احمد بن محمد الدوسري الناسك الشافعي وتوفي العالمان
عبد الله وعبد الوهاب ولدا الشيخ عثمان بن سند كما توفي الشيخ الواعظ حسين

ابن علي بن بدران الشافعي .

وكان والي البصرة عزيز اغا قد أعفي من منصبه وعين لها السيد محمد افندي
الذي لم يتمكن من محاصرة المرض كما وانه لم يهتم لحالة المصابين حتى ضجج الناس
منه فاعفي من منصبه بعد مدة قصيرة .

وقد امتد هذا الطاعون الى قرى البصرة الجنوبية كما امتد الى منطقة الاهواز
وقد فتك باهالي تلك المناطق وكان شيخ الحمرة جابر بن مرداو قد استولى على
أموال الموتى الذين هم بلا وارث فوزعها على المحتاجين من أهل الحمرة كما وانه
اخذ يوزع الرواتب على المعوزين والذين بقوا بدون معيل خاصة وان منطقة
الاهواز والبصرة نظراً للكساد وهروب الناس واختفاء الاحياء في دورهم ومحلاتهم
خوف العدوى فقد أصيبت هذه المناطق بالغلاء وفقدان المواد المعاشية فكان
والي البصرة الجديد درويش اغا من الرجال الحازمين ولذا فانه اخرج جميع
المصابين من المدينة واخذ يراقب النظافة ويتجول في الطرقات ويعطي الارشادات
الصحية ويضرب الحصار على أي عائلة يصاب منها فرد ثم يأمر بحرق جميع
اثاث البيت ولربما كان احياناً يأمر بحرق البيت كله حتى زال هذا الوباء الذي
سمي - ابورية - كما وانه دام لمدة طويلة ولذا سماه الناس بالطاعون الكبير .

ولقد أدى هذا الغلاء الى أن يبقى الشيخ مرداو أمير الحمرة ولمدة ستة اشهر
يطعم الناس من امواله الخاصة ويتفقد الجياع ويذهب الى بيوت الأرمال فكان
أن يسير على خطته والي البصرة درويش اغا ولكنه لم يصل الى درجة
الشيخ مرداو . .

وكانت سنة ١٨٤٧ م - ١٢٦٤ هـ من السنين العجاف على العراق حيث

ندرت الغلال وحتى يقال ان هناك العدد الكبير من العراق من باع اولاده زيادة على بيعه لجميع حاجياته .

وأرادت الحكومة العثمانية ان تغتني فرصة هذا الاملاق فاسست فيلقا عسكريا باسم - فيلق العراق والحجاز - وجعلت مشيره عبدي باشا واضطر عدد كبير من أبناء بغداد والموصل وغيرها من الانضمام لهذا الجيش أما أهل البصرة فلم ينضم منهم سوى ١٣٠ نفرأ مما جعل الحكومة العثمانية في السنة الثانية ١٨٤٨ م ١٢٦٥ هـ تبني معملا لتصليح الأسطول في البصرة وأرسلت (بيريك بك) وهو من كبار رجالات البحرية العثمانية للاشراف على العمل وتسجيل المتطوعين البحرين فكان ان ينضم الشباب البصري للقوة البحرية .

ولقد تحمدت البصرة هذا القحط نظراً لوفرة حاصلاتها واخلاص الفلاحين والعمال في العمل وتعاون الجميع على مقاومة الاوباء الفتاكة من قحط وجراد ومرض وأنا شخصياً قبل اربعين سنة شاهدت صخرة كبيرة في مقبرة محمد جواد - في محلة جسر العبيد - وقد حفرت عليها عبارة (اشترينا كيس الحنطة بمجيديين وما بعنا اولادنا ولا طلقنا نساءنا) .

وحدث في العراق القحط سنة ١٨٥٨ م - ١٢٧٥ هـ وقد سجل احدهم في مذكراته ان أشجار الفواكه في هذه السنة لم تثمر وكان شتاء السنة شديد البرودة الى درجة ان مياه الانهار تجمدت حتى قيل ان الناس كانوا يعبرون الانهار على الأقدام كما وان شط العرب تجمد الى درجة ان بعض المراكب التي كانت راسية فيه كانت تتحرك بصعوبة .

وكان صاحب كتاب العراق بين احتلالين قد ذكر عن مجموعة الكليدار

السيد عبد الحسين ان وزنة الخنطة أصبحت بسعر ٤٥٠ قرشاً رائجاً والشعير بسعر ٣٠٠ قرشاً رائجاً .

والوزنة حسب تعريفة بغداد تعادل عشرة امانان والمن عشرة حقق وعليه تكون الوزنة مائة حقة بغدادية .

أما في البصرة ساعدت الطبيعة الناس حيث أدى انجماد المياه الى موت الاسماك في الانهار حتى اصبح سعر الوقيصة من ذلك السمك بـ (نصف قرش) التي تساوي ١٠ فلوس هذا مع الغلاء .

كما سجلت السنة وفرة الفاكهة الشتوية وخاصة البرتقال الاي اخذت زراعته في الكثرة كما وان الموز البصري جاء بمحصول كبير .

ثم بعد ارتفاع درجات الحرارة أخضرت الأشجار وكان محصول (النبق) وافر الى درجة لم تعرف البصرة له مثيلاً .

كما وان الجراد هاجم المحصولات فصاده الناس بكميات وافرة حتى كنت لا تجد بيتاً الا وفيه ثلاثة او أربعة اكياس جراد .

كذلك ظهر الكما وبصورة فضيعة ووفرة نادرة وبمحصول كبير فكانت الحبة الواحدة تزن ربع حقة او اقل احياناً مما سد في النقص الذي احده موت المزروعات .

وتحدثت البصرة القحط الذي حدث سنة ١٨٧١ م - ١٢٨٨ هـ وكان هذا الجوع قد أحدث الأمراض فمات الناس وماتت الحيوانات من شدة المحل وقد حدث هذا في ولاية مدحت باشا للعراق والذي كان في سنة ١٨٧٠ م قد أمر بتخفيض حصة الحكومة الاميرية من الغلال والحاصلات والضرائب الى ٥٠ بالمائة

فكان ان تستقر الامور وتعلن العشائر الطاعة وتبدأ بالعمل واستثمار الاراضي
وشتل الارز وبذر الحنطة وغير ذلك

وكان الوالي مدحت باشا قد وفر ١٠٠ الف ليرة ذهبية من السنة المنصرفة
فانفقها للقضاء على المحل والجوع .

أما في البصرة فان واليها سعيد افندي لم يحتاج الى مساعدات مدحت باشا
وانما قام بنفسه فجمع الغلال والحاصلات ومسك سجلات المدينة وتوابعها ثم لما
حاول بعض المضاربين اغتنام فرصة الانتفاع والبيع بالسوق السوداء ساق هؤلاء
الى المشانق وأمر بنهب كل محتكر وأعلن انه يقبل شكاوى الناس وفتح اعيناً
حكومياً لتسليف المعوزين بدون فائض واتصل بالممثلتين الفرنسية والانكليزية
لمساعدة الميناء العراقي - البصرة - فاستفاد من التبرعات الاجنبية وهكذا
هزمت البصرة القحط والجوع وكانت المدينة العراقية الوحيدة التي وقفت
شامخة تتحدى ..

وكان عمل الوالي هذا قد أدى الى غضب بعض التجار المحتكرين الذين قصد
بعضهم بغداد ليشكوه الى الوالي مدحت باشا ولكن الوالي لم يقبل الشكاية بل
اقر الوالي البصري على اعماله وشكره رسمياً وفي كتاب شكر خاص .

* * *

ان هذه المصائب والكوارث أدت الى تزايد الضرائب على ابناء الشعب
وتنوعها فكان من تلك الضرائب (الخانة) او التي تسمى ايضاً (بيتية) وكانت
تؤخذ من بيوت العشائر اولا واكثرها تحملت اخيراً الى بيوت اهالي القرى
القريبة من المدينة وذلك لعدم تمكن الحكومة من اخذها من ابناء العشائر وكان

مقدارها ١٥ قرشاً سنوياً وقد سميت أخيراً (القلمية) وقد كانت تزداد أحياناً حتى قيل أنها بلغت يوماً ما ١٥٠ قرشاً .

ومن الضرائب أيضاً الكودة وكانت تؤخذ عن الأغنام والمواشي وقد قرأت لأحدهم يقول ان هذه اللفظة غريبة غير ان العزاوي يقول انها عربية وماخوذة من كاد يكوده . .

أما أنا فلا احسبها الا ترقية الأصل وماخوذة من لفظة (كودجي) التركية والتي معناها الراعي وهي اقرب الى الواقع .

وكانت الحكومة تعطي الافطار والمقاطعات بالالتزام وكان هذا الالتزام قابل للزيادة والتقصان ولكن العثمانيين بعد جلوس السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٣٩ م على العرش صارت الحكومة تأخذ الضرائب بواسطة موظفين خاصين يسمون بالمحصلين وكان رئيسهم يسمى (المستوفي) .

وكانت طرق الجباية سقيمة وشرسة لان اكثر الذي يجبي يدخل الجيوب ويقال ان احد ابناء محلة السيمر كانت له دار خارج البصرة وقد طولب بدفع البيئية ولما عجز عن دفعها أخذ الجباة يضربونه امام اهله واطفاله ثم سحبوه الى القلغ - مركز الشرطة فما كان من اهالي محلته الا ان يهجموا على الجباة لتخليصه ولما كان مع الجباة عدد من (الجندرية) الشرطة فقد وقع اصطدام مسلح اشترك فيه اهالي العروة وجسر العبيد مما جعل الحكومة تخاف من المصير فقررت اعفاء الشخص من البيئية ثلاث سنوات . .

وكان قبل ذلك قد أرسل مختاروا المحلات البصرية تقارير الى الوالي مصطفى اغا ١٢٥٨ هـ حول فداحة ضريبة البيئية وشراسة رجال الحكومة في اساليبهم الجبرية

ومما تجدر الاشارة اليه ان أول انتخاب للمختارين جرى في البصرة كان في سنة ١٨٣٥ م - ١٢٥١ هـ وكانت للمختار سلطة كبيرة فهو الواسطة بين أبناء الشعب والحكومة . .

وفي هذه السنة ايضاً عين لكل محلة امام وصدر فرمان باعفاء السادة والمهشميين من ضرائب الخانة ولكن ملا علي الخصي أحد رجال الوزير علي رضا باشا أخذ يأخذ هذه الضريبة من السادة في بغداد ولكن والي البصرة لم يأخذها .

ثم كانت تؤجر الأراضي الاميرية التي كان مصدرها في البصرة اربعة هي:

١ - الأراضي الخالية من البناء أو الغرس والزرع والتي لم يتصرف بها

احد وهي بعيدة عن العمران .

٢ - أراضي مزروعة ومشيدة - واكبتها دون وريث شرعي أو مالك

يدعي بها . .

٣ - أراضي كان السلطان عبد الحميد أو غيره من السلاطين قد سجلها في

الطابو باسمه بدون حق ثم انتقلت ملكيتها بعد سقوط عبد الحميد الى الحكومة العثمانية ومنها الى الحكم الوطني العراقي .

٤ - اراضي ظهرت من البحر أو من شط العرب او الانهار ثم ردمها

الملاكون وضموها الى املاكهم باعتبارها محاذية لهذه الاملاك .

وكان نظام الطابو قد صدر مع قانون الاراضي بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٧٦ هـ

ثم اخذت التعديلات تدخل عليه ومع ان نظام الطابو لم يطبق فان قانون الاراضي كان لا بأس به حيث صدرت الاوامر بتفويض الاراضي الخالية بحساب الدونم فكان ان يؤخذ عن كل دونم من الاراضي غير المغروسة وهي صالحة للزراعة

العشر ويؤخذ من الاراضي المعمورة ٣٠ قرشاً أما الاراضي التي تغرس جيداً فتعفى لمدة ست سنوات ثم يؤخذ ما هو مقرر .

وكان الأهالي يشكون من نظام الخرص الذي كان يتلاعب به الموظفون فية دخلون الى جانب من يعطيهم الرشوة فكانت الأرض التي يجب أن تدفع ٣٠٠٠ قرش تدفع ١٠٠٠ قرش فقط علي ان يدخل في جيب الجاني ٥٠٠ قرش ويسجل للحكومة ٥٠٠ قرش أما الذي لا يدفع الرشوة فكانت الانظمة تطبق عليه بمخاديفها ويضايق حتى يعود الى حضيرة الرشوة .

وكذلك نظام الالتزام فلقد ضايق الفلاحين حيث ان الملتزم كان يريد أن يرجح ربماً فاحشاً على حساب الزارع الذي أخذ يترك الزراعة متضايقاً من الملتزمين وكان الوالي مدحت باشا عند زيارته للبصرة سنة ١٢٨٦ هـ قد اتصل بالأهالي واستمع الى شكياتهم فوجد ان الحكومة تجري التخمين على النخيل بواسطة خراصين متلاعبين بمقدرات الغلات ولذا فانه الغى نظام الخرص وصارت الر يوم تؤخذ عن كل دونم ١٥ قرشاً سواء للاراضي المغروسة أو الخالية مما جعل الناس يغرسون الاراضي الخالية حتى يقال أن واردات البصرة كانت ٤٨ حملاً من النقود فبلغت بعد سنتين ٧٣ حملاً من النقود .

أما الاراضي القليلة النخيل والكثيرة الاشجار والفواكه الاخرى فقد رسم على النخلة الواحدة من (٤٠) بارة الى (٣) قروش وذلك حسب قيمة الارض ومساحتها وعمارها ..

وبعد ذهاب مدحت باشا رجعت الفوضى ورجعت الرشوة التي هي في الحقيقة كانت تدخل كل باب من أبواب العثمانيين .

وعلى هذا الاساس نروي الطريقة التالية :

يقال ان قاضي الشرطة انتهت مدة خدمته فاعفي من منصبه فرغب في اعادته الى الوظيفة ولكن لا الى الشرطة نفسها بل الى سوق الشيوخ او الحي ولذا اُبرق الى قاضي بغداد بصفته المسؤول عن تعيين القضاة البرقية التالية قال فيها :

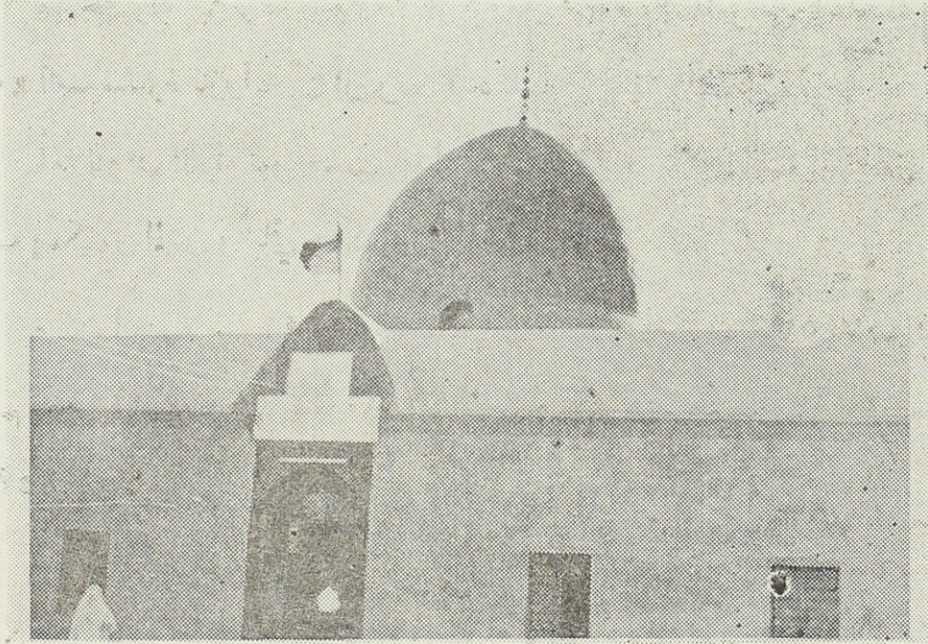
- ان سقتم الشيخ الى السوق فممنون بخمسين او اودعتم الميت الى الحي

فممنون بستين ..

أي انه يقول يدفع (٥٠) ليرة سنويا اذا عين قاضياً لسوق الشيوخ وانه يدفع

(٦٠) ليرة اذا عين لقضاء الحي ..

وطبعاً عين قاضياً للحي لان الدفع اكثر ..



﴿ مقبرة السيد احمد الرفاعي ﴾

البصرة أيام زمان

كم مساحة لواء البصرة ونفوسها حسب تعداد سنة ١٩٢٣ - ١٩٤١ - ١٩٦٥

عدد الجاموس والغنم والبقر والخيل في البصرة والحليب يوزع في الطرقات

أول مكالمة برقية بين البصرة وبغداد وأول (قابلو) بحري بين الهند والبصرة

الحالة المعاشية في مدة خمسة قرون عندما كانت وقية السكر بقرشين . .

رحلات من البصرة الى بغداد والهند ومكة ثم اكتيال البدو والطحين

الوقية بـ ١٤ فلساً . .

مساحة لواء البصرة (٢٠٧٠٢) كيلومتر مربع ويستثمر من هذه المساحة ٤٠٠ الف مشاركة للزراعة كما أن ربيع هذه المساحة تسقى بالمضخات .

أما نفوس اللواء فهو حسب تعداد سنة ١٩٢٣ م مائتين الف نسمة منها ٩٤ الف يسكنون المدن والباقي يسكنون الأرياف .

وكان احصاء سنة ١٩٤١ م قد سجل ان نفوس لواء البصرة ٤٠٧٤٥١ نسمة منهم ١١٩٠٠ يهودي و ٨٨٠٠ مسيحي و ٤٤ هندوسي و ١٣ سيني و ١٨٥٢ صابئي .

أما آخر تعداد جرى للبصرة سنة ١٩٦٥ فقد سجل ٦٧٣٦٢٣ نسمة يسكن المدن منهم ٣٥٢٠٩ نسمة ويسكن الأرياف ٤٣٨٤١٤ نسمة وتكون نسبة سكان الريف ثلاثة وخمسين بالمائة .

والمعروف عن سكان هذا اللواء انهم كرماء ذور اخلاق فاضلة يحبون العلم
كما يشتغلون بالزراعة والتجارة وتربية الحيوانات الاليفة .

وعلى سبيل المثال نقول ان عدد الجاموس في منطقة البصرة كان سنة ١٩٣٩م
نحو من ١٥ الف ثم اخذ بالازدياد مع ازدياد عدد المهاجرين من لواء العمارة الى
البصرة زيادة على ان ظروف الحرب العظمى الثانية كانت قد ساعدت على ازدياد
الطلبية على الحليب والقشطة (الكيمر) .

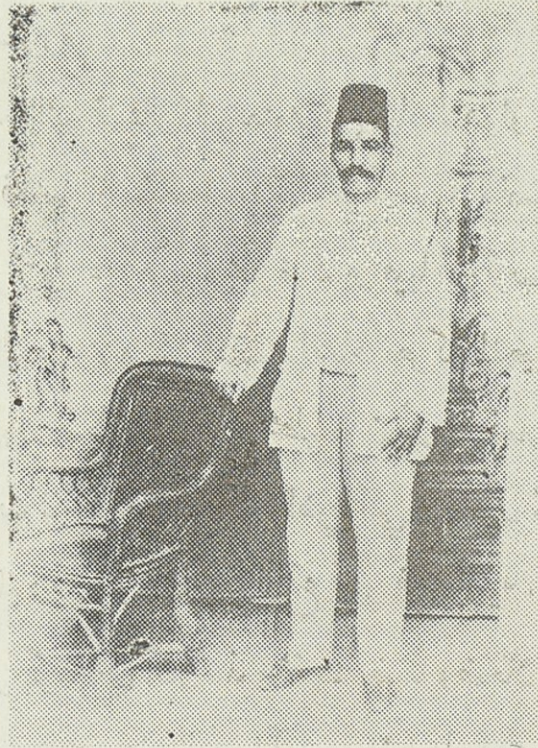
* * *

ويعيش الجاموس في لواء البصرة على مياه نهر - كرمة علي - الذي هو
أعرض فروع نهر شط العرب والذي تقع على نهايته قرية (حرير) بلدة الحريري
صاحب المقامات الشهيرة .

ويقال ان هذا النهر قديماً كان يعتمد على مياه الاهوار فكانت المياه أيام
الفيضان تملأه فيدفع بها الى الصحارى التي تحيط به وتصبح اليابسة التي بين
البصرة والشعبية والزيبر على صورة بحيرة تسير فيها القوارب ثم تنتهي لتصب
في خور عبدالله والبحر . . . ولكن بعد انتهاء معركة الشعبية سنة ١٩١٥ م بنى
الانسكليز سداً حول مياه الأهوار في محلها دون أن تصرف الى البحر وعلى
هذا الاساس اخذت المياه تعمل في الاراضي التي هي حول نهر كرمة علي نفسه
حتى اصبح دائم المياه مع عمق عظيم واتساع كبير في حافته .

ويقال ان نهر كرمة علي كان منذ مائة سنة ضيقاً وضحلاً وكان ايام الصيود
- شحة المياه - يعبره الناس على ظهور الخيل ومشياً على الاقدام وكان مع ذلك
يدر على البصرة بالخير الوفير حتى قيل أن في سنة ١٩١٣ م ظهر فيه نوع من

السماك المتوسط الحجم بمقادير جعلت الناس هناك يصيدونها بالايدي .
كما وان كميات كبيرة من البطيخ والرگي - الگرمادي - غمر أسواق البصرة ثم
بيعت منه كميات كبيرة الى رجال السفن الشراعية القادمة للبصرة لشراء التمر
فقيل ان حمل حمار من البطيخ بيع بقرش (٢٠) فلساً .
وحدثنا المرحوم صبري افندي الذي كان يدعى - صندوق امين البصرة -
انه حسب وظيفته في مالية اللواء كان قد سجل سنة ١٩١١ م من رسوم (الكوده)
من الحيوانات ١٠٩ الاف قرش منها ١٠٥ الاف قرش عن رسوم الأغنام والباقية
عن رسوم باقي الحيوانات .



صبري أفندي أمين صندوق البصرة

ولقد كان عدد الجاموس في لواء البصرة سنة ١٩١٤ م لا يزيد عن الالف
ثم زاد مع الحرب العظمى الأولى حتى بلغ سنة ١٩١٩ م اربعة آلاف أما اليوم
فعدده ١٢٠٠٠ جاموسة .

أما عدد الأبقار فقد قدر سنة ١٩٣٧ م ٢٠٠ الف بقرة ويقال انها سسنة
١٩٢٥ م كانت ٢١٠ الف أما في أوائل سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ م فكانت غير
مضبوطة ولكن المعروف ان في كل بيت سواء أكان في المدن او القرى والارياف
لا بد وانه كانت توجد بقرة حلوب للعائلة .

وقيل ان أحد ابناء البصرة تحدث عن سنة ١٩١٠ م فقال انه أراد ان يبعث
بكمية من الحليب كانت عنده في البيت زائدة الى الجيران او الى أحد يقبلها فلم
يجد لأن الجميع أجابوه بان لديهم كميات من الحليب ومستخرجاته منذ يومين
ولا يدرون لمن يعطونها .

أما الأغنام فكانت منطقة البصرة مشهورة بها حتى ليذكر بعض المؤرخين
بان عددها كان الف الف رأس من الغنم أي - مليون - كما يذكر البعض بأنها
كانت خمسمائة الف وقال آخرون انها ثلاثمائة الف .

وفي وجه التقريب أن عدد الأغنام في لواء البصرة سنة ١٩١١ م ربع مليون
رأس حيث اننا اذا رجعنا لتقارير الحكومة العثمانية ورسومها تبينت لنا الحقيقة
كما اننا لا نجح حق من قال بانها بلغت يوما ما خمسمائة الف لأن ذلك كان
ممكناً وخاصة في عصورها الزاهرة حيث الاستقرار والامان والرفاه .

وقيل ان الاحصاء الاخير اثبت ان عدد الأغنام في البصرة
نحو ١٤٠ الف رأس وهذا لا يدخل ضمن الأغنام التي تأتي من دخول البدو الى

لواء البصرة في بعض الاوقات .

ثم رجعة الى عدد الخيل في هذا اللواء حيث قيل ان أهل البصرة في ايامها الاولى كانوا يمتلكون مائة الف رأس من الخيول .

ثم دمر اكثر هذا العدد بسبب الحروب وخاصة في حرب الزنج ثم جاءت محاصرة العجم للبصرة فذبحت الخيول واستعملت كطعام حتى يروى أن شاباً رأى والده يريد ذبح حصانه فاخذ يتوسل بوالده ان يذبحه هو ويترك حصانه العزيز .

وبعد سنة ٩٤١ هـ أخذ محصول الخيول بالازدياد وخاصة بعد أن نظمت قوات الخيالة - سوارية - ثم اخذ المنتفكيون يدخلون البصرة ومعهم الخيول واصبح للبصرة شهرة كبيرة بالخيول الاصائل .

ولما جاءت سنة ١٣٠٠ هـ اخذ الاتراك ينظمون قوات الخيالة واستعملت البنادق فكان ان صنعت في البصرة انواع الاغمدة - كراب - وتفتنوا في عمل هذه الاغمدة مع التفتن في عمل السروج .

وقيل ان عدد الخيول بلغ سنة ١٣٢٩ هـ ستين الفاً ثم جاءت الحرب العظمى الاولى التي أدت الى قتل عدد كبير من الخيول كما وان الانكليز بعد احتلال البصرة اشتروا عدداً كبيراً منها باثمان عالية ليستخدموها في حربهم مع الاتراك .

وحدثني احد المسؤولين بان في سنة ١٩٤٠ م لم يكن في البصرة اكثر من ثلاثة الاف رأس من الخيول وهي منتشرة في انحاء القرى والمزارع وعند العشائر وهي لا تزيد اليوم عن هذا العدد .

(تجارة الخيول) : جاء في مذكرة احد كتاب البصرة الذي كان يسكن

منطقة العشار للاشتغال على البواخر انه بتاريخ ١٣ آب سنة ١٨١٢ م سافر من
البصرة كل من المر كين (اليزة) و (سفينة الرسول) وكانت قد حملت بخيول
شركة الهند الشرقية قاصدة بنكالة وكانت اجرة تحميل الحصان الواحد مع
راكب يرافقه مائة روبية .

ثم قال وفي ٢٥ آب من السنة نفسها سافر مر كب - ميكالي - من البصرة
وكان قد حمل قليلا من الخيول البصرية حيث يقصد مدينة (بوشهر) لتحميل
الخيول من هناك .

وكانت للخيول البصرية سمعة طيبة في جميع ميادين السباقات وخاصة الهند
وبريطانيا فكان الحصان الذي يحمل شهادة بصرية تعطى له قيمة اكبر ويشترى
بأثمان عالية وذلك نظراً لان البصريين كانوا يعتنون بتربية الجياد الاوائل
المعدة للسباقات .

والى سنة ١٩٣٠ م ثم سنة ١٩٣٢ م كان سباق الخيل في البصرة يدفع
بالالوف من ابناء العراق والخليج العربي لمشاهدة السباقات والاشتراك بالرهان .
وكانت الخيول المشهورة لها اسماء خاصة مثل : منوة، ودجلة، وسهيلة، ونجمة الصباح ،
وابوالهيل والهاشمي، والاسمر، وصقر الميدان، وسيف الصحراء ، وحرب وغيرها .

كما وان اسماء الخيول البصرية وسرعتها كانت ترسل من وسطاء خاصين
في البصرة الى ميادين السباقات وكانت البرقيات والرسائل والرسائل الخاصين
من البصرة الى الهند وبريطانيا خاصة تذهب وهي تحمل الرموز أحياناً خوفاً من
حل محتوياتها ومعرفة أسرارها .

وكانت أول مكلمة برقية جرت بين البصرة وبغداد حدثت في ٢٨

كانون الثاني سنة ١٩٦٥ م وهي تصادف غرة رمضان سنة ١٢٨١ هـ ثم افتتحت
الخطوط البرقية مع استانبول وغيرها حيث كان رئيس موظفي التلغراف في البصرة
سنة ١٨٦٦ م رجل اسمه (كالوتي أفندي) .

وتحدثنا الانباء بأن بريطانيا مدت حبلا سلكياً - قابلو - بين الهند والبصرة
وذلك عن طريق قعر البحر ثم مدت خطأ سلكياً آخر - قابلو - من البصرة الى
بغداد عن طريق نهر دجلة وذلك سنة ١٨٥٥ م .

وتحدث التاريخ بأن شركة الهند الشرقية طلبت من الحكومة العثمانية ان
تمد خطاً ارضياً من بيروت الى البصرة والخليج سنة ١٨٥٦ م ولكن هذا الطلب
رفض الى ان كانت سنة ١٨٥٧ م حيث اتفقت الحكومة العثمانية مع الانكليز
على قيام المهندسين البريطانيين بمد خط استانبول بغداد بصرة والخليج عن طريق
الفاو كما اتصلت بالاهواز عن طريق البصرة .

والذي كان يعرف اعمال الاتصال البرقي هو الجهل الذي كان يعم الشعب
حيث تعرض الخطوط الى عبث الاطفال والقبائل .

وتحدث شاهد عيان انه كان مع جماعة في سفرة على ظهور الدواب في العراق
سنة ١٣٣١ هـ فمروا باعمدة التلغراف فما كان من بعضهم الا ان يتسلق بعضها
ويقطع من الاسلاك - الوايرات - حيث انها كانت حسب معرفته يمكن ان
تستخدم لربط الامتعة والحمولات على الدواب .

كما وان اجرة البرقيات كانت غالية زيادة على ان بعض افراد الشعب
كان لجهله لا يعتقد بصحتها لانه لا يصدق ان هذا الارسال هو كلام موجه
من بلد الى آخر .

﴿ واردات البصرة ﴾ : وكان يرد البصرة من الشمال الكشمش والزبيب
واللوز والجوز والفسق والبندق والكثيرى والاجاص وكذلك الشب والحلب
والزرنيسخ والتين اليابس .
ويردها ايضاً التوتياء والكهون و (ورد لسان الثور) الورد الماوي والعسل
وهذا كله من ايران .

ويرد من الهند الجوب چيني والكحل والعصفر والتفاح والبابنج والدارصيني
وجوز الهند والموز والكرم والعنبه والقلفل الأسود والقنب الزري والشاي
والزهفران والأخشاب ومصنوعات الجوت كالگوانى والسوتلي .
ويرد من الصين الحرير والسكر وبكرات الفضة والأواني الخزفية والثريات
والأفيون والمهليج والقطن المحوج وبذر القطن والشاي .
ومن امارات الخليج الملوى المسكتية والسمك الكبار والمثوث - ممك صغار -
والبخور والؤلؤ .

ومن حلب الصابون وبذر الخيار وحب البطيخ والقصدير والنحاس (البرنج)
والشعلبية والزئبق والتوتياء والمهيل والشمع والجوارب .
ويرد من اوربا الاقمشة و (الصفرة) النحاس الاحمر والجلود المدبوغه والسيجاير
والسكاكين والفانيلات والزجاج والشخاط وورق السيكايير والنفط والعطريات .
ومن اليمن التوابل والبهار والبن والمرجان والاششاب وبعض انواع الاممك
والاسلحة من سيوف وخناجر وعدادات وغيرها .

ثم بعد تقدم المدنية اخذت ترد الى البصرة الكماليات بما فيها أدوات الزينة
والبودر والاصباغ والاحذية الرجالية والنسائية والمعاطف وخاصة النسائية ذات

الفرو والمواد الانشائية .

كذلك اخذت تزد الادوات والمكائن والاسرة الحديدية والمعامل وآلات
الزراعة والسقي والمشروبات الروحية والسيكاير وبنادق الصيد والمسدسات
والادوات الرياضية والطباخات ومعدلات الهواء وأدوات الحلاقة والثلاجات
والتلفزيونات والسيارات .

كذلك ايضاً كان ولا زال يرد الحليب والجبن والمعلبات من مربيات
وكرزات ولحوم وزيت وعجلات وورق وانواع القرطاسية .

ولم يعرف العراق استيراد الطحين والدهن والرز وانواع الجوت الا في
الايام الاخيرة من سنة ١٩٤١ م حيث كان العراق مخزناً كبيراً لها .

وكانت اهم الدول التي تتاجر معها البصرة قديماً ايران والهند والصين وامارات
الخليج واليمن وسوريا كما كانت تتاجر مع تركيا واليونان وجميع انحاء العراق
وخاصة بغداد .

أما اهم الممالك التي اصبح التاجر البصري يبني علاقاته معها بعد سنة ١٩١٤
فهي الهند وبريطانيا والصين واليابان واستراليا وفرنسا والمانيا والنمسا والسويد
وبلجيكا وامارات الخليج وسوريا والاردن ومصر وتركيا وايران والولايات المتحدة
وكانت أرخص الحاجيات هي التي تستورد من اليابان والصين ولكن اقواها
كانت التي تستورد من بريطانيا والمانيا .

و كنا نشترى مثلاً لعبة الاطفال التي ارتفاعها قدم واحد من البضائع اليابانية
بخمسين فلساً بينما كانت نفس اللعبة نشترىها من البضائع البريطانية بمائة فلس .
ونشترى الياردة من القماش القطني الهندي بستة عشر فلساً بينما كنا نشترى

نفس النوع من الصناعة البريطانية باربعين فلساً .
وكان باكيت شلفات حلقة المائي من نوع مانورا بثمان فلوس بينما كانت
شلفات الحلقة البريطانية من نوع (ناسيت) بخمسة عشر فلساً .
كذلك الزوج من الجوارب الحريرية النسائية من النوع الافرنسي (باريس
نايت) كان ثمنه سبعين فلساً بينما كان الجورب من نفس النوع والمادة من الصناعة
اليابانية يباع بثلاثين فلساً .
وكانت الياردة من القماش الهندي (كشمير) والانكليزي (مانجستر)
وهي من الصوف الخالص تباع بثمانين فلساً بينما كان القماش الالماني من نفس
النوع يباع بمائة وعشرين فلساً حيث ان قاطناً رجالياً من القماش الانكليزي
كان يكلف دينار ونصف بينما القاط من القماش الالماني كان يكلف تسعمائة فلساً .
وكانت وقية السكر من النوع البلجيكي البلوري تباع في سنة ١٩٠٠ بقرشين
أي اربعين فلساً ثم بيعت سنة ١٩١٩ بر بيتين ١٥٠ فلساً ثم بيعت سنة ١٩٢٥
بربية (٧٥) فلساً ثم اصبحت تباع سنة ١٩٣٩ بثلاثين فلساً علماً بان الوقية
البصرية تساوي ثلاثة كيلوات وهي حقتين ونصف اسطنبول .
أما السكر البنغالي - بنغال - وهو هندي فكانت الوقية منه تباع سنة ١٩٣٩
بعشرين فلساً وهو لا يستعمل إلا للحلوى والشربت ولا يستعمل للشاي ابدأ .
وكذلك العطور الفرنسية كانت تباع بثلاثة اضعاف العطور اليابانية والهندية
ودهن الورد الهندي كانت (الشيشة) تباع بثلاثين فلساً والياباني كذلك أما
الفرنسي فكانت الشيشة بمائة فلس او اقل بقليل .
ويمكن للفرد أن يتصور بأن درزن مواعين صيني من النوع المتوسط كانت

تباع سنة ١٩١٢ م بقرضين ونصف (٥٠) فلساً وبيعت سنة ١٩٣٠ بمائة وعشرين
فلساً وبيعت سنة ١٩٤٤ بدينار وتباع اليوم بحوالي ٦٠٠ فلساً .

والوقية اللحم بيعت قبل ١٠٠ سنة بقرش ونصف (٣٠ فلساً) وبيعت سنة
١٩١٠ بقرشين (٤٠) فلساً وبيعت سنة ١٩١٦ بثلاث ربيات (٢٢٥) فلساً
وبيعت سنة ١٩٣٢ بمائة فلساً وبيعت سنة ١٩٥٦ بتسعمائة فلساً وتباع اليوم بنحو
دينار واربعائة فلساً .

أما الذهب فنظراً لتعرض البصرة دائماً للاضطرابات فكان سعره بالارتفاع
فقد قيل ان سعر المثقال الواحد كان سنة ١٦٠٠ م (٤٠) قرشاً ثم بعد سنة
١٧٠٥ م وبعد ظهور الانكليز كمتجار في اسواق البصرة ارتفع سعره الى (٤٥)
قرشاً وبقي على هذه الحالة الى سنة ١٧٢٠ م وبعد أن قوي نفوذ الهولنديين
حاول الانكليز تخفيض سعر السوق لتخسر التجارة الهولندية حيث اصبح سعر
المثقال الذهب (٣٥) قرشاً ولكن الهولنديين تمردوا هذا الانتقام فغاصروا
بالمال في سبيل كسب الوقت والدعاية فنقلوا كميات كبيرة من بضائعهم على ظهر
ثمان سفن وأفرغوها في منطقة المناوي وباعوها بأثمان رخيصة جداً واشتروا بالمال
ذهبا حتى وصل سعر المثقال الى (٤٧) قرشاً كما وأسسوا بعض المعامل
لتشغيل الايدي العاملة .

وكذلك كان سعر الذهب قبل ذلك قد ارتفع سنة ١٠٧٦ هـ - ١٦٦٥ م
وفي أثناء الحرب بين العثمانيين وحسين افراسياب حيث كان اليهود ومنهم
الصرافين - يوسف وصالح - كانوا قد اشتروا جميع ذهب البصرة فوصل سعر
المثقال الى (٤١) قرشاً .

كما وان في ايام الطاعون الذي اصاب البصرة سنة ١١٠٢ هـ ١٦٩٠ م وكان
الناس يموتون بمقدار خمسمائة شخص في اليوم وتكدست الجثث في الطرقات
فاخذ الناس يبيعون كل شيء عندهم وحتى بيوتهم ومزارعهم واثاثهم واشتروا
به ذهباً وهربوا الى الجهات البعيدة مما ادى الى زيادة سعر الذهب حتى أصبح
المثقال منه يباع بخمسين قرشاً .

رحلة من البصرة :

ويصف لنا أحد الحجاج انه ركب الباخرة المسماة (دجلة) من البصرة في
٦ شوال سنة ١٣٢٨ هـ ١٠ تشرين اول سنة ١٩١٠ م وفي اليوم العشرين من
شوال ٣٠ تشرين اول من السنة نفسها التفت الباخرة مراسيها في جزيرة ابي سعد
مقابل جدة في الحجاز حيث من جدة ركب الدابة الى مكة والتي قال عنها بانها
تعيش برفاه وأمان تحت سلطة الشريف حسين كما وان كل شيء فيها رخص
ما عدا اجرة المنزل فهو يقول نظراً لبرودة الجو فقد استأجرت غرفة مع اثائها
ووجبات الطعام الثلاث بنصف مجيدي يومياً (١٠٠) فلساً وان هذا الغلاء
سببه كثرة الحجاج .

ثم يصف عودته عن طريق المدينة المنورة وخط الحجاز الحديدي ثم سفره
الى حلب ومنها الى مسكنه التي تقع على الفرات ثم ركوبه منها بزورق بخاري
حيث وصل الرمادي بعد اربعة ايام .

وبعد ذلك سار الى الفلوجة ثم الى بغداد على ظهور الخيل واخيراً ركوبه
الباخرة (برهانية) التي غادرت بغداد فوصلت البصرة بعد سبعة ايام .
ويقول صاحب الرحلة بانه في هذه الفرة النهرية لاقى مصاعب ولكنه

يرجع فيقول بانه شاهد المزارع على ضفتي دجلة حتى ان الخيال - اي الرجل
الراكب على حصان - كان اذا دخل بين الزرع ضاع بين سنابل الحنطة والشعير
والأذرة وغيرها .

ثم يتحدث عن الجبن واللبن والزبد الذي كان يشتريه الركاب فيقول بانه
اشترى قطعه من الجبن وزنها حقة بصرية بعشرين فلسا كما وانه اشترى خروفيين
كبيرين من القرنة بمجيديين (٤٠٠) فلسا .

وتحدث مسافر ركب الباخرة (مجيدية) من البصرة في ١٣ تموز سنة ١٩١٣
فوصلت القرنة في اليوم الثاني حيث اشترى حمل جحش من البطيخ - اكثر من
ثلاثين بطيخة - بربع مجيدي (٥٠) فلسا .

ثم يقول بان الباخرة توصلت في الطين في منطقة - ابوروبة - فكان
المسافرون يشترون كل ثلاثة ارغفة من الخبز في بارة واحدة - اكثر من فلس
بقليل - كما وانهم عند وصولهم العمارة اشترى قفص دجاج فيه ٢٠ دجاجة
بمجيدي ونصف (٣٠٠) فلسا .

وهناك مسافر ركب الباخرة (دامرا) من البصرة بتاريخ ٥ شباط سنة
١٩١٣ فسارت فيه حيث وصلت الى البحرين التي يقول بانه اشترى منها سمكتين
كبيرتين وزن كل واحدة اكثر من عشرة كيلوغرامات بنصف مجيدي .

ثم سار فوصل مسقط وهناك اشترى قوطي حلوى وزنه اكثر من ثلاثة
حقوق بمجيدي ٢٠٠ فلسا علما بان الحلوى كانت معجونة باللوز . أما عند وصوله
كراچي فيقول انه اشترى معطافارجاليا بخمس ربيات أي (٣٧٥) فلسا وهو
اليوم يباع بعشرين دينارا .

ثم يقول انه بعد ذلك سافر الى بومي ومكث فيها أياما اشترى منها ثلاثة
قرود بقران (٢٠) فلسا ثم اشترى قفصا بديعا من البرنز المنقوش بالمشدر وفي
داخله ثلاث ببغاواى جميلة بمجدي واحد أي قيمة القفص والببغاوات ٢٠٠ فلسا

* * *

اكتيال البرو من البصرة :

يقال ان لفظه (الجلي) مأخوذة من الصليبي الذي حرفه الاتراك فاعطوه
الى كل رجل هادىء ولكن المعروف عن البدو (الصلبة) انهم ذوو اخلاق شرسة
فماذا ينسبهم البعض الى الصليبيين ؟

ان القبيلة التي ينتمي اليها الصلبة هي (هيم) وهي ليست قبيلة بالحقيقة ولكنها
مجموعة قبائل و كان الاستاذ العزاوي قد ممام بالقبائل المتحيرة .

وليس كل بدوي صليبي ، حيث ان البدو الذين يكتالون من العراق فيهم
من السعوديين والعراقيين الذين لا ينتمون الى الصلبة باي صلة .

وقد جاء على لسان أحد المعمرين ونقله عنه احفاده بأن في سنة ١٢٢٠ هـ
دخل بدو نجد البصرة للاكتيال وكان دخولهم على صورة التناوب والتفاوت
من حيث العدد والشراء والاحمال وقد اشتروا من البصرة في الدفعة الاولى
خمسائة حمل من الارز غير المهيش والطحين والتمر والشعير .

ثم اشتروا في المرة الثانية حمولة اربعمائة وعشرين جملا من الذرة وعلف
الحيوان والحطب والتمر بما فيه نوى التمر ايضا وهكذا دامت ايام الاكتيال
نحو من شهر حتى ارتفعت اسعار الحاجيات في البصرة حيث اصبح سعر كيس
الطحين الذي وزنه ٢٤ وقيّة من مجدي وربع ٢٥٠ فلسا الى مجدي ونصف ٣٠٠ فلسا

وفي سنة ١٣١٠ هـ باع اهالي المطيحة في البصرة الف كارة تمر الى بدو المملكة
السعودية والعراق كما باعهم حمولة سبعين جمل من السعف والخطب والنوى .
وقبيل الحرب العظمى الاولى وفي سنة ١٣١٢ هـ دخل البدو البصرة للاستيال
وكانوا خليطا من بدو شمر وعنزة والضيفر ولما كانت بينهم عداوات سابقة
كادت ان تحدث فتنة وينشب القتال داخل المدينة لولا تدخل السيد طالب باشا النقيب



﴿ السيد طالب باشا النقيب ﴾

وانه أشرف بنفسه على الاكتيال وقد قسمت المشتريات بالتساوي وكان قد حدث في تلك السنة جفاف في الصحراء وقد خاف البدو على ابلهم ومواشيهم من الهلاك فباعوا الالوف من الاغنام والمعز باقيام رخيصة وكان مقدار ما اشتروه من اسواق البصرة ثلاثة الاف كيس دقيق والف وخمسمائة كيس ارز وستة الاف خصافة (حلانة) تمر وستمائة كيس شعير وكمية من القماش والديس . وفي سنة ١٩٢٨ م حيث عادت العلاقات طيبة بين العراق والسعودية جاء البدو الى البصرة وهم يحملون الدهن والوبر والصوف والجلود كما باعوا الى منطقة جنوب العراق ما قيمته ١٠٠ الف ربية من الحيوانات وقد اشترى بهذه الكمية من النقود تمراً ودبساً وشعيراً ودقيقاً وكميات من الذرة والملابس ذات الالوان الزاهية وبكرات الخياطة والابر والشخاط والصابون حتى ادى ذلك الى ارتفاع اقيام بعض الحاجيات فارتفع سعر الوقية الطحين من ١٤ فلساً الى ١٦ فلساً ووقية التمن من ٢٤ فلساً الى ٢٨ فلساً وتنكة الديس من ١٤٠ فلساً الى ١٦٠ فلساً والبكرة ام الزنجيل من فلسين الى ثلاثة فلوس والصابونة الركي من خمسة فلوس الى ستة فلوس .

وفي اجتماع متصرفيات الالوية الذي عقد في البصرة بتاريخ ١٧ مايس سنة ١٩٥٢ م وضعت خطة موحدة لاكتيال البدو من انحاء العراق ثم صودق على هذا القرار في الاجتماع الذي عقده متصرفو الالوية في ديوان وزارة الداخلية وذلك بتاريخ ٥ حزيران من السنة نفسها والذي اعطى فيه لكل بدوي خمسين كيلوغرام من الرز وعشرين من الطحين وعشرين من الشعير ولكن لم تحدد كميات الديس او التمر او المواد الأخرى حيث كانت لجان التموين

هي المسؤولة عن ذلك وقد زود البدوي السعودي من دوائر الاستهلاك باستمرار
رقم - س - ١٤ - وزود البدوي العراقي باستمرار رقم س - ١٥ .

أما البدو بصورة عامة فكانوا يتعاملون بالسوق السوداء والتهرب وكانت
كميات السيكاير الافرنجية وأدوات السيارات والشاي وورق اللف والاحذية
هم الذين يدخلونها الى اراضي العراق .

وأرجو أن ألفت نظر الأخ القاريء الى أن البدو في اكتياليهم من العراق
دائماً يحدثون ارتفاعاً في اسعار بعض الحاجيات التي يستهلكونها هم اكثر من
الغير مثل التمر والطحين والشعير والارز والدبس والقماش .

وبهذه المناسبة نذكر حادثاً حول هذا الموضوع حيث ان التمر البصري حصل
بسعره ارتفاع كبير سنة ١٨١٢ م فقد سجل احد كتاب ذلك العهد في مذكراته
ونقله عنه يعقوب سر كيس قوله :

في ١٠ تشرين ثاني سنة ١٨١٢ زادت الطلييات على التمر السائر والخضراوي
حتى وصل سعر الكارة الكبيرة ١٢٠ عين للتمر السائر و ١٤٠ عين للخضراوي .
والعين عملة تساوي - قرش واحد - وتسمى - قرش رومي - وعلى ذلك
يكون سعر ٤٠ مناً بصريا من التمر السائر ١٢ ليرة والخضراوي ١٤ ليرة مع العلم
ان اعلى ارتفاع لسعر التمر قبل الحرب العظمى الثانية كان نحو من ٣٢٠ فلساً للمن
الواحد. وقد جاء في تلك المذكرات ان البدو صعبت عليهم الامور في تلك السنة
فباعوا خيولهم للبصريين وقد غمرت الاسواق العربية بتلك الخيول الاصائل التي
اشترت باثمان رخيصة ورجع البدو وهم يحملون التمور والحبوب البصرية ولكنهم
كانوا يتلفتون الى البصرة التي ضمت جيادهم والتي ارسلت بعد ذلك الى ميادين
العالم الكبيرة للسباقات . . .

أبحاث بصرية

علاقة البرتغال والهولنديين والانكلز والمساوقة التجارية بالبصرة . . .

الملابس البصرية من دشداشة والمزوية ثم القلانس والسراويل المزركشة ..

أحياء نهر الحجاج يحي خمسين الف ايكر من الاراضي الزراعية في البصرة ..

تاريخ تأسيس أهم الشركات التجارية الوطنية والاجنبية في البصرة . .

فلس بصري قديم عليه صورة نخلة تشبه نخلة العملة العراقية الجديدة . .

زار البصرة سنة ١٥٨٣ م الرحالة الانكليزي - رالف فيتش - فكتب عنها في مذكراته يقول : البصرة بلدة تجارية عظيمة التوابل والأباريز والعقاقير التي تأتيها من هرمن كما فيها اكبر مخزن للقمح والرز وينمو فيها التمر بكثرة والحالة المعاشية فيها سهلة وحلوة .

ورالف فيتش هذا أول انكليزي بزور البصرة وكانت الحكومة البريطانية قد ارسلته الى العراق ومعه كل من الرحالة - نيوبري - والرحالة - وايلدر - حيث مسحوا نهر الفرات .

ولما صارت سنة ١١٦٩ هـ - ١٧٥٥ م كانت التجارة في البصرة بروج وازدياد حتى اصبح عدد الاجانب من الاوربيين في البصرة ١٧٠٠ شخص

وصار للقنصل الفرنسي والاي كان يسمى - وكيل - محلاً ثابتاً في البصرة .
والوكيل هذا كان في اول الامر من القسس العلمانيين ثم اصبح يمثل فرنسا
وذلك بعد زوال النفوذ البرتغالي من البصرة وانتقالهم الى جزيرة - خارك -
سنة ١٧٥٢ م .

وجاءت شركة الهند الشرقية ومعها المقيم البريطاني لتزاحم الفرنسيين
واخذ الانكليز على عاتقهم حماية الملاحة في شط العرب حتى ان بني كعب لما
اسروا سفينة تركية في مياه شط العرب اطلقت السفن البريطانية عليهم النار .
ولقد سجل التعداد عدد التجار الاجانب في البصرة سنة ١٧٧٥ م فكان
(٣٠) أرمينياً و (٨) برتغاليين و (٩) افريقيين و (١٢) انكشاريا و (٧)
فرنسيين و (٤٠) هنديا .

ثم أخذ المسقطيون يتصلون بالبصرة برأً وبحراً حيث سارع امام عمان
بارسال اسطوله البحري الى مياه شط العرب ليحمي البصرة من العجم .
وأرسل المسقطيون أيضاً الى البصرة المعدات الحربية والمؤن وفتحوا المحلات
التجارية حتى صار عدد التجار منهم (٨٥) تاجراً و (٢٠٠) ملاحاً فكان أن
خاف الانكليز من هذا النفوذ حيث عمل المستر - مانيسي - مدير وكالة البصرة
الانكليزية على تصفية حساب المسقطيين فاشترى كل تمر البصرة وحبوبها وحتى
سعف النخيل ونوى التمر ثم اشترى الدبس البصري كما اشترى الحبوب والجلود
والمصارين وتعهد بتموين البصرة بكل السلع والاسلحة وكانت ولاول مرة تقف
السفن الانكليزية ذات الشراعين في مياه شط العرب وانتهى النفوذ المسقطي من
البصرة وحل محله النفوذ الانكليزي .

وفي سنة ١٨٠٠ م - ١٢١٥ هـ زار البصرة ثلاثون سائحاً كان من بينهم تاجر من مدينة البندقية في ايطاليا وصراف يوناني وراهب فرنسي وطبيب هولندي وبحاران هنديان ومهندس المائي وستة من التجار الانكليز .

كما وان المقيم البريطاني أخذ يزور القبائل العربية في العمارة والناصرية واشترى منهم الحبوب وجلس معهم في بيوتهم وزار الاهوار واخذ يوزع عليهم الهدايا حتى صار للانكليز اصدقاء من هؤلاء القبائل مما جعل الحكومة العثمانية ترتاب من الامر ولكن المقيم عرف كيف يقنع العثمانيين فتمت بناية دار المقيم وصار له حرس بملا بسهم المزركشة .

وكانت البصرة قد ذاقت طعم الراحة منذ عهد افراسياب الذي كان عهده عهد تجارة وثقافة حتى ان الرحالة البرتغالي - غودينهو - الذي زار البصرة سنة ١٥٧٤ هـ - ١٦٦٣ م قال : ان البصرة سوق تجارية في هذه البحار .

وقال : واعجب من ذلك بيوتها الجميلة وجنائنها وبساتينها وسهولها الزاهرة التي تسقى بعدد كبير من الترع .

ان نهر الحجاج الذي هو احد انهار البصرة القديمة كان يسقي خمسين الف ايكر من الاراضي حيث حولها الى بساط اخضر ونخيل وكروم فكانت عنقايد العنب تبقى متدلية دون ان تمسها الايدي الى السنة الثانية وذلك لكثرة الحاصل ووفرته .

وحسبك ان يتحدث الناس الى اليوم بان في سنة ١٩١٩ م اشترى الانكليز من فواكه البصرة ليمونوا كل قواتهم في الخليج العربي .

وكان نائب البصرة المحامي سليمان فيضي قد أعد مشروعا سنة ١٩٢٨ م

قدمه الى الحكومة العراقية يتلخص في شق ترعة ما بين نهر كرامة علي
وخور عبدالله .

وعلى أثر زيارة الملك فيصل الاول للبصرة في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٢٨ م
تأسست أول جمعية زراعية ملكية وكان رئيسها السيد هاشم النقيب وسكرتها
سليمان فيضي .

والحقيقة ان البصرة بحاجة الى جمعيات زراعية لا جمعية واحدة وكان أول
من فكر في احياء نهر الحجاج وتأسيس الجمعيات الزراعية في البصرة المهندس
العالمي - ويلكوكس - الذي استدعته الحكومة العثمانية سنة ١٩١١ م ليضع تقريراً
عن الري في العراق فكان ان قدم مشروع احياء نهر الحجاج المطور الذي قال
انه يبدأ من نهر كرامة علي ويتصل بنهر ابي الفلوس ومن نقطة التقائه غرب
البصرة يكون نهراً واحداً ليتصل بخور عبدالله وتكون عليه نواظم وخزانات
صغيرة لا تفتح الا وقت الحاجة وايام الفيضان وعلى أن يكون عرض النهر ٥٠
متراً وعمقه ثلاثة امتار ونصف وبذلك تتخلص البصرة من الفيضان وتزرع
الحبوب والتبوغ والكروم زيادة على النخيل والخضروات ويقال ان هذا المشروع
يدر على البصرة اكثر من مليونين دينار سنويا زيادة على فوائده الاخرى
وتلطفه للجو .. - لو تم ذلك لكان ذا اهمية عظيمة في الوقت الحاضر -

ولما كانت التجارة لا تسير سيراً حسناً الا مع الامان والاطمئنان فقد
كانت أيام دولة أفراسياب في البصرة من أجل هذه الايام حيث اسس الكمارك
وحرس الحدود والحراس اليليين وحول الجيش المتطوع الى جيش نظامي وأرسل
مدفعاً ضخماً الى بغداد للدفاع عنها ضد الهجوم الايراني حتى اذا ما جاءت

سنة ١٠٦٠ - ١٠٦١ هـ - ١٦٥٠ م وحكم حسين باشا افراسياب بعد والده علي
عمت روح الازدهار التجاري في البصرة وقصدها حتى الاتراك من استانبول
لكي ينعموا في حرية البصرة وتجارتهما حتى قيل ان الناس كانوا يتجولون في
الزوارق الى ساعات متأخرة من الليل .

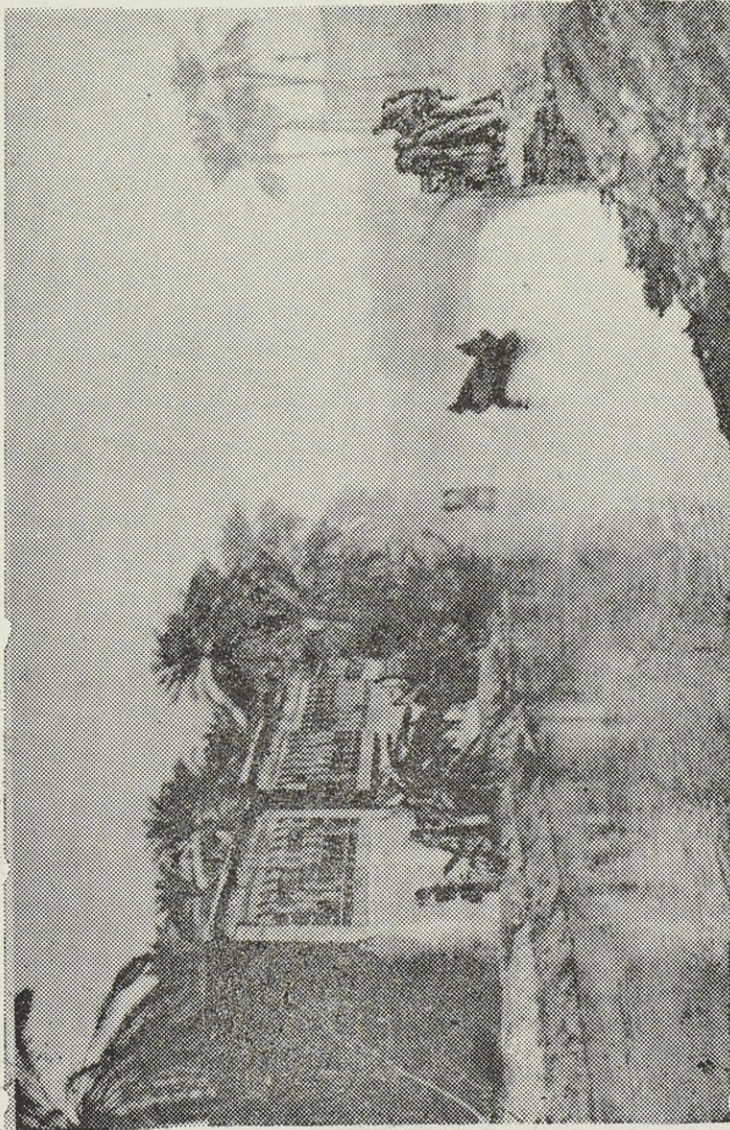
وقد جلب الهنود الاقمشة والنيل وجاء الهولنديون بالتوابل واخذ الانكليز
الملح وجلبوا بدله الآلات وقصد البصرة التجار من الموصل وبنهاد وديار بكر
وحلب وازدادت الطلبات على التمر البصري حتى قيل ان في سنة ١٠٦٣ هـ -
١٦٥٢ م وقفت في مياه شط العرب اربعمائة سفينة .

وفي هذه الايام ضربت السمكة في البصرة نقوداً بصرية جديدة حتى ان
الاستاذ العزاوي يذكر انه وجد في البصرة نقد نحاسي - فاس - عليه تصوير
(نخلة) وهو يشبه النقد العراقي الجديد الذي يزين احد وجهيه صور النخل وكان
ذلك قبل ٣١٥ سنة .

وبينا كانت هذه الامور تسير على هذا المجرى مع التاريخ جاءت سنة
١٦٩٠ م - ١١٠٢ هـ حيث تأثرت البصرة بالطاعون الذي حدث والذي كان
يموت من جرائه يومياً خمسمائة شخص ومن جرائه وبقيت الشوارع
والاسواق والمزارع البصرية خالية تقريباً .

وفي هذه السنة هاجمت قبائل المنتفك البصرة فكان ان يقاومها الرجال الذين
نجوا من الطاعون ولكن البصرة سقطت سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٤ م بيد مانع بن
مغامس الذي تمكن هو بدوره أيضاً من توطيد عرى التجارة مع الاجانب وبني
المدرسة المغامسية وأسس المشاريع ووطد الامان ونظم الشوارع والاسواق وشجع

الزراعة حتى قيل ان في عهده جاء الهنود بكثرة الى البصرة واعتنوا كثيراً
 بزراعة الموز واصبحت كل دار فيها حديقة تزينه شجرة الموز خاصة وان الطقس
 والماء البصري يساعدان على نمو هذه الشجرة فكانت أسواق خليج البصرة و ابران
 وتركيا كلها تشتري الموز البصري وحتى ان احد تجار البصرة اشترى كمية من
 الموز البصري وصدرها الى بغداد وبعد شهر واحد جاءت طلبية اخرى ثم اخرى
 الى ان انتهى فصل الموز سنة ١١١٠هـ ١٦٩٨م واذا بربح هذا التاجر ١٠٠٠ ليرة ذهبية



منظر بصري أخذ سنة ١٩١٥

ثم في نظرة جدية بعد هذا التاريخ نرى ان الشركات الاجنبية تزيد في
وكلائها في البصرة فكانت شركة الهند الشرقية في البصرة سنة ١٧٢٣ م وقد
استخدمت عدداً كبيراً من العمال البصريين وطلبت من الحكومة العثمانية اعطائها
الامتيازات والضمانات وتخفيف الضرائب عنها لتعمل على اسعاد البلدة وقد
وافقت الحكومة العثمانية على ذلك ولكنها عادت سنة ١٧٢٧ م لتفرض ضريبة
كبيرة على الشركة وتطارد عمالها وترجمها دون انهم مما أدى الى توقف
الشركة عن العمل .

وطالما نحن بصدد الشركات نقول ان شركة اصفر من اقدم الشركات التي
تأسست في البصرة حيث ان تاريخها يرجع الى سنة ١٧٩٤ م وكانت مهمتها
استيراد الاموال من الهند بالسفن الشراعية وكان ام ما تتعامل به من اموال هي
الاقمشة والشاي والسكر كما كانت تعمل على تصدير التمور والحبوب ليس الى الهند
فقط بل الى امارات الخليج وجزيرة سومطرة وجاوه والصين .

وكانت مكابسها من اول المكابس الفنية التي تأسست وهي ثلاثة مكابس
كبيرة جداً في كل من الحسينية والحمدانية والرباط .

كما وان السيد اصفر أصبح قنصلاً فخرياً لفرنسا في البصرة فعمل على توثيق
عري السياسة والتجارة بين البلدين .

وكذلك من اقدم الشركات في البصرة شركة سيمون كريان سنة ١٨٩٦ م
وكانت لها فروع في انحاء العراق وصارت لها مكابس ودوائر ومعاملات وكان
اكثر استيرادها الخشب ومواد البناء كما كانت تصدر الحبوب والتمور .
ثم شركة الخضيرى وقد تأسست سنة ١٩٠٠ م وكانت لها عدة بواخر

نهرية وجنائب تعمل في دجلة ثم اخذت تزاخم الشركات الاجنبية التي أرادت الاستيلاء على ثروة البلاد .

وهناك أيضاً شركة اندروير وقد تأسست سنة ١٩٠٥ م وكانت اعمالها اولاً تنحصر في الملاحة البحرية بين البصرة والعالم الخارجي حيث تنقل تمور البصرة وحبوبها وجلود حيواناتها وصوفها الى الخارج وهناك تصرف بواسطة فروع الشركة ووكالاتها .

ثم اصبحت شركة اندروير هي وكيلة لعدة شركات اجنبية لبيع السمنت والآلات واجهزة صنع الحديد والمضخات وعصير الليمون .

واخيراً منحت امتياز احتكار بيع التمور فوجدت للتمر البصري أسواقاً في جميع انحاء العالم وكان على عهدها العناية الكبيرة للتمر .

وكذلك هناك شركة - فرنك ستريك - وقد تأسست سنة ١٨٩٠ م وكان عملها للخطوط العالمية المواصلات فكانت لها بواخر بحرية تعمل بين البصرة ولندن كما تحمل الركاب والبضائع كما وان هذه الشركة كانت وكيلة لشركة - باماشينا - اليابانية .

ثم زادت فاحتكرت استيراد المشروبات الروحية فكان باسمها تستورد بيرة - تيننتس - ومنتجات - جلاسكو - بما فيها الحليب الشهير (ابو البنت) وويسكي (جون هيكس) .

ومن الشركات ايضاً شركة - كرى مكنزي - وقد تأسست سنة ١٨٤٠ م وهي ممثلة لشركة الهند البريطانية للباخر البحرية كما وانها تمثل شركة بيت لنج للملاحة النهرية في دجلة .

وكانت تستورد انواع البضائع كما وانها تعمل في تصدير الحبوب والتمور

وكان لها - مزلق - يسمى (دو كيارد) لتصليح الزوارق التجارية والسفن
النهرية والجنائب .

ومن الشركات ايضاً شركة مايكل اخوان وقد تأسست من قبل الاخوين
وليم ورزوق مايكل وذلك سنة ١٩٠٨ م وكانت تتعامل في تصدير الحبوب
والتنمر ولها عدة مكابس وتعامل مع اميركا كما وانها تستورد البطاريات
الكهربائية والحوامض الكيماوية والمواد التي تستعمل في صناعة الصودا
والنامليت والثلج .

وتأتي ايضاً شركة هلس اخوان التي تأسست سنة ١٩٠٤ م وكان لها وكيل
في البصرة لشراء التمور ثم فتحت لها محلاً ثانياً في البصرة سنة ١٩٠٧ م وبنت محلاً
يطل على نهر شط العرب واصبحت هذه الشركة لها شهرة عالمية في كبس التمور
بصناديق صغيرة وهي محشاة بالجوز .

وكذلك هناك شركة مزرعة كوت السيد التي تأسست من قبل شركة هلس
اخوان سنة ١٩٢٢ م ثم اصبحت شركة مساهمة وكانت تعمل في تنظيم الزراعة
فهي عندما حصلت على أرض مقاطعة كوت السيد حولتها الى مزرعة فنية وكانت
أول من نصب المضخات لارواء الزروع .

وكان مديرها (داوسن) موظفاً في مديرية الزراعة العراقية وهو خريج
جامعة كمبرج وله عدة مؤلفات منها كتاب اشترك معه الاستاذ عبود الشبر في
تأليفه وكان يبحث في أسماء تمور البصرة .

وعمل اليهودي مير لاوي سنة ١٩٠٠ شركة باسمه كانت تتعامل في التجارة
ثم في سنة ١٩١٨ م تحولت الى شركة لبيع السيارات وأدواتها واخذت عدة

وكالات لمعامل سيارات بيوك وشفروليت ومبردات فيريجيدي وتايرات كودير
وكان الانكليز قد ساعدوا هذا اليهودي حتى نمت شركته بسرعة .

كما اسس اليهودي المحرم (عدس) سنة ١٩٢٠ شركة تجارية ثم اصبحت
وكيلة لمعامل سيارات فورد وأدواتها والدهون ووكالة شركة تايرات (ميشلان)
وشركة تأمين انيو وشركة فرايتي لبيع المواد الكهربائية والراديووات وكان
الانكليز في الخارج يتصلون بهذه الشركة ويعملون على أن تكون نقطة تجسس
لهم في البصرة .

* * *

وبعد أن استعرضنا بعض تواريخ تأسيس الشركات في البصرة ولو بلحظة
قصيرة نرجع الى ما تحدثنا به عن توثيق عرى التجارة بين البصرة والدول الاجنبية
فنقول ان مرجعه حكومة افراسياب وخاصة بعد سقوط هرمز بيد الانكليز سنة
١٦٢٥ م وخروج النفوذ البرتغالي من هناك حيث قوى البرتغاليون صلتهم مع
العثمانيين وافراسياب حتى ان افراسياب رفض انذاراً ايرانياً معتمداً على مساعدة
البرتغال فلما قام الجيش الايراني لمحاولة الهجوم على البصرة قصفته القوة البحرية
البرتغالية ودمرتة وذلك في منطقة قبان .

ثم أرسل البرتغاليون سفنهم وبضائعهم للبصرة مما جعل الانكليز يسرعون
في دحر هذا التقدم الاقتصادي البرتغالي وكان أن ظهرت التجارة الانكليزية
بوصول سفن تحمل السلع لبيعها في أسواق البصرة بانحس الأثمان لتقاوم السلع
البرتغالية الرخيصة .

ثم نزل الهولنديون الى ميدان المنافسة التجارية في البصرة ونقلوا البضائع

من - غومبيرون - الى البصرة سنة ١٦٤٥ م ثم جاءوا باسطولهم التجاري المكون
من ثمان سفن لينزلوا حمولتها في المناوي فكادت أن تدهور الاسواق التجارية
البريطانية في يوم واحد .

قيل ان خسارة الانكليز بلغت عشرة آلاف ليرة في شهر واحد حيث اقبل
الناس على شراء البضائع الهولندية ولكن الانكليز عرفوا كيف يتدبرون الامر
فاتصلوا بالحكومة في استانبول حيث فرضت الضرائب الكركية على الحاجيات
الهولندية بمقدار خمسة وعشرين بالمائة بينما خفضت الضريبة على البضائع الانكليزية
الى ثلاثة بالمائة حتى بعد مرور شهرين فقدت البضاعة الهولندية من اسواق البصرة
لعدم اقبال الناس عليها بسبب غلائها .

ثم عاد الهولنديون الى البصرة بعد احتلال الشيخ مغامس بن مانع للبصرة
سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م وقد ذكر احد الآباء الكرمليين الذين كانوا يسكنون
البصرة في ذلك الوقت في مذكراته انه في اليوم السابع من شهر تشرين الثاني
سنة ١٧٠٥ م حضرنا أمام الامير مغامس فرحب بنا وبعد ان هنأه الربان الهولندي
- بيتر - مراراً على احتلاله للبصرة وطلب اليه حماية الشركات الهولندية في
البصرة كما طلبت انا منه حماية كنيستنا - كنيسة الكرمليين - ودارنا .

وكان الكرمليون قد سكنوا البصرة منذ سنة ١٦٢٣ م أي قبل سكنناهم
بغداد بقرن حيث انهم سكنوا بغداد سنة ١٧٢١ م .

وبعد هذه المقابلة أصدر الامير مغامس براءة وحماية بتاريخ ٢٢ رجب
١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م وعلى اساسها اصبح للهولنديين امتيازات خاصة كما قويت
العلاقات بين الجانبين الى درجة اصبحت اسواق البصرة لا تجد فيها غير البضائع

والسلع الهولندية كما وان الهولنديين اشتروا التمر البصري وحملوه على ظهر مائة سفينة شراعية وثمانين بتيل كما وانهم اشتروا الرمان البصري اليابس ثم اشتروا البصل والملح فانتعشت التجارة بالبصرة .

ثم جاء سنة ١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧ م الشيخ ثويني بجيشه فاحل الزبير ثم أخذ وثيقة من أهالي البصرة يطلبون فيها من الا تراك تعيين ثويني حاكماً عليهم .

و كانت ام منجزات ثويني هي حفظ الأمن فقد نصب المشانق للسراق وقطاعي الطرق حتى يقال انه نصب في محلة المشراق خمس مشانق وفي محلة السبخة ثلاث وفي باب القبلة اثنتين وفي محلة السيمر ثلاث مشانق .

ثم أرسل الموظفين الى القرى ليشتروا الحبوب والبيض والفواكه والسمن لعرضها في الاسواق بقيمة رخيصة كما وانه قبض على رجال البحرية التركية الذين كانوا يساعدون على القرصنة في شط العرب ليقتسموا الاموال .. ثم حبس بعض هؤلاء الا تراك كما جلد الآخريين منهم امام الناس حيث كان يجري الجلد امام دار الوالي وبحضور أهالي المدينة جميعاً .

كذلك عمد الى وضع ستة الاف تومان جزاء على بعض أهالي البصرة الذين كانوا يتعاونون مع الا تراك .

كما صاح المنادي بالسكك والشوارع ان لا يفلق أحد باب بيته ليلا وان من يقبض عليه بعد الساعة التاسعة ليلا يعدم وان السارق يقطع بالسيف ويرمى لجه للكلاب فكان ان استتب الأمن والاطمئنان فارتفعت اجرة العامل اليومية من قرش الى قرشين وزادت حاصلات البصرة من الحبوب بمقدار مائة طغار على السنين السابقة .

ثم وقف رجاله على حدود منطقة البصرة ليأخذوا رسوم الكمارك عن البضائع
الداخلة وشدد على رسوم التبوغ والمواد غير الضرورية بينما خفض رسوم المواد
الضرورية . وأحصيت السفن الشراعية الداخلة للبصرة في كل يوم فبلغت ١٠٠
سفينة و ٦٠ بـلم نصاري و ٨٠ مهيلة تعمل على استيراد وتصدير الحبوب
والسلع للبصرة .

وعلى هذا خاف والي بغداد - سليمان باشا - ان يقوى ثويني ويعلن استقلاله
فجمع جيشاً كبيراً من الانكشارية كما ساعده الشيخ ثامر وقبائل من كعب
وهاجموا ثويني وحصلت معركة - ام العباس - انكسر فيها ثويني نظراً لتفوق
اعدائه واحتلت البصرة في آب ١٧٨٧ م بعد حكم ثويني الذي لم يدم أكثر
من ثلاثة أشهر .

ولقد عين مصطفى أغا متسلماً للبصرة وحمود الثامر شيخاً للمنتفك وفرضت
الغرامات على أهالي البصرة جمعت منهم بالاكراه والحبس والتعذيب حتى يقال
ان بعض النسوة بن حليهن ولوازم بيوتهن ليدفعن الغرامة وكان شاهد عيان
قد روى ان امرأة أرادت أن تبيع طفلتها بمقدار (٢) تومان لتدفع ما عليها من
غرامة كما وان هناك من أغلق حانوته ليفر من الحكم الجائر .

ثم ضاعف سليمان باشا رسوم الكمارك على المواد الضرورية وترك جيشاً من
- اللاوند - غير النظاميين الذين أخذوا يفتكون بالناس ويعتدون على الاعراض
وفي منطقة جسر العبيد - الخليلية حالياً - حيث الرجال العرب الابطال وقعت
معركة بين اللاوند وأهالي المنطقة وذلك عندما هاجم هؤلاء اللاوند بيوت المحلة
ليلاً للاعتداء على النساء وقد بقيت جثث اللاوند مطروحة في شوارع المحلة حيث

لم تجرأ الحكومة على دخول المنطقة لحمل جثث موتاهما .

وكان قبلا الشيخ ثويني وحمد الحمود شيخ الخزاعل وسليمان الشاوي قد أقاموا في البصرة مجلساً استشارياً يساعد على الحكم ولكن العثمانيين ألغوا هذا المجلس وبنوا يحكمون حكماً استبدادياً حتى فقدت المواد الضرورية من الاسواق وأخذ البعض يخزن المؤن والطعام لبيعه في السوق السوداء خوفاً من المجاعة التي حدثت فعلاً ويقال بأن من الطحين (٦٠) حقة بصرية ارتفع سعره من ٦ قرانات الى ٣٠ قران .

وكانت عادة البصريين تموين بيوتهم أيام الشتاء خاصة بكميات كبيرة من التمر والدبس والدهن والحبوب لأيام البرد والأمطار ولما انتهى هذا الفصل وانتهت معه المواد المذخورة زاد ارتفاع أسعار الحاجيات وهكذا الى أن بات الناس يأكلون الحيوانات ومنها الحمير والبغال ثم الضفادع والسلاحف والجرذ والكلاب ثم زاد الطين بلة المهجوم الوهابي وظهور دعوتها ونهب الوهابيون المواشي والمزروعات في بادية منطقة البصرة ومزارعها الجنوبية فكان أن زادت هذه الأعمال في المجاعة وكان أن فكر والي بغداد سليمان باشا في إيجاد شخص قوي يقف في وجه المهجوم الوهابي فاختر ثويني وعفا عنه وأعطاه خمسين الف قرش ومائة ناقة ومائة فرس ومائة خلعة ثم أمره ان يسير لحرب الوهابيين .

ولقد كان ثويني قبل العفو عنه في الكويت نجاء ونظم جيشه الممارس للحروب في أول هجوم له على الوهابيين غنم منهم مائة الف رأس من الغنم بعث بها الى البصرة فاستقبلها الناس بالفرح وكانت النساء تزغردن ثم ذبحت الأغنام ليتذوق الناس طعم اللحم بعد أن حرما منه لمدة طويلة .

وبينما كان ثويني في منطقة - الشباك - او الشبكة وهو في خيمة على غدير
ماء يستريح واذا بهد من عبيد جبور بني خالد واسمه طعيس بقتاله .
وكان طعيس قد بايع على قتل ثويني وتبرع على اغتياله باي ثمن كان ف ضرب
المثل المشهور في منطقة البصرة والكويت والزيبر ونجد فقيل - باع بيعة طعيس -
ويراد بذلك لمن صمم على عمل شيء ولو كان مصيره الموت حيث قتل طعيس
في حينه ولكن جيش ثويني رجع وانقلبت افراح البصرة الى أتراح .
وبعد تلك الفترة جاءت فترة جديدة لتغمر البصرة بالامية والجهل والفقير
وكانت حوادث النهب والسلب والاصطدام الايراني التركي يحدث من جراء مطامع
الدولتين وتكون البصرة ضحية تلك الاصطدامات .

* * *

وكانت من حوادث البصرة الاخيرة انظمة المزايدة والالتزامات حيث
اعطيت القباية والقصابية والدالية والمصبغة والجسور والابلام والبيعة والديباغة
وصيد الامماك وتقسير الفواكه والتمور وارضية الشواطىء وغيرها .
أما الكودة - وهي ضريبة الاغنام - فلم تعط بالالتزام بل انيطت الى موظفي
الدولة الذين راحوا يتلاعبون بها ايضاً .

ومن حوادث سنة ١٨٧٢ م - ١٢٨٩ هـ القحط الذي دام في العراق ولمدة
سنتين بسبب قلة المطر وقد تمحكم المحتكرون في بيع الاطعمة باضعاف اقيامها دون
وجود رقيب ولعن أخيراً منعت سلطات البصرة تصدير الاطعمة حتى الى باقي
مدن العراق خوفاً من المجاعة .

ومن مذكرات صبري أفندي حول أوائل سنة ١٩٠٠ م بأن الملابس البصرية

الرجالية كانت تتكون من دشداشة - ريمة - وزبون عليه سترة شعري أو كتان
أو الحرير الصيني المسمى - چيناوي - وفي الشتاء الصوف من الجوخ ثم المزوية
أو العباءة من شعر أو صوف كما هناك العقال من الوبر أو الصوف وهو على عدة
أنواع ومنه المذهب أو المطرز بالزري ويلبس على الكوفية البيضاء أو الصفراء
أو الیشماغ وهو من القطن أو النيمة وهو خام يطرز بالشعري .

أما رجال الحكومة فقد استعملوا السترة الطويلة والبنطلون وكان الرسمي
يختلف عن - الباشيزغ - .

وكان اللباس البصري القديم يتكون من لباس طويل مع قنباز أو القباء
- الزبون - ثم القلانس والطراير والقمصان التي كان ازار بعضها من فضة
أو ذهب وكانت تتباين ايضاً بالنسبة للاكام والعرض حيث تربط جهتي
الزبون بخيط نازك وحمل .

وكانت العمائم بالوانها حيث تتميز نسبة لرجالها ومراكز أصحابها كما
كانت هناك ألبسة الامراء واكثرها محلى بالذهب وعليه سمائل سيف تارة
تكون عارية ومرة يحمل بها السيف الذي كان يختلف ايضاً بالاشخاص
ومراكزهم ورتبتهم .

كما كانت هناك طرايش - فينة - وهي تارة تكون حمراء فاقعة ومرة
حمراء غامقة كما كانت النياشين والسرراويل الحمراء ذات الخط الجانبي الازرق
او الزرقاء ذات الخط الجانبي الاحمر تجلب من استانبول او من حلب او دمشق
وكانت هذه المدن الثلاث مراكز لخياطة البسة الحكومة ثم أسست الحكومة
العثمانية في آخر أيام عهدها محلاً لخياطة الملابس العسكرية في البصرة .

أما أهم البلدان التي كانت تجلب منها الاصواف والطرايش فهي بيروت والقاهرة كما كانت تجلب من بغداد بواسطة البواخر النهرية والسفن الشراعية ثم تنتقل الى امارات الخليج وخاصة الاحساء والقطيف .

أما بعد الحرب العظمى الاولى ودخول الغرب الى البصرة فقد تبدلت الحالة ودخلت المنسوجات الصوفية والقطنية منها من مانجستر ولانكشاير وكشمير وحتى العقال والعباءة والشداشة فقد تحول كل منها وادخلت عليه تحسينات كبيرة .

وفي كل يوم خميس كانت تصل الباخرة الهندية - دواركا - او الباخرة - وامرا - أو غيرها من البواخر الانكليزية ثم الالمانية واخيراً اليابانية والفرنسية والبلجيكية وهي تحمل أنواع هذه الاقمشة والمواد الكماية من عطور وبودر وشرائط وغيرها .

ومع هذه الملابس الخاصة كانت ملابس الاطفال ذات الالوان الزاهية والتي كانت ترصع بالودعة والخضرة .

والودعة نوع من الخرز الابيض جاء ذكره في كتاب - محيط المحيط - على انه يستخرج من البحر ويتفاوت بالـكبر والصغر وله شق كشق النواة والجمع ودعات وودع .

وكانت ملابس الاطفال الجديدة تخاط وعليها هذه الودعة ومعها الخضرة والتي هي ايضاً عبارة عن نوع من العفص الاخضر الذي يكون أحياناً لونه يميل الى الزرقة وكذلك كانت أبواب البيوت الجديدة والغرف لا تسكن الا بعد وضع هذه الودعات والخضرات مصحوبة أحياناً بدعاء مكتوب ومطوي بشكل مثلث ومخاط حوله بقماش او جلد تعلق على الابواب لتطرد الشياطين وتفقس العيون

المألحة وبعض قرون الحيوانات والاحذية القديمة لتبعد الحساد .
 كذلك كانت قطعة من الرصاص تضاف الى هذا الحرز لتبعد - ام الصبيان -
 والتي كانت تسمى - تابعة - واسمها يتردد كثيراً على السنة النسوة باعتبارها
 السبب في موت الاطفال لذا كان الدعاء يكتب بالزعفران ويلف بسبعة خيوط
 ملونة مع أوراق شجرة السداب ويعمل من الجميع وسادة ينام عليها الطفل .
 وكان الشائع في البصرة اسماء الابطال وفي مقدمتهم الاسد المصور الامام
 علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولذا كانت النسوة يظفن على سبعة رجال كل
 منهم اسمه (علي) ويطلبن من هؤلاء الرجال بعض النقود حيث يشترين بها قطعة
 ذهبية او فضية تكون على صورة سيف أو خنجر يكتب عليها اسم الكرار علي (ع)
 تيمناً به ليصبح الطفل شجاعاً في مستقبله .
 كذلك كانت تملأ جيوب الاطفال بالملح والشب حتى اذا ما خرجوا
 للطريق ثم رجعوا الى البيت أخذت هذه المواد وديرت على رؤوسهم ثم
 القيت في النار .
 أما اذا تمرض الطفل فكانت العادة ان توضع تحت وسادته قطعة من الشب
 وفي المساء تحرق هذه القطعة ويسحقها المريض ثم ترمى في الماء ثم يؤخذ ذلك الماء
 ويفسل به وجه المريض ويفضل أن تقوم بهذه العملية امرأة عجوز .
 وكان سن الفيل - وام سبع عيون - تعلق ايضاً على كتف الطفل وكانت
 توضع احياناً في اطار من فضة أو ذهب ويكتب بها اسم الله ومحمد وعلي .
 وهذه العادات بالحقيقة ليست عربية الاصل ولا اسلامية بحتمة فقد تكون
 عراقية قديماً توارثناها وقد يجزم البعض على انها كلدانية او فارسية قديمة .

وكانت زنجبار والصومال وارثيريا من أهم البلدان التي تصدر للعراق عظام الفيلة (العاج) كما كان ريش النعام متوفر في البصرة وهناك أيضاً - الطاووس - وأنواع من الفراء لحيوانات افريقية .

وقد سجل أحدهم في مذكراته ان سوق السيمر في البصرة ويقع خلف بناية البلدية الحالية كما كان سوق كاظم أغا (١) وهو في محلة القبلة ان كل من السوقين كان مملوء بالبضائع الافريقية وكان الحاج محمد المرجان وحاج صليوي والحاج مبروك والحاج الماس من تجار افريقيا الذين سكنوا البصرة وصارت لهم علاقة بتجار العراق ايضاً كما كانوا يرسلون التجار الافريقيين وهكذا توثقت عرى التجارة بين البصرة وساحل البحر الاحمر حيث اصبحت البصرة مركزاً لتوزيع التجارة الافريقية على جميع منطقة الشرق الادنى وروسيا ودول البحر الابيض المتوسط ودول البحر الأسود .

(١) سوق كاظم اغا كان من احسن وانظم الاسواق وكانت مسقفة على شكل طاق وكانها قبب الاضرحة وكان في وسطها جامع كبير يدرس فيه الملا علي والد ابي هاني الاولاد ، وامام وخطيب الجامع الشيخ علي الهدائي مفتي البصرة وفي آخره مقهى للتجار الاشراف ثم جامع (ابو منارتين) الشهير وبقي هذا السوق حتى اواخر الثلاثينات ثم تهدم واندرس نهائياً مع الاسف .

(الناشر)

البصرة كتبت تاريخ الحضارة

١ - ماذا تعرف عن أم قصر وتاريخها..?

٢ - ما عدد الجرائد التي كانت تصدر في البصرة أيام العهد العثماني

مع أسماء محرريها .. ?

٣ - معلومات عن تاريخ الصيرفة والشركات التجارية في البصرة ..

٤ - هل كانت في البصرة محاكم قبل العهد الوطني سنة ١٩٢١ م ?

وما هي درجاتها .. ?

كان أول من كتب عن تاريخ أم قصر مفصلاً السيد هاشم الرفاعي أحد
ابناء البصرة وفي عدة اعداد من جريدة العراق لصاحبها رزوق غنام .
أما أنا فاقول ان ميناء ام قصر قد حدد بخط طول ٤٧ درجة و ٥٧ دقيقة
و ١٢ ثانية شرقاً وخط عرض ٣٠ درجة ودقيقة واحدة و ٤٠ ثانية شمالاً .
وكانت هذه المنطقة قديماً تسمى - الصابرية - وقد بنى فيها الشيخ يوسف
آل ابراهيم النجدي - وهو من منطقة الوشم - منذ اكثر من ثلاثة قرون
قصرين في بقعة تدعى - الحجيجية - وكان القصر الاول في شمالها والثاني في
جنوبها وهو يقصد بذلك التزهة والصيد ثم لأن ساحلها يصلح لرسو السفن فقد
أصبحت هذه المنطقة نقطة تفرغ حمولات السفن القادمة من خليج البصرة ..
كما وانها لا تبعد عن البصرة اكثر من ٧٥ - كيلومتراً فقد أصبحت

تجارة البصرة ايضاً تنقل عن طريقها الى السفن البحرية كما اتصلت بمنطقة الزبير
فكانت البضائع الآتية من الصحراء ومن شمال العراق ومن سوريا الواردة من
اوربا عن هذه الطرق تشحن من منطقة ام قصر لتحمل بالسفن وتنقل الى الهند
والصين وامارات الخليج العربي .

ويقال انها سميت بالصابرية نسبة الى جماعة الصوابر الذين كانوا يسكنونها
اولاً لأن ماءها كان مرأً بطعم ثمرة الصبر فكان اسم المنطقة اولاً - صبرية - ثم
حرف الى صابرية .

ومنطقة ام قصر عالية عن سطح البحر ولذا فهي آمنة من الفيضان كما وان
ترتبتها صالحة للزراعة زيادة على صلاحها لمد الطرق والسكك الحديدية .

ولقد رفعت كميات كبيرة من الطمي بلغت - ٢٥٠ر٢٩٧ر٥٠ - طناً بعد ان
تم الحفر في هذه المنطقة وهكذا اوجد المسلك المائي الذي بواسطته أمكن ادخال
بواخر ذات - ٣٢ - قدماً الى الميناء .

ومما تجدر الإشارة اليه ان الشيخ يوسف ال ابراهيم النجدي اسس اول
قصرين في هذه المنطقة فلما مات اندثرت معه معالمها بينما سميت المنطقة بام قصر
نسبة الى أحد تجار البصرة واسمه - احمد ابن رزق - الذي بنى فيها اولاً بعض
الاكشاك والبناء الطيني البسيط ثم لما رغب فيها بنى قصرأ فخماً وسوره بسور
حصين ثم مونه بجميع الحاجيات وأخذ منه مشتأ وداراً ربيعياً للصيد ثم أخذ
كهمزة وصل لنقل البضائع واستيرادها .

وأحمد بن رزق هذا اول من نزل قرية الزبارة في البحرين وعمرها ثم انتقل
الى الكويت مع تجار اللؤلؤ وكان من الرجال الذين يحبون الملابس الحريرية الغالية

وقد ذكره نعمة الله عبود في مذكراته كما وانه مدحه برسالة كتبها الى صديقه
- الطرابلسي - في حلب وأثنى عليه وقال عنه بانه من التجار الذين لهم شغف
بالعلم والأدب حتى كاد ذلك أن يلهيه عن تجارته .

وذكر نعمة الله عبود في مذكراته ايضاً بان احمد بن رزق شرع في بناء قصر
له يتم بناؤه سنة (١٨١٦ م - ١٢٣٢ هـ) وانه رغب في أن يخلد هذا
التأسيس في قصيدة .

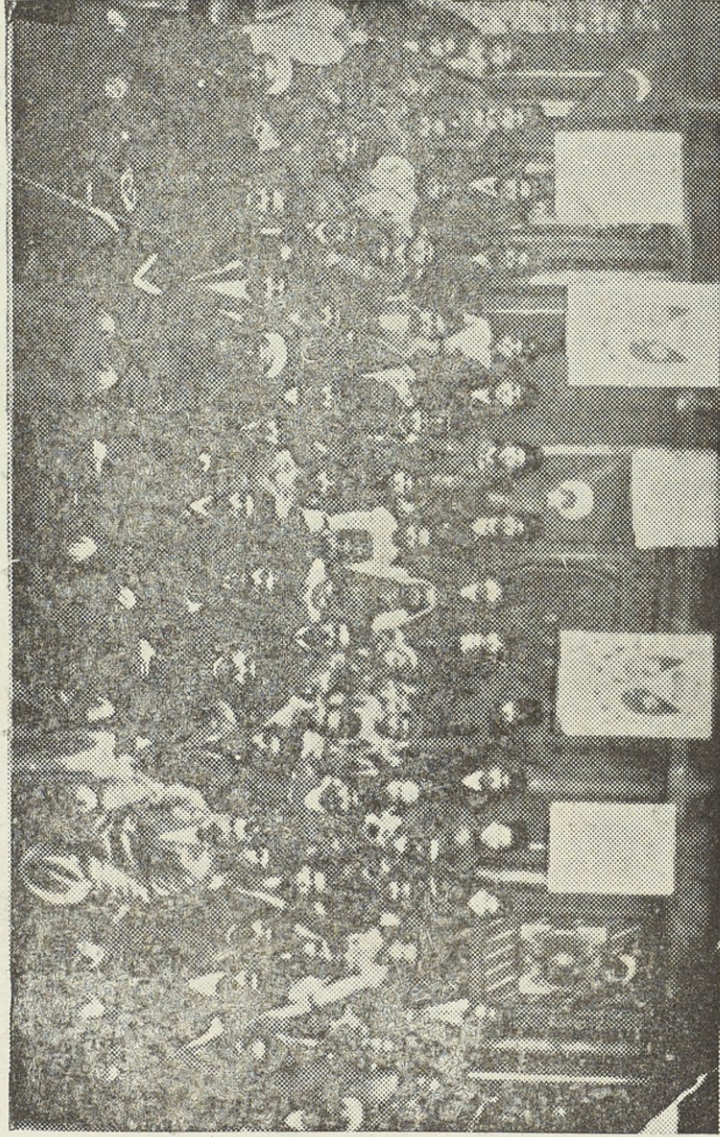
وكان الشيخ احمد الكروي والشيخ احمد بن جامع والشيخ عثمان بن مند
قد نظم كل منهم قصيدة يؤرخ فيها تاريخ بناء القصر وقد أنعم عليهم صاحب
القصر بهدايا ثمينة .

ان الميناء اليوم يتكون من ثلاثة ارصفت خرسانية تستوعب ثلاث بواخر من
ذوات ٣٢ قدماً في وقت واحد وان طول هذا الميناء بارصفته الثلاثة ٦٤٠ متراً
وان هذه الارصفة مضاءة بالكهرباء ومجهزة باحدث الأجهزة .

كما وان المنطقة بما فيها من بيوت عمال وموظفين ومهندسين جاهزة بكل
وسائل الراحة وكان الامير كان في الحرب العظمى الثانية قد نقلوا المعدات الى
روسيا عن هذا الطريق ثم مرورها على جسر هول في الكرامة .

وقد ترك الميناء موقفاً الى أن اعادت الحكومة العراقية السكره عليه ففي
٢٦ آذار سنة ١٩٦١ م ٨ شوال سنة ١٣٨٠ هـ وضع الحجر الاساس لهذا الميناء
ثم افتتح رسمياً في ١٤ تموز سنة ١٩٦٧ م حيث تم العمل فيه وكان الفضل في
ذلك يرجع الى احمد بن رزق الذي كان اول من فكر في هذه المنطقة ولم يفكر بانها
ستكون من موانئ العالم المهمة بعد قرن ونصف من بناء قصره

مدرسة يادكار حريت - تذكير الحريه - تأسست في البصرة سنة ١٩٠٨ م



الجرائد التي كانت تصدر في العهد العثماني بالبصرة :

١ - (جريدة البصرة) وهي حكومية صدرت في كانون الثاني سنة ١٨٩٥ م
١٣١٣ هـ وكان يشرف عليها محمد علي باشكاتب الذي لم تعجب والي البصرة
حمدي باشا سياسته واتجاهه فامر باغلاق الجريدة ثم عادت بعد مدة الى الصدور
فأرخ بعض الشعراء عودة الجريدة بقوله : (عادت جريدتنا والعود أحمد ١٣١٣ هـ)

٢ - ﴿ جريدة الايقاظ ﴾ لصاحبها سليمان فيضي وقد صدر العدد الاول منها في ٢ مايس سنة ١٩٠٩ م والفتت في تشرين الاول سنة ١٩١٠ م .
وهي جريدة اسبوعية اشتهرت بنزعتها العربية وكان يوزع منها العدد الكبير على امارات الخليج والحمرة والهند وسوريا ومصر وكانت الحكومة التركية تشدد الرقابة عليها .

٣ - ﴿ التهذيب ﴾ : وكانت لأمين عالي باش اعيان وقد صدر العدد الاول منها في ٣ حزيران سنة ١٩٠٩ م واغلقت في اذار سنة ١٩١٠ م .

٤ - ﴿ جريدة اظهار الحق ﴾ : وهي للسيد قاسم جلميران وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية وقد صدر العدد الأول منها في ١٣ حزيران سنة ١٩٠٩ م واغلقت في نيسان سنة ١٩١٠ م على اثر مقتل صاحبها على ايدي الفلاحين الذين حرصتهم الحكومة ضده لأنه كان يقف ضدها وهو من الذين كانوا يدعون الى الحكم اللامركزي .

٥ - ﴿ مرقة المندي ﴾ : وهي جريدة فكاوية لصاحبها احمد حمدي المشراقي وكان العدد الاول منها قد صدر في ٢١ تشرين ثاني سنة ١٩٠٩ م وبقيت الى آب سنة ١٩١٠ م حيث ابدل اسمها الى البصرة الفيحاء .

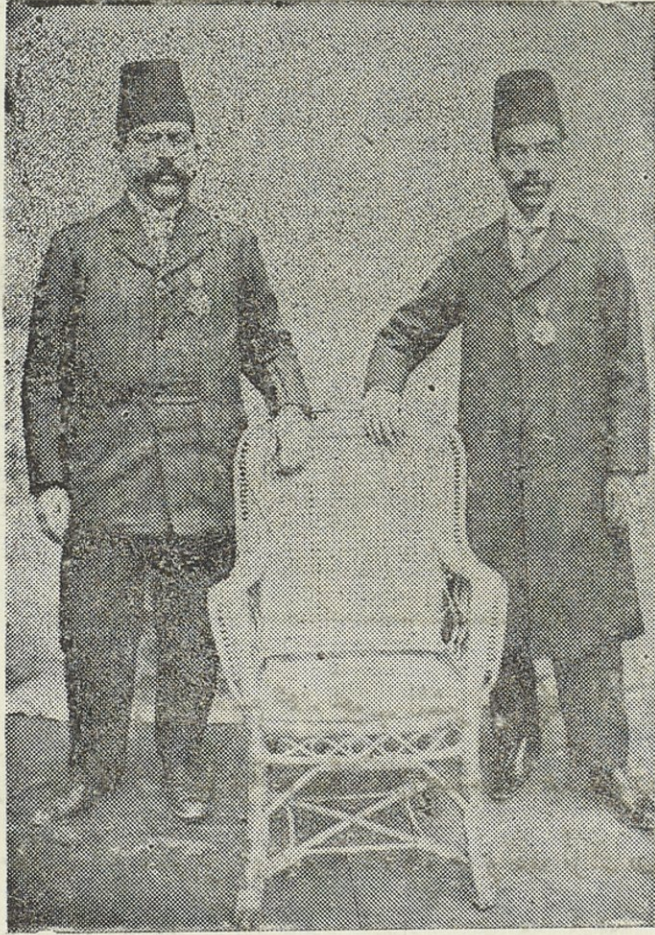
٦ - ﴿ البصرة الفيحاء ﴾ : وقد ساهم في تحريرها كل من السيدين احمد حمدي المشراقي ومحمد حمدي وصدر العدد الاول منها في ١٠ آب سنة ١٩١٠ م وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية .

٧ - ﴿ الفيض ﴾ : وقد صدرت باللغتين العربية والتركية وصاحبها داود نيازي وكان العدد الأول منها قد صدر بتاريخ ٦ أيار سنة ١٩١٠ م واغلقت

على اثر انتحار صاحبها في نيسان سنة ١٩١١ م .

٨ - ﴿الرشاد﴾ : وهي للسيد يوسف السامرائي أحد الذين اراد أن يجعل من الجريدة رشاداً لابناء العروبة فكان عددها الاول قد صدر في ٢٩ آب سنة ١٩١٠ م واغلقت في تشرين الثاني سنة ١٩١١ م بعد أن شددت الحكومة العثمانية الرقابة عليها .

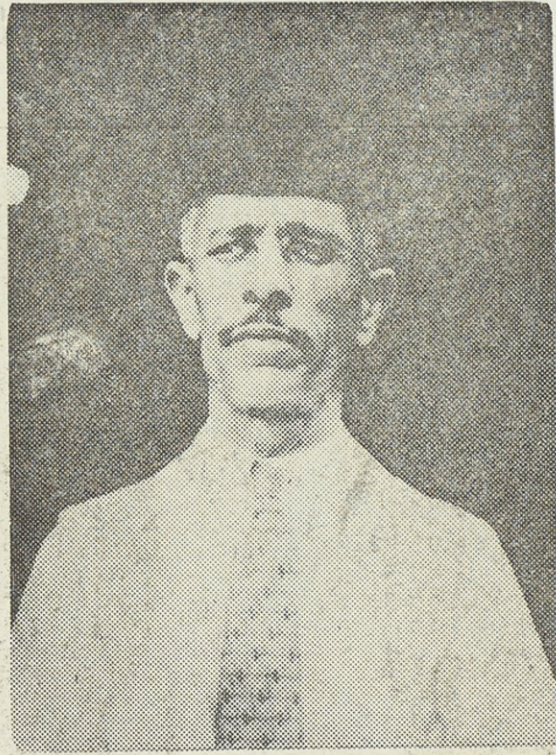
٩ - ﴿الاني﴾ : وهي للمحامي عمر فوزي احد المقربين الى عميد الحركة



﴿الشيخ صالح باش اعيان وعلى يساره المحامي عمر فوزي﴾

العربية في البصرة السيد طالب باشا النقيب وقد صدر العدد الاول منها في ٢٣ تشرين الاول ١٩١٠ م واغلقت في كانون الأول سنة ١٩١٢ م وكانت الحكومة العثمانية تضايق صاحبها كثيراً لموقفه العربي الأصيل .

١٠ - ﴿ جريدة التاج ﴾ : جريدة سياسية فكاھية وصاحبها محمد نجيب المشراقي (١) وقد صدر العدد الأول منها في ٢٢ تموز سنة ١٩١١ م واغلقت في مايس ١٩١٢ م

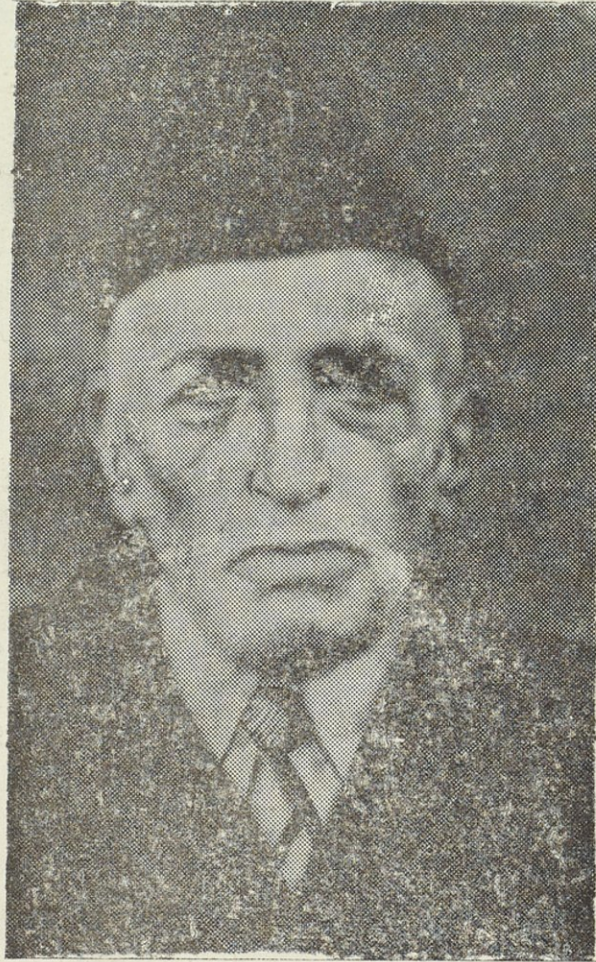


﴿ المرحوم محمد نجيب المشراقي ﴾

١١ - ﴿ المنير ﴾ : اسبوعية عربية كان صاحبها احمد جودت كناظم صدر العدد الأول منها في ١٢ تشرين اول سنة ١٩١١ م ولقد أراد صاحبها ان ينتقد الحكومة العثمانية المهملّة فامر والي البصرة علي رضا باشا باغلاق الجريدة وذلك

(١) هو والد أم يوسف البصري نجل ناشر هذا الكتاب .

في أواخر شهر كانون الاول سنة ١٩١١ م ولم تدم أكثر من ٤٥ يوماً .
١٢ - ﴿ جريدة الدستور ﴾ : لصاحبها عبدالوهاب الطباطبائي احد المساهمين
مع المرحوم طالب باشا النقيب لخدمة الامة العربية وقد صدر العدد الاول في ٢٢
كانون الثاني سنة ١٩١٢ م وكانت لسان حال جمعية الاصلاح في البصرة والتي
كان يرأسها المرحوم طالب باشا ثم اغلقت الجريدة في ايلول سنة ١٩١٣ م .
١٣ - ﴿ صدى الدستور ﴾ : لصاحبها عبدالوهاب الطباطبائي ايضاً وكانت



﴿ المرحوم عبدالوهاب الطباطبائي ﴾

لسان حال جمعية الاصلاح وقد صدر العدد الاول منها في ٢٥ ايلول سنة ١٩١٣م
وبقيت الى احتلال البصرة من قبل الانكليز سنة ١٩١٤م حيث باع مطبعته التي
صارت نواة المطبعة التامس الموجود في البصرة حتى الآن .

* * *

الصيرفة : وهذه اللفظة تطلق على جماعة من الناس يتعاملون في بيع
وشراء السندات كما يقومون بالتحويلات ومناقلة النقود المختلفة والتبديل
والتصرف والاتصال بالتجار خارج البلد وداخله والتوسط لاجراج البضائع من
المخازن ومنها اخذت لفظة الصيرفي .

وأصل الكلمة الصرف وهو التحويل والرجوع بالشيء الى أصغر صور
أصله وبالنسبة للنقود هو المبادلة بالعملات او البضائع والسندات .

وفي البصرة كانت هذه الحالة أيام الدولة الاموية والعباسية ولكنها في زمن
الدولة العثمانية تعرضت الصيرفة للمخاطر حيث كانت العصابات تدخل المدينة
نهاراً وتجبر الصرافين على تقديم نقودهم والا كان مصيرهم القتل .

وكان الرحالة ناصر خسرو عندما زار البصرة في ٢٠ شعبان ٤٤٣ هـ ٢٨
كانون اول ١٠٥١م قد تحدث عن ذلك فقال : ان الغريب الداخل الى البصرة
لا يحمل معه نقوداً بل يودعها عند أحد الصرافين ثم يأخذ منه تحويلاً يمكنه ان
يتصرف به اثناء وجوده في المدينة .

ولما بنى القائد العباسي الموفق مدينة الموفقية (البصرة الحديثة) لتكون
على ضفاف شط العرب وبالقرب من مدينة المختارة عاصمة الزنج في ثورتهم
سنة ٢٥٥ هـ كتب الى عماله بارسال البضائع الى هذه المدينة كما اتصل بالمدن

العالمية وخاصة البحرية منها يعلها بفتح الطريق المائي اليها فاخذت السفن تأتي الى الموقية وهي محملة بالاموال بينما كانت المختارة في ايامها الاخيرة تشكو من الحصار الذي ضربه حولها جيش الموفق .

ثم شجع الموفق التجارة وفتح محلات التجار والباعة واتخذ داراً لضرب النقود وامر بتوزيع العملة العباسية بسرعة فكان الصيارفة الواسطة السريعة والامينة والمنظمة التي ساعدت على انتشار العملة (الموقية) الجديدة .

وكان الزنج ايام امتداد دولتهم قد سکوا النقود وانتشرت عملتهم ولكن لما أوشكت حكومتهم على الانهيار أمر الموفق بعدم قبول العملة الزنجية وأعطى فرصة للذين يمتلكونها ان يبدلوها بعملة عباسية وهكذا انقضت العملة الزنجية واخذ الناس يحتفظون فقط بالقطع الذهبية مما ساعد الصيارفة في الموقية على الاستفاد من هذا الذهب .

ثم بعد قتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ والقضاء على ثورتهم أصدر الموفق أمراً صارماً يحكم فيه بالموت على من يعثر عليه وعنده عملة زنجية .
ولما كانت الرقعة التي استولى عليها الزنج تمتد من شمال الاهواز الى حدود بغداد كان من الصعب على الناس تبديل عملتهم الزنجية وعليه ارسل الموفق الصرافين ومعهم الحرص والكتاب واخذوا يجوبون المناطق لتبديل العملة التي صهرت وأعيد سكتها باسم العباسيين حتى اننا اليوم لا يمكننا ان نعرف شيئاً عن النقود الزنجية سوى ما نشره الاستاذ (كارانوف) عن وجود قطعة ذهبية يرجع تاريخها الى سنة ٢٦٤ هـ وهي موجودة في متحف باريس كما نشر الاستاذ (ووكر) عن وجود قطعة ذهبية ثانية تاريخها ٢٦١ هـ وهي موجودة في المتحف البريطاني .

وكان للصيارفة البصريين محلات محكمة البنيان مع صناديق حديدية ومفاتيح قوية كما كانت لهم دفاتر تسجيل وسجلات للعمليات وكان أكثر اعتمادهم على الكتاب والحرس من السنديين والأحباش وكانت النقود توضع في ايكاس ويكون السندي او الحبشي عليها اميناً .

كذلك كان تجار الأقمشة وتجار الخزف وبنادرة البرهارات يعتمدون على الغلمان الاحباش والزنج لامانتهم .

والبنادرة هم التجار الذين يخزنون البضائع والمعادن لمدة في مخازن ينتظرون الغلاء ليربحوا كثيراً على حساب قوت الشعب والبندر معناه الميناء .

أما البرهارات فهي الادوية بصورة عامة بما فيها العقاقير والحشائش والورود التي تستعمل كادوية او كطيب أو بخور كما فيها انواع من التوابل .

وكان من أشهر الصيارفة البصريين ايام الحكم العباسي (زبيدة حميد) الذي ذكره الجاحظ في كتابه البخلاء فقال انه كان يمتلك مائة الف دينار ، كما وانه كان يستخدم العديدين من الغلمان وهو اكبر اقطاعي ايضاً وكان يضرب غلمانه الجياع الذين هرب أحدهم عن جوعه قائلاً : نسمع بالشبع سماعاً من أفواه الناس . . .

كما ذكر الطبري بان (زبيدة حميد) هذا كانت له علاقة بالرشيد وانه كان يمول مشروع انشاء جسر على باب الشعير في بغداد .

وكانت محلات الصيارفة تبنى بالآجر والصخر والجص ثم تبنى الصناديق الحديدية في الحائط كما وانه كانت تربط بسلاسل حديدية قوية تطمر في الارض ويبني عليها حتى لا يمكن تقويضها .

وكذلك عمل الصيارفة في السكورتا وكانوا يطلقون عليها لفظة - شوكراتس -
وكانت السكورتا تؤخذ من سنة ١٨٢٥م على الاموال بين الهند والبصرة خمسة بالمائة
كما جاء في احدى نشرات الصيارفة الصادرة في البصرة بتاريخ ١ شباط
١٨١١م بأن اليلدز اليوم سعره تسعة وربع والريال سعره اربعة وثمان واليوزلي
في قرشين .

وكانت نشرة اخرى صدرت في ٢١ تموز ١٨١١م تقول بان اليلدز في
ثمانية وسبعة اثمان القرش والريال في اربعة وثمان واليوزلي في اثنين وربع قرش .
وكان الصرافون يأخذون من الناس الاموال لتشغيلها ويدفعون لهم ارباحا
وصلت احيانا الى خمسين بالمائة من القيمة الاصلية .

وعلى هذا الاساس جاء في نشرة صدرت بالبصرة بتاريخ ١٣ تموز ١٨١١م
بان دافع ١٠٠ قرش ياخذ ١٥٠ قرشاً بعد دفع الكرك فتصور مقدار الربح .
ويظهر لنا أثر الصيارفة في الحادث الذي جرى في ٦ كانون الثاني ١٨١٢م
حيث أصدر والي بغداد عبدالله باشا أمراً الى والي البصرة ابراهيم اغا بأن
يزيد الكرك على البضائع بمقدار عشرة بالمائة فما كان من صيارفة البصرة الا أن
يحتجوا على ذلك برفية الى الاستانة ثم ارسلوا وفدا الى بغداد حتى
الفي الامر قبل تنفيذه .

ولقد اشتغل الصيارفة ايضاً ببيع وشراء التمور حتى ان أحد وكلاء الشركات
الذي كان يشتغل في البصرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٨١٣م سجل مقدار
الكرك الذي كان يؤخذ على الصادرات والواردات فقال ان كرك بغداد
يستوفي اربع بغداديات على كل صندوق سكر يرد من البصرة كما كان يأخذ

على كل طغار من الدبس يرد من البصرة ثلاث بغداديات وكان الصيارفة يتوسطون في دفع أجور الكمارك .

كذلك جاء في سالنامه سنة ١٨٦٧ م وتحت توقيع الوالي نامق باشا بان الدلاية تدفع نقداً من قبل المشتري والمتعهد بالشراء على ان لا تزيد عن عشرة بالمائة .. ولكن الصيارفة كانوا يضاربون في دلاية بعض المواد للاستفادة منها. ومما يلاحظ أن اكثر الصيارفة في البصرة كانوا من غير المسلمين واذا كان هناك صيرفياً مسلماً فهو حلبي الاصل حيث كانت التجارة تنقل من حلب الى آسيا عن طريق البصرة وقد ذكر الرحالة - بارسنس - الذي زار البصرة سنة ١٧٧٤ م بأن الحلبيين يجلبون الى البصرة أموالاً اوربية معظمها يرد من البندقية في ايطاليا .

وكذلك ذكر الرحالة - ديلافاة - الذي سافر من البصرة بتاريخ ٢٢ أيار سنة ١٦٢٥ م فوصل حلب بتاريخ ٣٠ تموز من السنة نفسها بأن الرحلة بدأت من البصرة الى حلب رأساً وعن طريق بري دون أن يمر ببغداد أو أي مدينة اخرى سوى مضارب الاعراب كما وانه ذكر بان الحلبيين يسكنون البصرة بكثرة وهم تجار المدينة وصيارفتها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض السواح كانت تعجبهم الحياة في العراق فيسكنونه ويفتحون لهم المحلات التجارية وكان منهم - مستر هكتر - احد افراد (بعثة جسني) التي زارت العراق حوالي سنة ١٨٣٢ م وكان - هكتر - قد فتح له محلاً تجارياً في بغداد كما كان من افراد البعثة (الربان بلوص لنج) الذي أسس شركة بيت لنج وكانت له بواخر وتجارة تسير بين البصرة وبغداد والمدن العراقية الاخرى .

وكان هؤلاء التجار الاجانب يتعاملون مع الصيارفة والعمل على النفع والقروض حيث كانت الامور تفهم من قبلهم اكثر من الغير .
ومن تجار حلب في البصرة ميخائيل يوسف عبود الذي وصل البصرة في ٢٤ كانون ثاني ١٨١١ م ومكث فيها الى ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨١٤ م ثم سافر الى الهند فوصل كالكوتا في ٣٠ تموز ١٨١٤ م وسكن عند التاجر الحلبي - فتح الله حنا اصفر - وذلك لتوثيق عرى التجارة بين الهنود والبصريين كما قام بعدة اطلاعات على انواع البضائع الهندية وتعرف على حاجيات الشعب الهندي من السلع العراقية وكتب الكثير في مذكراته واتصل بالمصارف والبنوك والصيارفة في الهند وسهل لهم طريقة الاتصال بالصيارفة البصريين كما اتصل بشركات التأمين والسيكورتا ولكن المنية عاجلته فقد ظهرت عليه علامات الأعياء فتدهورت صحته وتوفي بالهند بتاريخ ٣٠ آب سنة ١٨١٤ م .

* * *

أما عن المحاكم ودرجاتها :

فقد كان في البصرة منذ الحكم العباسي قضاة للتجارة وكان مع هؤلاء القضاة مستشارين ثم خصص كتاب حقوق (كتاب عدل) .
أما في زمن الدولة العثمانية فقد نظمت المحاكم في البصرة على درجات ثلاث هي البدائية وكانت توجد في مراكز كل ولاية وتتألف من حاكم جزاء وحاكم تحقيق ورئيس محكمة التجارة والمدعي العام .
ثم تأتي محاكم الاستئناف ومراكزها بغداد واختصاصها النظر في القضايا المستأنفة من جميع محاكم العراق البدائية وكانت تتألف من حكام رسميين وهيئة

أهلية منتخبة وفي القضايا التي كان لا يمكن حلها كانت تحال الى المحاكم العليا في استانبول .

وهناك محاكم التمييز ومركزها عاصمة الدولة استانبول كما كان هناك ديوان التدوين القانوني الذي كان يسمى (مجلس شورى دولت) .

وكان راتب العضو الاهلي في المحاكم الاستثنائية ليرتين ونصف شهريا بينما راتب عضو (مجلس شورى دولت) خمسة وعشرين ليرة ولذا كانت تعطى هذه الرتبة الى الشخصيات المشاغبة والقوية والتي تخشى الحكومة منها فيتم تعيين هؤلاء في العاصمة دفعا لشرم .

وعمل الصيارفة والتجار البصريون على تصدير الحنطة البصرية والتمر الى الهند مقابل استيراد بعض السلع والموز الهندي الذي زرعه البصرة بعد ذلك فانتج ثمراً طيباً وقد شاهده السائح الفرنسي - مدام ديولا فوا - عند زيارتها للبصرة سنة ١٨٨١ م - ١٢٩٩ هـ فقالت انها شاهدهت غابة من أشجار الموز على ضفاف شط العرب .

ولقد أصبحت البصرة يوماً ما مصدراً من مصادر الموز والبرتقال والرمان والليمون زيادة على الحبوب والارز والتمر فلم يترك الصيارفة هذه النعمة تذهب بل صدروها الى الخارج وتقبلوا عن اثمانها بضائع اخرى .

ويقال ان تجار البصرة وصيارفتها قاموا منذ عهد حاكم البصرة الشيخ مغايس - ١٧٠٥ م - ١١١٧ هـ - بالاتصال بالشركات الاجنبية وخاصة الهولندية منها والانكليزية حتى اذا ما جاء القرن العشرين وعرف الغرب بوجود النفط في جنوب العراق حيث ان المنطقة المحددة بالسواة شمالا والفاو جنوبا هي مصدر

من مصادر القير والنفط ازدادت البصرة اهمية .

ويقال ان (ابو المظفر ناتكين) قال قبل سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م وفي الحادث

الذي وقع لبني معروف قصيدة منها :

يا وقعة شفت النفوس وغادرت تل المقير ما به من غابر
وسقت بنو المجهول كأساً مرة تركت مواردهم بغير مصادر
وتوهوا ان المقير معقل ممنوع من كل ليث خادر

وكان بنو معروف الذين سماهم الشاعر (بنو مجهول) يسكنون منطقة المقير الى البصرة وهم يعملون في استخراج القير ونقله الى البصرة وبيعه للتجار البصريين والصيارفة وقد شجعت هذه الفكرة الاوربيين على التنقيب عن النفط في منطقة البصرة حتى وجدوه بهذه الكمية الوافرة .

وكانت الحكومة البريطانية قد اسست اول محكمة مدنية في البصرة في اواخر سنة ١٩١٥ م برئاسة (الكرنل نو كس) الذي كان يجيد العربية وكان مرآحم الباجه جي مترجماً فيها وهي تعمل بالقوانين الهندية .

ولقد عمل التجار والصيارفة في البصرة على الغاء القوانين الهندية التي لا تتفق والحالة في العراق حتى اذا ما جاءت سنة ١٩١٩ م تشكلت محكمة جديدة في البصرة برئاسة مستر (نوريس) وعضوية السيدين خان بهادر والمرحوم سليمان فيضي وكانت اكثر تجاوبا مع الروح العراقية .

ومن أشهر رؤساء المحاكم التجارية في البصرة قديماً المرحوم ناجي السويدي وقد عين سنة ١٩٠٨ م بعد افلاس شمل الكثير من تجار البصرة في ذلك العهد فعمل السويدي على حل المشاكل هذه ونظم السحب والدفع وجمع التجار

والصيارفة وكون رأس مال بصري حقق سد المعجز وقضى على اضطراب الاسواق
وفي الحقيقة ان التجار والصيارفة اعبوا دوراً مهماً في حياة البصرة او اخر
عهد الحكم العثماني فقد خرجوا الى اوربا ومصر ولبنان وغيرها وشاهدوا التقدم
الصناعي والتجاري والزراعي فعادوا لبيّنوا عهداً جديداً لبلدهم .

ففي سنة ١٨٨٨ م جلب (ابراهيم حي) الهندي الاصل معلمين للقازوز
(نامليت) ونصب احدهما في البصرة والثاني في العشار .

وبعد خمس سنوات جلب (ملا عبد الرحمن بنحش) معملاً آخر ليعمل في
البصرة ولما جاء النجاح معه قام الصراف محمد علي بن الشيخ محمد المولوي مع
جماعة من الصرافين فكونوا شركة لهذا المشروب في ابي الخصيب .

وفي سنة ١٩٠٠ م قامت شركة (داغر محمد سعيد) وهي شركة أهلية
لتأسيس خط للعربات تسير بين البصرة والعشار وابي الخصيب .

وكان قبل ذلك قد تشكلت شركة (منكرديج وشركاه) للعربات وقد
ساهم الصيارفة فيها .

كذلك كانت في الاول قد تأسست شركة البواخر النهرية وكان مدحت باشا
الوالي المعروف قد ساعد على تأسيسها سنة ١٨٦٩ .

كما وان شركة بيت الوكيل الانكليزية أرادت ان تجلب معملاً لحزم الصوف
وآخر لحزم عرق السوس ولكن الصيارفة أبوا إلا المساهمة فيهما وقد تم لهم ذلك .
وجلبوا المعلمين سنة ١٨٦٧ م .

ولقد اخذت بغداد طريقة معاونة الصيارفة بالمشاريع من البصرة ثم اتفقت
المدينتان على تبادل التجارة والتعاون .

ولقد كانت البصرة تعاون المدن العراقية الاخرى في انعاش مشاريعها وتمويلها
فلقد تحدث الرحالة الفرنسي (اوتر) عن زيارته لمدينة الحلة في ٢٩ حزيران
سنة ١٧٤٣ م فقال انه زار حاكمها (يوسف بك) وحل ضيفاً عند ابنه وقد وجد
في مجلسه (يحيى اغا) متسلم البصرة سابقاً واليهودي (موشي) وهو رئيس صرافي
البصرة وكان يسمى (صراف باشي) .

ثم قال الرحالة اوتر : ان هذا الصراف جاء في طريقه الى بغداد حيث يبدأ
في تموين الحلة بالمال ثم يذهب الى بغداد ليمونها وليدبر شؤون ماليتها لاختصاصه
بالصرف وذلك نظراً لعزم نادر شاه الايراني على غزوها .

ومن الصيارفة البصريين اليهود (الخوجة يعقوب) الذي كان في البصرة
عند احتلال العجم لها سنة ١٧٧٦ م وكان الايرانيون قد قبضوا على (سليمان اغا)
حاكم البصرة واخذوه اسيراً الى شيراز ولكن سليمان اغا كان دائم الاتصال
بالخوجة يعقوب بواسطة رسل خاصة حيث اخذ الخوجة يلعب على الحبلين فهو
مع العجم ضد العثمانيين كما وانه مع العثمانيين ضد العجم حسب ما تقتضيه مصلحته .
وعندما رجع سليمان اغا الى البصرة سنة ١٧٧٩ م بعد خروج الايرانيين
منها كان من أعز أصدقائه الخوجة يعقوب والمستر لانوش الوكيل البريطاني في
البصرة حيث ان سليمان اغا مع شدته وحزمه كان بحاجة الى من يدلّه على طرق
جمع المال وليس هنالك أفضل من الأدلاء اليهود والانكليز فهم مسمرة هذه
الطرق خاصة وان كرسي الخلافة في الاستانة كان يساعد على جمع المال
بأي طريقة كانت .

وكان الايرانيون عند احتلالهم للبصرة سنة ١٧٧٦ م قد شجعوا النزعات

النهرية في شط العرب والخروج الجماعي الى البساتين والخلاء ترويحاً عن النفس في كل وقت ومناسبة وسموها (كشته) كما وانهم جعلوا من عيد النوروز (كسلة) عيداً ربيعياً باهراً فكان يوم ٢١ آذار من السنة عيد الشموع والصواني والفواكه والحلويات والانس والسهر مع الملابس الجميلة وقبلات العيد الطاهرة .

ولكن سليمان أغا عند رجوعه من الأسر أبدل هذه المراسيم الى عيد لعب وشراب ورقص وغلمان وأبدل الحلويات والبخور الى رقص ولثم الثغور فكانت النحور بدل الزهور .

ويقال ان سليمان أغا أراد أن يرفه عن البصريين الذين لا قوا مرارة الحكم الايراني ويذكر الرحالة الايطالي (سيستيني) كما يذكر الرحالة الفرنسي (اوليفيه) حوادث وصور متنوعة عن هذا الوالي فلقد تحدثوا عن شجاعته وجماله وحزمه كما تحدثوا عن مجونه وبخله كذلك ذكروا مجالسه الدينية التي كان يشجعها ويحضرها وكان هذا الوالي يقرب التجار والصيارفة الذين اخذوا يسرون في طريقه في الانس والمرح واللهو حتى قيل ان نوعاً خاصاً من القوارب (الابلام) ظم-ر للوجود وعليه الذلال - ستار عن الشمس - وتمتاز هذه القوارب بالوانها واصباغها الزاهية وأفرشتها الجميلة ومجاذيفها اللطيفة فكان الناس ومعهم (الساورات) والطعام والشاي كما معهم الخس وشربة - السكنجييل - يجوبون الانهار .

والحقيقة ان الولاة الاتراك كانوا يتصفون بصفات متضاربة فهو سكير عريذ وهو مصلي متدين وهو مرتشي نهم وهو صوفي عفيف .

وكان منهم الوزير مرتضى باشا في بغداد الذي احبه الناس لانه رفع الحجاب عن دار حكومته وكان يقرأ المولد النبوي الشريف ويكثر من تلاوة القرآن الكريم

وهو مفرط في معاشره النساء والاعمال الجنسية الشاذة فكان مجلسه يضم العلماء
ويضم الشعراء كما يضم الشاربيين المارقين وفي عهده كثرت معاشره الصبيان وذلك
سنة ١٠٦٣ هـ - ١٦٥٢ م حيث كانت البصرة تحت حكم حسين باشا افراسياب
الذي شجع العلماء والأدباء ومجالس الشعر ولسكن هذه المدينة تحملت عدوى
حكم مرتضى باشا في بغداد حيث كان التجار والصيارفة البصريون يسافرون الى
بغداد ثم يرجعون للبصرة ليتحدثوا عن حياة الانس في بغداد ثم يأخذون
مجاراة بغداد وهكذا شاعت الموسيقى والطبول - الزنجاري - والرقص في البصرة
وكان أن يصبح العود والدف في كل منزل ومجلس.



البصرة في العهد العثماني

نظام التبعات خاص بالبصرة فقط فمتى وجد...؟

متى دخلت شط العرب اكبر حوت وكان طول ذيلها ١٢ قدماً.

عصابة في العهد العثماني زيفت النقود في البصرة...

وفاة شخصيات كبيرة في البصرة جلهم من العلماء والفضلاء..

الاراضي الأميرية وكيف كان يصادرها السلطان عبد الحميد...

مباحث نشرتها جرائد الرقيب والتهذيب والزوراء والجوائب في العهد العثماني

حول نظام التبعات :

ان نظام التبعات خاص بمنطقة البصرة وحدها دون أي منطقة اخرى من

العالم وهذا قد جاء مع نشوء المدينة وتمصيرها سنة ١٦ هـ .

واذا كان ابن سلام قد ذكر في كتابه الاموال كما ذكر احمد كمال زكي

في كتابه الحياة الأدبية في البصرة وذكر شارل بلات في كتابه الجاحظ وذكر

غيرهم من الكتاب والمؤرخين بان الخليفين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي

الله عنهما كانا قد اقطعا بعض رجالات الاسلام في البصرة اقطاعات وأراضي

واسعة وضياع من ارض السواد والاراضي المفتوحة وأملاك الدولة وذلك نظراً

للخدمات التي قام بها هؤلاء...

نعم ان بعض المسلمين منحوا أراضي واسعة لا طاقة لهم على ادارتها وزرعها واستثمارها فما جعلهم يركنون الى الايدي العاملة وكان جلهم من الاجانب ثم كثر بعد ذلك العبيد والزنوج فكان منهم العدد الكبير من الفلاحين القسم منهم مربوط بالنسبة للرق يعمل لسيدته وقسم يعمل بالاجور وقسم يعمل حسب شروط المناصفة التي تدرجت بعد ذلك فاصبحت داخلة تحت شروط وقوانين اضطر الفقه الاسلامي أحياناً للتطرق اليها كما عرفت انظمة الدولة والقوانين ولكن مع ذلك فان نظام العرف والعادات والتقاليد كانت هي المسيطرة على هذا النظام ولذا كان كل من الطرفين صاحب الارض والتعاب يلتجؤون الى التحكيم والى العرف لحل مشاكلهم اكثر من لجوئهم الى القضاء .

وأحكام الفقه الاسلامي عندما تعرضت احكامه - للمساقات - ودفع الزكاة لم تعط الموضوع حقه كما واننا برجوعنا الى انظمة الطابو وفي فصل تسجيل حقوق المغارسة نراها تقول :

- ١ - ان المغارسة شركة تؤسس على كون الأرض من طرف والعمل من طرف آخر ويشترك الطرفان في حصة معينة حسب الترتيب التالي :
- أ - في ثمرة الأشجار فقط .
- ب - في الثمرة مع الانتفاع من سطح الأرض لمدة معينة .
- ج - في ملكية المغروسات .
- د - في ملكية المغروسات والارض .

ثم شرح نظام الطابو هذا الفصل فقال انه يدون حقوق المغارسة ويعترف بها الا المغارسة التي تكون في مال غير مسجل في قيود الطابو فهو لا يعترف بها

حتى يجري تسجيله .

وكذلك يعتبر مقدار الممارسة المصرح به في قيود الطابو صحيحاً وثابتاً وعلى من يدعى خلافه ان يراجع المحاكم المختصة .

ومما ساعد على انتشار نظام التبعات ثورة الزنج وفقدان الايدي العاملة بعد أن أخذ الموفق القائد العباسي بالفتك بالزنج اينما وجدوا وكذلك ساعد على ذلك فقدان الأمن في العهد العثماني واهمال الملاكين للاراضي بسبب بعد سكنهم عنها أو عدم وجود مال كاف لاعمارها وان بعض رجالات البصرة أرادوا أن يشغلوا البطالين ليصرفوهم عن السلب والنهب والفوضى فاعطوهم الاراضي الزراعية حسب شروط وسمي ذلك الشخص - التعاب - .

واللفظة مأخوذة من حقيقة مساهماتها فالتعاب من - تعب - أي عمل بعرق جبينه بينما الجانب الثاني تكون مشاركته بالملك فيسمى الملاك وعلى ذلك تكون هذه المشاركة مرة في الارض والغرس ومرة تكون في الغرس فقط وذلك حسب ما هو وارد في المشاركة .

التبعات في البصرة على نوعين :

١ - الطينية . ٢ - التشمينية .

١ - التعبة الطينية : تثبت في مقابلة تحريرية وفيها يكون للتعاب بعد اكمال الاعمار والغرس حق في تملك قسم مثبت من الارض والغرس .

وهذا الحق يكون على نوعين :

أ - مرة يكون للتعاب الحق في الربع او الثلث من مجموع مساحة الأرض مع مفروساتها .

ب - مرة يكون للتعاب الربع او الثلث من مجموع مساحة الأرض مع مغروساتها بعد اخراج رقبة الارض من المجموع ونعني برقبة الارض على ما يعادل الربع الكامل من مساحة الأرض المتعوبة مع الغرس الذي عليها .

٢ - والتعبه التشمينية : وهي التي يكون فيها للتعاب بعد اكمال الغرس والاعمار حق في ثمن قسم معين من الغرس فقط .

وفي هذا النوع من التعبات أيضاً يجب النظر الى الاتفاق التحريري الذي يرجع اليه في حالة وجود خلاف بين الملاك والتعاب وعند عدم وجود الاتفاق التحريري يرجع الى العرف والعادات في التثمين التي تخضع الى نوعية الارض المتعوبة ومغروساتها وموقعها وغير ذلك .

وتخرج من نظام التعبات اراضي الوقف حيث لا يجوز لدائرة الاوقاف أو المتولي اعطاؤها الى تعاب بتعبه طينية ولكن يجوز للاوقاف او المتولي اعطاء ارض الوقف الحالية الى تعاب على شروط التعبه التشمينية حيث يجوز الاتفاق على مقاصم حاصلات الغرس فقط .

أما الاراضي المملوكة للمجانين أو هي املاك اطفال صغار فلا يجوز للاوصياء أو الاولياء اعطاء تلك الاراضي الى تعاب بأي نوع كان سواء كانت التعبه طينية او تشمينية ما لم تصدر موافقة من حاكم محكمة مختصة بهذه الامور .

ومن حق الملاك اخراج التعاب من الارض على أن ينذره انذاراً رسمياً وان يعلن استعداداه لاعطاء التعاب حقوقه كاملة وفي حين امتناع التعاب ورجوع الملاك الى المحاكم فان التعاب يتحمل جميع مصاريف المحاكم .

ودعوة التعبه لا تقام في محكمة الصلح بل تقام في محكمة البداية وتبقى مستأخرة

في محكمة الصلح لان اثبات التعبة خارجة عن اختصاصها .
كذلك من حق التعاب اقامة الدعوى على الملاك وخاصة في التعبات الطينية
حيث عليه أن يندره اولاً وفي حالة امتناع الملاك عن الانذار ولجوء التعاب الى
المحاكم يتحمل الملاك مصاريف المحكمة .

وتنتقل حقوق التعبة من التعاب الى ورثته الشرعيين فيما اذا توفي وتكون
للورثة نفس حقوق المشروطة مع الملاك وعلى ان لا يقوم الورثة بتقسيم التعبة
فيما بينهم لان ذلك يضر بحقوق الجانب الآخر وهو الملاك .

كما يجوز للورثة تعيين غيرهم للقيام بالعمل على شرط أن يكون قادراً على
العمل وعلى موافقة الملاك . أما في حين عجز الورثة على القيام بواجباتهم ورغبتهم
في الانسحاب من الارض بعد حصولهم على حقوقهم فعلى الملاك تقدير حقوقهم
وفق الشروط وعلى أن تشرف هيئة تحكيمية على ذلك فيما اذا ما حدثت منازعات
بين الجانبين لتقسم الحق بين الورثة الشرعيين حسب القسام الشرعي .

وكذلك في حالة خروج التعاب من الارض ينظر الى مسكنه فان كان
- صريفة - فلا يلتفت لها أما اذا كان مبنياً من الطين وفيه سقوف وأبواب من
خشب فيخبر التعاب بقلع هذه الاخشاب وتصرفه بها واستيفاء اجرة بناء الحيطان
فقط أما قيمة التراب فلا ينظر اليها لانها من اصل الارض .

وللتعاب أن يختار تقدير كلفة مسكنه واخذها من الملاك وفي حين وجود
بناء ضخمة ينظر حينئذ للوثائق فان كان التعاب قد حصل على اذن تحريري من
الملاك أو سبق للملاك أن شاهد ذلك ولم يعترض عليه تعتبر كلفة البناء رسمية
والا فليس للتعاب الا رضاه الملاك او قلع ذلك البناء بدون مقابل .

ويجب أن لا ننسى وقت الحاصل والتلقيح عند حدوث الاختلافات بين الملاك والتعاب فالتعاب هو الذي يقوم بعملية التلقيح والدلاوة وكذلك المزروعات الخصريه والبرسيم وغيرها . . فهي تكون للتعاب وعند تركه للارض يجب مراعاة ذلك .

كذلك فان لجنة تسوية حقوق الاراضي في الفقرة - ٢ ب - من المادة - ١٣ - من قانون التسوية فقد اعطت نصوصاً خاصة للتعاب والملاك .

وفي نهاية الموضوع المختصر هذا نرجو أن نقول بان سلامة الاحكام ومحافضة حقوق الطرفين ترجع الى العرف كما قلنا والتحكيم والخبراء المعروفين في العدالة ونظراً لان البصرة هي مدينة التعابات فان لجان التحكيم والخبراء اصبحوا معروفين وكان من أشهر الخبراء في العهود السابقة والعهد الحديث هم :

الحاج ابراهيم ليلو والحاج طه الموصللي والحاج اسماعيل الزنبور والحاج طه السلطان والحاج احمد النعمة والحاج احمد البكر والحاج عبدالرحمن الكامل والسيد اسماعيل الرديني والشيخ عبدالواحد باش اعيان والحاج محمود العبد الواحد والحاج عبد السيد العويد والحاج معتوق الحاج طه والحاج منصور السلطان والحاج معتوق النعمة والشيخ احمد باش اعيان والسيد محمد سعيد الرديني والحاج حمد الذكير والسيد حامد النقيب والسيد محمد صالح الرديني والحاج غانم الهارون والحاج عامر الكامل .

* * *

الاراضي الأميرية :

ومصدر الاراضي الاميرية في البصرة أربعة :

١ - الاراضي الخالية من البناء أو الفرس أو الزرع والتي لم يتصرف بها أحد وهذه عادة تكون بعيدة عن العمران .

٢ - أراضي مزروعة أو مشيدة ولكنها دون وريث شرعي أو مالك يدعي بها .

٣ - أراضي ظهرت من البحر أو الشط أو انهار البصرة الكثيرة ثم رمها الملاكون وضموها الى أملاكهم باعتبارها جزء من هذه الاملاك .

٤ - هناك أراضي كان السلطان عبد الحميد العثماني قد سجلها في الطابو باسمه بدون حق وقد أسس لها ادارة خاصة واستخدم لها موظفين خاصين وولاية ولكن هذه الاراضي عادت الى مالية الدولة العثمانية بعد خلع عبد الحميد ثم انتقلت ملكيتها الى الحكومة العراقية بعد الحرب العظمى الاولى وأطلق عليها اسم الأملاك المدورة .

وكان الوالي سليمان نظيف بك أحد معارضي السلطان عبد الحميد قد ألف كتابا سماه - چالمنش اولوگه - أي المملكة المسروقة .

وبهذه المناسبة ان نظام الطابو كان قد صدر في ١٤ صفر سنة ١٢٧٦ هـ ثم اجريت عليه تعديلات ولكنه لم يطبق كل التطبيق في منطقة البصرة الا بعد تسجيل اراضي السلطان عبد الحميد ثم كانت اعادتها الى مالية الدولة بتاريخ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ هـ .

وفي الحقيقة ان للوالي مدحت باشا الفضل الاكبر في تأسيس نظام الطابو ومع ان الايام لم تمهل هذا الوالي على تطبيقه فقد نشرت جريدة الزوراء البغدادية الرسمية بعدد راقم ٣٢٣ الصادر في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٨٩ هـ بان بغداد

أصبحت تخضع كلها لنظام الطابو .

و كانت التسجيلات قبل ذلك تجري في البصرة للمسلمين في المحكمة الشرعية أما لغير المسلمين فكان المسيحيون يسجلونها في كنائسهم واليهود يسجلونها في التوراة بواسطة معاملة تسمى الشيطار أي الحجمة أو الوثيقة وكان الخناخام الأكبر في كل كنيس يهودي يعتني في سجلات خاصة لهذه المعاملات ويسمى (شيطاروث) واللفظه مأخوذة من - شيطار - التي أصلها - سطر - أو - تسطير - وهو الشيء المدون أو المكتوب وقد بقي اليهود يتعاملون بهذه الطريقة الى سنة ١٩٥١ أي قبل اسقاط الجنسية العراقية عنهم وبالرغم من سجل الطابو .

وفي الحقيقة ان الأراضي الأميرية كانت بدون نظام في منطقة البصرة حتى اني لما سألت احد الشخصيات الكبيرة المعمرة من زمن العثمانيين عن كيفية سيطرت الحكومة العثمانية على هذه الاراضي أجاب بأن الأراضي المملوكة كانت - تائهة - ولم تضبط فكيف بالاراضي الاميرية ؟

وكان عرق السوق من أهم حاصلات المناطق الاميرية في البصرة . ولم تتمكن الحكومة من ضبطه الا سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م حيث يذكر الاستاذ العزاوي بأن الحكومة العثمانية أحالت عرق السوس بالمزايدة وكان قبل ذلك نهياً للايدي العابثة .

* * *

من أحداث البصرة :

نزلت على البصرة سنة ١٦٥٧ م - ١٠٦٨ هـ أمطار دامت لمدة عشرة أيام متتالية بلياليها حيث كانت مرة تنقص ومرة تزيد فحدثت فيضانات في دجلة

والفرات وكانت بغداد قد غرقت حتى غرقت منطقة باب المعظم وتخربت (تابية
الفتح) ففاض شط العرب لعدم تمكنه من استيعاب مياه الامطار زيادة على مياه
الفيضان فتكونت بحيرة جنوبية في البصرة امتدت الى اكثر من - ١٥٠ - ميلا
وعرضها ٥٠ ميلا .

وكان والي البصرة حسين باشا افراسياب الذي تحدث عنه الرحالة الفرنسي
- تافرنيه - فقال ان الاجانب ازداد عددهم في البصرة في ايامه كما تحدث عنه
لونكريك في كتابه - اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث - فقال انه كان
يتساهل مع الأقليات والغربيين والتجار مما ادى الى ازدياد الحركة التجارية في
البصرة وعمت روح الحرية والامان وعين رئيس السكر مليون سنة ١٦٧٩ م -
١٠٩٠ هـ قنصلا لفرنسا في البصرة وكان هذا القنصل يعمل على مساعدة الفقراء
 والمرضى والمعوزين .

ويقال ان الامطار التي حدثت سنة ١٦٥٧ م مبكرة اخذت الناس على حين
غرة ولذا كان عدد كبير من الناس قد تهدمت بيوتهم واصبحوا من دون مأوى
مما جعل الحكومة ان تسكن هذه العوائل في المساجد ثم اجبرت ابناء الشعب الذين
لم تهدم بيوتهم على اسكان المضررين معهم .

ولما انقطعت الامطار عادت الارسالية الكرملية على مساعدة الناس وساهمت
في بناء بيوتهم وتزويدهم بالافرشة والاواني والملابس والنقود كما وان الحكومة
زادت في رسوم الكودة على الاغنام ورسوم الكمارك لتجمع الاموال للمتضررين .
وفي هذه السنة ظهر - رشاد البر - وهو نوع من الخضرة حيث ينبت طبيعياً
فكانت سطوح المنازل والطرقات والبراري والبساتين البصرية مملوءة به .

كما وقد ظهر - الكأ - بصورة عجيبة لم تعرف لها البصرة مثيلاً زيادة على ظهور الاسماك وخاصة - الروبيان - الذي بيعت الوقية البصرية (ثلاثة كيلوات) منه - بخمس بارات - أقل من فلسين .

كذلك هرع الرعاة ومعهم الوف الاغنام والمعز كما جاء البدو وابلهم وخبولهم لمواضع العشب والمياه وانقلبت الصحراء الى ارض خضراء بما في ذلك الورد والازهار البرية من حرمل والزعر وورد البنوشة وغيرها كما جاءت اسراب الطيور المائية والبرية فكان القطا والخضيري قد ملأ كل بيت وكل سوق ومن أحداث البصرة :

ما ذكرته جريدة الجوائب البغدادية بعددها ٦٩٦ الصادر في ٢٠ ربيع الاول ١٢٩٧ هـ بأن مجاعة حدثت في بغداد والموصل سميت - برسيمية - ومعناها بالكرديّة - الجوعان - وان الموتى كانت تشاهد في طرقات بغداد والموصل وكردستان وبيعت البنات والاولاد في الطرقات وهاجر الاكراد الى بغداد واخذوا يقولون - برسيمية - كما هاجر قسم منهم الى البصرة وسكنوا العراء اولاً ثم اشتغلوا في البيوت كما تزوجوا بالبصريين .

اما في الموصل فسميت السنة - سنة الليرة - لان الغلاء جعل وزنة الحنطة تباع بليرة ولكن البصرة وقاها الله هذا الوباء العظيم .

وقد نشرت جريدة الجوائب بعددها رقم ٩٩٧ الصادر في ٤ جمادى الاول ١٢٩٧ هـ نقلاً عن ميزانية الدولة بأن راتب والي البصرة - ١٧٠٠٠ قرش وراتب والي الموصل ١٥٠٠٠ قرش .

ومن حوادث البصرة ما ذكرته جريدة الزوراء في عددها ٥٦٨ الصادر

في ٢٣ جمادى الاول سنة ١٢٩٢ هـ بأن سعر الربية الهندية عشرة قروش ونصف
والربية هذه كانت تستعمل في البصرة فقط أما في باقي مدن العراق فكانت
نادرة الاستعمال وكان في هذه السنة ثمن - الشامي - وهو عملة تركية يساوي ٩
قروش و ٣٠ بارة حسب نظام خزانة الحكومة أما في تداول الناس فيساوي
عشرة قروش .

وفي سنة ١٢٩٦ هـ القت الحكومة القبض على عصابة تزيف النقود وكانت
قد اتخذت من الحدود العراقية الايرانية مقراً لها .

وقد ذكرت جريدة الزوراء في عددها رقم ٨٥٩ الصادر في ٢٦ رمضان
١٢٩٦ هـ بأن هذه العصابة كانت بغاية المهارة تقلد المجيدي والربية والمناط - وهي
عملة روسية تساوي ١٧ ونصف قرش - .

ولقد حدثني المرحوم صبري افندي امين صندوق البصرة بأن من بين
افراد العصابة كان تركيا واحداً و ايرانياً واحداً و هندياً واحداً وثلاثة من العراقيين
ليس فيهم من البصريين أحد .

و كانت هذه النقود تسمى عند الاهالي - فلوس قلب - او - جلب - وقد
حدثني المرحوم صبري بأن البصرة عرفت نقداً مزيفاً هو - ابو دبيلة - وكان
سهل التزييف نظراً لانه مصنوع من فضة على صورة قرش مكتوب عليه بالتركية
ومن حوادث البصرة ما حدث سنة ١٨٨٠ م - ١٢٩٨ هـ حيث صادفت
الباخرة المسماة - كلوص - في منطقة - النميعة - حوتا طولها ٤٨ قدماً على مقربة
من مشهد العزيز وكان أصحاب المنطقة قد أخذوا باطلاق النار عليها دون
أن يؤثر ذلك فيها .

ثم صادفت الحوت منطقة ضحلة بالقرب من الساحل فركب الناس اليها
بالزوارق ولكنها تحركت الى المياه العميقة وأخذت تجول قاذفة بالمياه من فيها
ومحدثة أصوات عالية سمعها كل اهالي المنطقة ثم أخذت تعوم بسرعة وبحركة
تمكنت من قلب احد القوارب بمن فيه .
ثم سارت حتى وصلت القرنة وهناك تمكن ربان الباخرة (مسكنة) المدعو
محمد مع زملائه من قتل الحوت قرب (سد ابو روبة) وقد جاء الربان محمد بنديل
الحوت الى البصرة وكان طوله ١٢ قدما .

ولقد قطع الأهالي الحوت وذوبوا اجزاء جسمها واستخرجوا دهنها الذي
كان من أحسن انواع الدهون حيث ان دهن الحوت كان ولا يزال يستعمل
لدهن وطلاء الابلام والسفن الشراعية وكان اهالي البصرة يستعملون دهن
الكوسج والذي يسمونه (يربور) في طلاء قواربهم وسفنهم .

ومن احداث تاريخ البصرة ضرب النقود :

والنقود على نوعين ورقية ومعدنية وكانت التسمية بالاوراق النقدية حديثة
العهد حيث كانت تدعى بالقوائم النقدية المعتبرة وكان العرب قد استعملوها منذ
ايام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما وان اول دولة غريبة استعملت
الاوراق النقدية هي السويد سنة ١٦٦١ م ثم بريطانيا سنة ١٦٩٠ م أما الدولة
العثمانية فقد استعملتها سنة ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ .

وعندما عازمت الحكومة العراقية على اصدار عملة وطنية بدلا من العملة التي
كانت مستعملة في العراق وهي العملة الهندية نظم المرحوم الشاعر الزهاوي يقول:

قالوا مستصدر عملة للناس فيها عملة

فقلت ان صح هذا تزيد في الطين بلة

وقد صدر اول نقد عراقي وطني يوم الاول من نيسان سنة ١٩٣٢ م وقد
نجحت العملة العراقية الوطنية خلافا لما كان يفكر به الزهاوي وفي ٨ تموز سنة
١٩٣٣ م منع تداول العملة الهندية نهائياً .

أما من حيث ضرب العملة في البصرة فقد كان السلطان محمد بن بولقتلغ بن
تيمور سلطان المتغلبة قد ضرب النقود في البصرة سنة ٧٣٨ هـ .

وفي زمن الايلخانيين ضرب محمود غازان الذي دام حكمه من ١٢٩٥ -
١٣٠٤ م نقوداً في البصرة وكان هذا السلطان وثيقاً ثم أسلم .

ثم تولى اخوه محمد خدابنده الحكم في ٢ ذي الحجة ٧٠٣ هـ - ١٣٠٤ م وقد
أعلن تشيعه واخذ يضرب النقود باسم الأئمة الاثني عشر وقد ضرب نقوداً في
البصرة كتب عليها (علي ولي الله) .

وضربت النقود في البصرة ايام (اويس بن الشيخ حسن الكبير) ملك
الجلالرية وكان قد لقب نفسه بالوائق بالملك الديان وقد وجد درهم فضي قد
ضرب في البصرة كتب على وجهه - لا اله الا الله محمد رسول الله - وعلى الوجه
الثاني لفظة (سلطان محمد) وتحتها (بصرة) ثم كتب كلمة خلد الله ملكه .

ولما استولت حكومة الزنديين على البصرة في أواخر صفر سنة ١١٩٠ هـ -
١٧٧٦ م ودام حكمها ثلاث سنوات استعملت في البصرة نقوداً كتب عليها
بالفارسية (سكة برزر ميزنم تاصاحبش پيدا شود) ومعناها ائنا نضرب السكة
على الذهب الى ان يظهر صاحبها) أي المهدي المنتظر .

ومن احداث البصرة : ما نشرته جريدة الجوائب في عددها ٢٩٢ الصادر

في ٢٩ ربيع الأول ١٢٩٧ هـ بأن نقيب اشرف أهل البصرة السيد محمد سعيد النقيب قد انعم على الفقراء باطعمة .

كذلك نشرت جريدة الزوراء في عددها ١٠٧٨ الصادر في ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ هـ بأن قاسم باشا الزهير صار عضواً في مجلس شورى الدولة وكانت جريدة الجوائب قبل ذلك قد ذكرت عنه بأنه حلبي المولد سكن البصرة وأنه في ١٤ جمادى الآخرة من سنة ١٣٠٠ هـ بلغ عمره ٤٠ سنة وأنه كان رئيس مجلس التجارة في البصرة وكان قد سافر من البصرة الى بغداد بطريق النهر حاملاً معه مضبطة من اهالي البصرة ينددون فيها بمنصور المنتفكي وجماعته وكان من جملة من وقع المضبطة الشيخ احمد باش اعيان والحاج طه الياسين والحاج محمود .

ومن احداث البصرة زيارة والي طربزون عالي بك وكان يشغل ايضاً مدير الديوان العامة في الحكومة العثمانية وقد ابتداء رحلته من استانبول سنة ١٣٠٠ هـ فوصل البصرة سنة ١٣٠٤ هـ وذلك عن طريق الموصل وبغداد ودجلة وكان قد كتب عن بغداد وكان يحكمها الوالي تقي الدين باشا وأنه ذكر ولايات العراق الثلاث بغداد والبصرة والموصل ثم كتب تقريراً وافياً عن منطقة البصرة من حيث أهميتها العسكرية والتجارية والزراعية وقد جمع كل ما كتبه في كتاب سماه (سياحت زور نالي) اي تقرير السياحة وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣١٤ هـ .

ومن احداث البصرة ايضاً انشاء المدارس :

ففي ٢٧ تشرين ثاني سنة ١٩٠٨ م افتتحت اول مدرسة اهلية في البصرة باسم مدرسة يادكار حریت - تذكار الحرية - .
وفي ٨ تشرين أول سنة ١٩٠٩ م افتتحت اول مدرسة صناعية في البصرة

ولكنها اغلقت قبل ابتداء الدراسة فيها .

وفي ١ شباط سنة ١٩١٠ م تأسست اول مدرسة مسائية لتعليم اللغة التركية
وفي ٨ نيسان سنة ١٩١٠ م تأسست اول جمعية علمية لخدمة الأدب والعلم
في البصرة .

وفي ١ ايلول سنة ١٩١٤ تأسست اول مدرسة سلطانية (رسمية) في البصرة .
وكانت اول مدرسة اهلية أسست في الزبير بعد الحكم الوطني هي مدرسة
(النجاة الأهلية) التي اسسها الشيخ محمد الشنقيطي سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٠ م وقد
ساهم في تشييدها آل الذكير الكرام .

ولقد اجري سنة ١٩٠٥ م احصاء للمعلمي وطلاب البصرة فكانت مدرستان
رشديتان ملكيتان وهما على مستوى ابتدائية واثنتا عشر مدرسة اولية كان اكثر
ملاكها معلم واحد او معلمين للمدرسة .

وكان عدد المعلمين ٥٢ معلماً اما عدد الطلاب فهو ٨٤٢ تلميذاً كما كانت
هناك مدرسة اسرائيلية ومدرسة مسيحية تسييران بنظام دقيق وتدرس فيها
العربية والأدب العربي كما تدرس فيها اللغة الفرنسية والانكليزية والتركية .

وكان عدد الطلاب اليهود ٢٨١ أما عدد الطلاب المسيحيين ١٢٤ تلميذاً .
ومن احداث البصرة : افتتاح محلات التصوير وكان اول استوديو منظم
افتتح للتصوير في البصرة هو استوديو دومونيك الذي جاء البصرة سنة ١٩٢٣
وعمل مصوراً فيها وكان قد درس هذا الفن على يد خاله (فكتور) في الهند ثم
اخذت استوديوآت التصوير بالازدياد .

كما افتتح اول معمل منظم للكاشي في البصرة سنة ١٩٣١ م وكان صاحبه

يعقوب الياس الذي قدم البصرة من الموصل سنة ١٩٠٠ م وعمل في الكمارك ثم فتح سينما رويال في البصرة وعمل محاسباً في البلدية كما ساهم في تأسيس معمل للسيكاير ولكنه استقر أخيراً على معمل الكاشي الذي يديره الآن ولده .

وكانت اول لجنة انضباط للمحامين تأسست في البصرة في ٩ كانون الأول سنة ١٩٣٣ م ولم يكن عدد المحامين يزيد على عشرين محامياً .

وكان اول رئيس لهذه اللجنة السيد عبدالكريم السامرائي ومعه الأعضاء وهم كل من المحامي عبدالجليل برتو وسلمان الشواف و ابراهيم ناجي وارتين المحامي .

وأما اول صيدلية أسست في البصرة في أيام الحكم الوطني فهي صيدلية العراق أسسها ابراهيم ريجان سنة ١٩٢١ م ثم جاءت صيدلية جوليس لصاحبها القس جوليس وذلك سنة ١٩٢٢ م ثم صيدلية الفيحاء سنة ١٩٢٣ م وكان صاحبها بشير نعوم ثم صيدلية البصرة سنة ١٩٢٥ م لصاحبها الياهو ابراهيم جداع .

ومن احداث البصرة افتتاح المطار المدني الذي كان في وقته يعتبر ثالث مطار دولي في العالم وقد افتتحه الملك غازي الاول في ٢٥ آذار سنة ١٩٣٧ م عند زيارته الرسمية للبصرة .

ومن احداث البصرة ايضاً بيع الحكومة العثمانية - الادارة النهرية - لشركة لنج بمبلغ ٢٥ الف ليرة فكان أن احتج نواب العراق في مجلس المبعوثان التركي كما احتج الأهالي وكتبوا البرقيات خوفاً من سيطرة الشركة على اجور النقل وقام المرحوم السيد طالب باشا النقيب والمرحوم سليمان فيضي وهما من نواب البصرة ليعلنا رفض الشعب لهذا البيع ولكن الشركة عملت حيلة وذلك بتخفيضها الاجرة ٣ بارات عن الطن انحداراً و ٦ بارات صعوداً .

وكان الصدر الأعظم التركي رئيس الوزراء قد أعلن انه لا نية في بيع
الادارة النهرية ولكن الغرض توحيد المساعي مع الشركة . ولكن الحكومة العثمانية
باعت للشركة حصصاً اخذت في تزايد مبتدأة من البصرة واعتباراً من ١٣ آذار
سنة ١٩١٤ م .

ومن احداث البصرة في العهد العثماني : قانون الجندية الجديد الذي اعلن
في رجب سنة ١٣٢٧ هـ حيث اصبح بموجبه محتماً على كل عثماني مسلماً كان أو غير
مسلم أن يقوم بالخدمة العسكرية لمدة ٢٥ سنة منها ٣ سنوات نظامية و ٥ احتياط
و ١٢ رديفية و ٥ مستحفظة وذلك في الجيش البري أما في البحرية فتكون الخدمة
٢٠ سنة وذلك باسقاط مدة المستحفظة كما حدد عمر المجند ب ٢١ سنة .

ومن الأحداث ايضاً وفاة الحاج حمد العسافي حيث توفي بالزبير يوم الثلاثاء
٩ صفر سنة ١٣٣٢ هـ وهو من التجار المعروفين وكان عمره ٦٩ سنة وترك من
الأولاد عبدالله ومحمد وعبداللطيف وعبدالصمد .

ويذكره صاحب العراق بين احتلالين بانه كان يشتغل مع والده وأخيه الحاج
صالح ولكنه بعد ذلك عزل عنهم وفي شوال سنة ١٣٢٧ هـ ترك التجارة
واختار العزلة للتعبد .

ومما نشر في جرائد البصرة القديمة وفاة العالم العلامة طه بن عبدالرزاق الشواف
وذلك يوم الخميس ١٤ صفر ١٣٢٨ هـ ودفن في مقبرة الحسن البصري وكان
مفتياً للبصرة منذ سنة ١٣١٧ هـ وهو من الادباء والفقهاء الشعراء وقد خلف اولاداً
منهم عبدالملك الشواف قاضي بغداد والذي صار بعد ذلك رئيساً لمجلس التمييز
الشرعي وقد توفي يوم الثلاثاء ٣ شباط سنة ١٩٥٣ م ١٨ جمادى الاولى

سنة ١٣٧٢ هـ ودفن ببغداد .

ومن احداث البصرة : ما نشرته جريدة الرقيب في عددها رقم ٧ الصادر في ١٨ صفر ١٣٢٧ هـ بان مجلس الاعيان العثماني قرر الغاء التعظيم وبذلك زالت عنرة كبيرة من اسلوب التحرير .

هذا ما قالته جريدة الرقيب ولكن الفاظ التعظيم بقيت قائمة من أفندي وحضرتي وبك وباشا وچلي والافخم المعظم المبجل المعزز المكرم .

كذلك نشرت جرائد البصرة خبر وفاة الاستاذ عبدالحميد بك الشاوي ميمز قلم مكتوبي ولاية البصرة وذلك في ٨ ربيع الاول سنة ١٣١٦ هـ وكان من الادباء الفضلاء .

ونشرت جريدة الزوراء في عددها رقم ١٨٨٨ الصادر في ٦ صفر سنة ١٣١٧ هـ خبر وفاة احمد بك الشاوي ميمز قلم مكتوبي البصرة على اثر داء عضال ألم به . وقالت بان المرحوم كان اديباً عارفاً كاملاً مضطرباً في علوم اللغة ونحوها . ومن الاحداث العظام التي هزت البصرة : الدستور العثماني الذي اعلن في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ م - ٢٤ جمادى الثاني ١٣٢٦ هـ وكان على اثره تم انتخاب مجلس الامة العثماني من جميع انحاء الدولة وقد افتتح اول مجلس للمبعوثين في ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٦ هـ - ١٧ كانون الاول ١٩٠٨ م وكان من نواب البصرة السيد طالب باشا النقيب وأحمد باشا الزهير .

ولم يقم هذا المجلس بواجبه للضغوط التي كانت تجرى عليه من قبل الحكومة الى أن صدرت الارادة الملكية - البادشاهية - في ٢٨ محرم ١٣٣٠ هـ بحل المجلس على أن تجرى انتخابات حرة .

وفي المجلس الثاني فاز عن البصرة كل من السيد طالب باشا النقيب وعبدالله الزهير صاحب جريدة الدستور وعبد الوهاب القرطاس وهو ملاك توفي سنة ١٩٢٤ م واحمد نديم بك رئيس محكمة جزاء البصرة .

أما في المجلس الثالث فقد فاز عن البصرة كل من السيد طالب باشا النقيب والمحامي سليمان فيضي وعبدالرزاق النعمة (١) والحاج عيسى روهي وهم من حزب الاصلاح فعرابي الذي شكله المرحوم طالب باشا النقيب وهو يطالب بالحكم اللامركزي ويدافع عن حقوق العرب .

وقد ذكر صاحب كتاب العراق بين احتلالين بان من حوادث بغداد وصول كل من نائبي البصرة عبدالرزاق النعمة والحاج عيسى روهي وذلك في يوم الاحد ١٦ شوال سنة ١٣٣٢ هـ ومكوئهما في بغداد يوم وليلة ثم سفرهما الى البصرة بمناسبة تازم الوضع بين الحكومة ونواب البصرة الاحرار .

ومن الاحداث ايضاً ما نشرته جريدة الزوراء في عددها رقم ٢٠٧٧ الصادر في ١٨ ربيع الاول ١٣٢٤ هـ الموافق سنة ١٩٠٦ م وذلك عن انفصال الفريق مخلص باشا والي البصرة وقائدها عن ولاية البصرة التي احيلت الى والي بغداد مجيد بك كذلك ذكرت الجريدة في عددها رقم ٢٠٩٦ الصادر في ٤ شعبان ١٣٢٤ هـ تعيين حسن بك لولاية البصرة ووصوله الى بغداد يوم الجمعة ١٤ شوال ١٣٢٤ هـ وفي ١٦ منه توجه الى البصرة .

كما نشرت جريدة التهذيب البصرية بعددها رقم ٣١ الصادر في ٣ محرم ١٣٢٨ هـ بان الاستاذ ناجي السويدي كان رئيس محكمة تجارة البصرة وجرى تحويله الى عضوية محكمة الاستئناف في بغداد وذلك بطلب منه لانه مكث في البصرة مدة طويلة.

(١) المعروف انه كان عبدالرزاق العامر .

- الناشر -

اعرف البصرة في تاريخ الفترة المظلمة

١ - سواح زاروا البصرة في القرن التاسع عشر فماذا قال عنها الرحالة بكنغهام؟

٢ - متى ظهر في البصرة حصان مجنح فسهاه الناس بالبراق؟

٣ - من هي شجرة در البصرة . . ؟

٤ - أعظم لاعب شطرنج دولي كان من البصرة . .

٥ - أعرف كوت الافرنجكي وكوت السيد . .

٦ - بعض حوادث البصرة في القرن التاسع الهجري . .

ضربت البصرة رقماً قياسياً في زيارة السواح لها والكتابة عنها في القرن التاسع عشر الميلادي فلقد زارها مرزا ابو طالب خان سنة ١٨٠٢ م وهو رجل هندي كتب رحلته - رحلات في آسيا واوربا وأفريقيا - وطبعت هذه الرحلة في لندن سنة ١٨١٠ م وكانت تحتوي على وصف ساحر لمدينة البصرة .

ثم زارها الرحالة الانكليزي بكنغهام سنة ١٨١٦ - ١٨١٧ م وسندكر مفصلاً كتابته عنها .

وبعد زار البصرة مستر - و. هود سنة ١٨١٧ م وكتب عنها في كتابه :

(رحلة في الخليج الفارسي) الذي طبع في لندن سنة ١٨١٩ م .

ثم جاء بعده الاونورا بل ج . كيبيل سنة ١٨٢٤م وكان من المتصلين بشركة الهند الشرقية وكتابه المسمى (سياحات في بابل وآشور وميدية وسكثية) وطبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٢٧ م .

ثم زارها الرحالة المستعار اسمه بالحروف (آر . سي . أيم) الذي تحدث في كتابه (رحلة في ايران) وقد ذكر البصرة في سياق كلامه ومدحها بالحسن والطيب وقد طبعت رحلته في لندن سنة ١٨٢٨ م .

وبعد ذلك جاءها مستر آر . مينيون سنة ١٨٢٧ م فكتب (سياحات في بلاد الكلدان) وطبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٢٩ م وكان هذا الرحالة من رجال شركة الهند الشرقية وقد ذكر بعض الحوادث عن البصرة ملخصة عن كتاب زاد المسافر .

وفي سنة ١٨٣١ م زارها مستر ج . آر . ويلستيد وهو من المنتمين الى الاسطول الهندي وقد كتب رحلته (رحلات في مدينة الخلفاء) وقد ذكر الطاعون الذي حل بالعراق سنة ١٨٣١ م وطبعت رحلته بلندن سنة ١٨٣٠ م .

وفي سنة ١٨٣١ م زارها مستر ج . ه . شوكار وهو صحفي جاء ليكتب للصحف وكان كتابه « خمسة عشر شهراً من زيارة لجهات غير معروفة في خوزستان وايران » وكانت الرحلة في جزئين وقد احتوى الجزء الاول منها وصفاً مهماً للبصرة وقد طبع الكتاب في لندن سنة ١٨٣٢ م .

ثم كتب عنها المسيو فونتانييه وهو القنصل الفرنسي في البصرة سنة ١٨٣٥ - ١٨٣٦ م وكان من اعداء الانكليز وقد وصف البصرة وعلاقتها بالغرب وبيغداد والشمال والمحرة وتركيا والهند وقد طبع كتابه بباريس سنة ١٨٤٤ م .

وزارها بين سنة ١٨٤٠ - ١٨٥١ م مستر أ. ه. لا يارد وكتب رحلته :
« المغامرات الأولى في ايران وسوسيانا وبابل » وكان كتابه طريفاً بأسلوب
أدبي شيق أكثر مما هو تاريخي وقد طبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٩٤ م .

وكتب عن البصرة السكوماندر فيليكس جونز وهو الذي كان مع لنج وسيلي
حيث يعدون خرائط مسح دجلة والفرات لتشغيل البواخر فيها وكان فيليكس
قد زار البصر اثناء مكوثه في العراق سنة ١٨٤٨ - ١٨٥٥ م وكتب مشاهداته
في العدد رقم ٩ و ١٠ و ١١ من مجلة جمعية يومي الجغرافية وكان ذلك
بين سنتي ١٨٤٩ - ١٨٥٦ م .

ثم كتب عن البصرة المستر لوفتس وهو احد أعضاء لجنة تخطيط الحدود
بين العراق وايران سنة ١٨٤٩ م وكان كتابه « رحلات وتنقيبات في بلدان
الكلدان وسوسة » طبع في لندن سنة ١٨٥٧ م .

وجاء بعده المستر جي كيري وهو صحفي كتب رحلته « في تركيا الآسيوية »
وكانت زيارته لبصرة سنة ١٨٧٨ م أما كتابته الصحفية فكانت سطحية أكثر
مما هي علمية وقد طبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٧٨ م .

وكان آخر الرحالة الاجانب الذين زاروا البصرة في القرن التاسع عشر
الميلادي المستر (كايبر) وهو من السواح الكتاب وقد وصل البصرة سنة ١٨٩٢ م
وكتب رحلته « في بلاد العرب الآسيوية » وكان قد وصف الفرات وبنفداد
والبصرة التي أعجبتة بجمالها الطبيعي وقد طبعت رحلته في لندن سنة ١٨٩٤ م .

من هو الرحالة بكنغهام وماذا كتب عن البصرة ؟ .

هو رحالة انكليزي زار الخليج العربي والبصرة سنة ١٨١٧ م - ١٢٣٣ هـ

ومكث فيها اكثر من ثلاثة أشهر وسجل معلوماته عن هذه المنطقة في رحلته المسماة « رحلات الى ميديا وآشور » وقد طبعت هذه الرحلة بلندن سنة ١٨٣٠ م .

ويقول الرحالة ان البصرة هي ميناء الخليج الرئيسي . . . كما قال انها تقع على الضفة الغربية لسط العرب وهي على شكل مربع متطاوول تحيطه أسوار من الابن غير منيعة ولها خمسة أبواب كبيرة هي باب المجموعة وباب السراجي وباب الزبير وهذه الثلاثة تقع في جهتها الجنوبية الغربية كما هناك باب الرباط وهي قريبة من المقام ثم باب بغداد وعندها تزدهم بيوت المدينة .

ثم يرجع الرحالة فيقول انه شاهد باباً جديدة تبنى بين باب بغداد وباب الزبير وقد سميت باب « بيكننا » ومعناها بالتركية باب المتسلم .

ومع ان الرحالة اعتبر هذه الابواب حقيرة وليست ذات اهمية فان من المعروف لدينا بانها كانت مبنية من الطابوق والجص والصخر القوي وعلى شكل يصعب تسلقها من الخارج او هدمها بسهولة كما لها منافذ للمقاومة والرمي وقذف النار على المهاجمين .

ويظهر لي ان الرحالة لم يتعد عن المدينة كثيراً ولذا فهو يقول ان للمدينة ثلاثة جداول كبيرة تنفرع من شط العرب وتخرق اجزاءها فتعم الفائدة لري كل بقعة من البصرة كما يتم بواسطة نقل السلع والبضائع لسد حاجيات السكان في الضواحي .

والمعروف انه كان يعني بالانهر الثلاثة هي نهر الرباط والسراجي والعشار ومع انه لم يذكر اسماء هذه الانهار فانه يقول بان النهر الشمالي والجنوبي يدخلان المدينة من الشمال الى الجنوب ويعني بهما « نهر الرباط والسراجي » ثم يقول :

وبعد أن يخرقانها كل الى جهته المقابلة للثانية يبدئان بالاتحاد في خارج سور المدينة فيكونان خندقاً طبيعياً يحمي المدينة ويزيد من قوة السور في الدفاع ثم يرجع متحدثاً عن النهر الثالث وهو نهر العشار فيقول انه يتجه الى الجهة الغربية من الشط مخترقاً المدينة وعليه يعتمد السكان بتزويدهم بمياه الشرب والسقي والمواصلات حيث تسير الابلام والقفف والدوناق - زورق كبير للشحن - .

ولقد اعجب الرحالة الانكليزي بكنفهام بظاهرة المد والجزر فقال انها تساعد السكان على السقي والتنقل ولم يذكر لنا طرق السقي والتنقل اثناء زيارته للبصرة كما وانه لم يحدثنا عن مجالس البصرة في الانس والطرب والاجتماعات على ضفاف هذه الانهار وخروج الناس كل يوم وخاصة اوقات العصر والليل للنزهة في القوارب او الجلوس بمجاميع على ضفاف الانهار بين العشب والازهار والنخيل والاشجار كما وانه لم يحدثنا عن طرق نقل المياه من هذه الانهار الى البيوت لاستعمالها للشرب والطبخ والغسل ولا عن الاوامر التي صدرت مشددة بمنع الناس من رمي الزبل والاوساخ في الانهار او التبرز او التبول على ضفافها وذلك دفعاً لأخطار المكروبات .

ولكن بكنفهام يصف الداخل الى شط العشار الذي سماه بالشط الوسطي فيقول انه اذا أراد أن يدخل البصرة أي قادم من الخارج وغير الطريق البري فانه لا بد وان يمر من صدر هذا النهر الضيق حيث اقيمت على جهته اليسرى قلعة مدورة الشكل مع مسجد له منارة ليست كبيرة تقع على الجهة اليمنى .

وأظن الرحالة يعني بالمسجد هو مسجد المقام الحالي حيث تؤيد التواريخ بانه كانت المسجد منارة صغيرة ولكنها جميلة وقوية قاومت الزمن بالرغم من

الاهمال الذي اصابها من قبل المسؤولين أخيراً .
أما القلعة التي يعنينا الرحلة فهي دار المتسلم او القائم مقام كما وان الى جوارها
كانت بناية الكرك - لا تزال موجودة الى اليوم - مع عدد من بيوت الموظفين
ومقهى للاستراحة مع حانوت .

وفي مذكرات صبري افندي امين صندوق البصرة انه سمع سنة ١٩٠٧ م
بأن الكرك كان مبنياً من الطين وله عدة مخازن وغرف للموظفين وان عدة مقاهي
على شكل اكشاك كانت موجودة بالقرب منه كما كانت هناك عدة بيوت من
الطين شبه منظمة ولها نوافذ للموظفين كما كانت هناك صراف للخيول والحير
للإيجار حيث كانت هي واسطة المواصلات فاذا أردت ان تذهب من الكرك الى
البصرة او تحمل بعض الاحمال اجرت حماراً او بغلاً او حصاناً حسب رغبتك
للوصول الى داخل المدينة او محلك المقصود .

كما كانت هناك محلات تؤجر وخاصة للسفانة - أصحاب السفن - الذين
يأمون البصرة لنقل البضائع وهذه المحلات على شكل فنادق تسمى - مسافر خانة -
يمكن ان يرتاح فيه الشخص او يبيت الليل او عدة أيام باجور زهيدة وأحياناً
كان يقدم للمسافر الفراش والطعام .

ولم يذكر الرحالة النقطة العسكرية الصحية ولا الحجر الصحي الذي كان لابد
للقيام الى البصرة أن يدخله وان لم تكن هناك امراض لأن - الكرنينة -
كانت تستعمل حسب ما تقتضيه مصلحة والى البصرة وموظفيه حتى يبتزوا
الرشوة من الناس لأن الذي لا يدفع الرشوة يعرض نفسه للحجز عشرة أيام ولو
كان صحيحاً والذي يدفع - الحنوة - فانه يخرج سالماً ولو كان مريضاً .

وكانت مدام ديولا فوا الرحالة الفرنسية قد تحدثت عن هذه الكرتينة عند زيارتها للبصرة سنة ١٨٨١ م وتعرضت لموظفيها ووصفتهم بالمرتشين وبعثتهم بعدم الفهم (ترجمت وطبعت رحلتها دار منشورات البصري) .
وكذلك كان عند مدخل النهر أسياف وبيادر منتشرة للحبوب وشريعتين كبيرتين لرسو السفن والأبلام والمهايل وهي تودع المسافرين وتستقبل آخرين أو انها تحمل حاصلات البصرة أو ترد لها بالحاصلات .

وكانت الشريعتان على جانبي نهر العشار تقابل احدهما الأخرى اما القلعة التي يتحدث عنها الرحالة فهي القلعة التي كانت تسمى (قلعة القمندان) او (القمندان) وهي ثكنة بحرية كانت تحمي البصرة من الغزاة الذين كانوا يهاجمونها من جهة نهر العشار وكان فيها عدة محلات للمدافع والبنادق ومخزن للبارود كما كانت (سوبرات) خنادق خارج القلعة وفيها عدة نقط مبنية بالطابوق وفيها ثقب لرمي الرصاص .

ويذكر بكنغهام انه توجد على جانبي العشار بيوت وابنية وان البيوت على الجهة اليسرى كانت عبارة عن سكلات خشبية - أرصفة - ومخازن كبيرة للحاجيات المطلوبة لبناء السفن والزوارق .

ولقد كان الرحالة مصيبا في قوله لأن البصرة أصبحت يوما ما مدينة خاصة لصنع الزوارق والسفن الشراعية لان طبيعة البصرة وشط العرب تساعدان على هذا العمل كما كان الابحار من شط العرب سهلا وعلى هذا الاساس بنت الحكومة العثمانية معملا لتصليح السفن في البصرة وأرسلت المهندسين - بيربك - مع عدد من الضباط والمهندسين والمشرفين ليقفوا على العمل وسيره ولقد انظم عدد كبير

من شباب البصرة الى العمل في هذا السلك وقد تفنن البصريون بعد ذلك فكان
أن برز منهم العدد الوافي من السفانة وصناع السفن .

ولقد اشتهرت الاشعة البصرية كما اشتهرت البصرة بعمل نوع خاص من
الابلام سميت (العشاري) وكانت طويلة ورفيعة ومجهزة بظلال يوقى عن الشمس
يسمى (ذلال) وقد أصبحت هذه الابلام من أهم وسائل النقل في البصرة كما
كانت تستخدم للسفريات النهرية وللانس ولا يزال أهل البصرة مولعين بها علما
بان هناك نوع خاص من الابلام الاخرى كانت تستخدم وتصنع في البصرة
وهي الابلام النصارية .

وكان الرحالة بكنغهام قد سمى الضفة اليمنى من نهر العشار بالمقام حيث يقول
انه يسكن فيه القاعمقام كما قال ان الجهة الثانية من النهر كلها تسمى بالمناوي .

وأنا أقول ان قول الرحالة كان غلطاً لان منطقة المناوي كانت على نهر
المناوي وفيها قرية المناوي التي كانت مسورة وهي على شكل ميناء رئيسي للبصرة
وطريق نهر يوصل القادم الى البصرة فيدخل المدينة .

ومنطقة المناوي كانت تقع غرب نهر العشار ولكن لا على صورة مباشرة
بل كانت هناك بساين ونخيل ومسافات تفصلها عن النهر ومع ان بكنغهام زار
البصرة سنة ١٨١٧ م فان آثار سور المناوي كانت باقية ولكنه لم يشاهدها .

والبصرة مسورة من جهتها الغربية الى أن ينتهي السور ببعض الانهار
والبساين فكانت بعض الاماكن والقرى القريبة من شط العرب لا تدخل ضمن
السور ولكن حسين باشا بن علي باشا أفراسياب حاكم البصرة قام سنة ١٠٥٧ هـ
- ١٦٤٧ م لتجديد السور فدخل قرية المناوي داخله وانهاه عند شط العرب

فكانت المناوي بمزارعها وحقولها داخل السور حتى أصبح أهالي البصرة لا يخافون
الجوع أو الحرمان لكثرة المحضرات والحبوب والفواكه أثناء حصار مدينتهم .
ثم أخذت أهمية المناوي تزداد فبنيت على فم النهر قلعة حربية كبيرة شاهدها
(تكسيرا) قبل ذلك عند زيارته للبصرة سنة ١٦٠٤ م وكانت محاطة بسور خاص
وخندق خاص من جميع جهاتها لكي يزداد تحصنها ولكن القلعة التي شاهدها
تكسيرا لم تكن القلعة التي شاهدها بكنغهام سنة ١٨١٧ م حيث بنيت الثانية على
انقاض تلك القديمة وبصورة أكثر مناعة منها .

وتحدث الرحالة عن نفوس البصرة فقال انها تختلف باختلاف الازمنة فهي
بين الخمسمائة الف وخمسين الف ثم يقول ان الاخير هو الحد الأدنى لنفوس البصرة
حيث بلغه بعد الطاعون الذي هاجم البصرة سنة ١٧٧٣ م وفنك بأهلها فكان
ضحيمته ثلاثمائة الف نسمة .

أما نفوس البصرة حين زيارة الرحالة لها فكان مائة الف نسمة ستين بالمائة
منهم عرب أما الباقين فهم الارمن والاييرانيين والاكراذ والهنود والصابئة
واليهود والمسيحيين الكاثوليك .

والحقيقة ان محلات البصرة كانت في ذلك التاريخ خمسة وعشرين محلة
او اكثر بقليل وكان يتراوح عدد بيوت كل محلة بين ١٨٠ داراً الى ٣٠٠ داراً
مع عدة ضواحي كانت متصلة بالمدينة .

وكانت اكبر المحلات اتساعاً جسر العبيد والمشراف والسيمر والسبخة
والعروة والجبل كما كانت هذه المحلات تسم لاكبر عدد من السكان واكثر
سكانها من العرب وهي أعمار الاقسام حتى قال الرحالة ان الطبقات العليا من العرب

كانت بيدها التجارة كما كان من العرب العمال والفلاحون أما الوظائف فيمد
الاتراك على قلتهم وكان الحل والعقد بأيديهم .

وكان متسلم البصرة بكرأغا وهو بصري المولد ولكنه تركي الأصل ونظراً
لبقائه في استانبول عدة سنين واشتراكه باكثر الحروب التي خاضتها تركيا وخاصة
ضد الروس فهو يعتبر تركي وقد دام حكمه للبصرة من سنة ١٢٢٩ - ١٢٣٦ هـ -
١٨١٣ - ١٨٢٠ م .

ولقد كانت سياسة الحكومة التركية ان تمسك بزمام الامور ولا تدع الوظائف
الحساسة بأيدي غير الاتراك ولذا فان - القاوق - وهو الالباس التركي التقليدي
لباس هؤلاء الذين يحكمون البلد بمساعدة الجنود الاتراك والسكرج والاييرانيين
والعرب الذين على قلتهم التي لا تزيد عن خمسمائة كانوا مسيطرين على الوضع .
وكانت الرواتب تدفع لبعض المرتزقة للدفاع عن المدينة وعدد هؤلاء كان
يقدر بالف وخمسمائة خيال وخمسمائة من المشاة ولكن الوالي - المتسلم - كان له
حرس خاص من الاتراك المخلصين للدولة العثمانية وكان عددهم يقدر بسرية
واحدة ولهم لباسهم الخاص يتألف من سترة حمراء مزينة بقياطين سوداء
وسراويل زرقاء مع عمامة بيضاء نظيفة وزاهية .

وكانوا يحملون البنادق الانكليزية الجيدة واحزمة سوداء مملوءة بالخراطيش
كما كان رؤساهم يستعملون السيف او المسدس الفرد .

وكانت هناك ايضاً الصابئة الذين يقول عنهم الرحالة ان اصلهم من يوحنا
المعدان وفي البصرة كانت ثلاث أسر منهم أما في القرنة فمائة اسرة وخمسين
اسرة في سوق الشيوخ وجميعهم يشتغلون بالصياغة والسباكة الى اليوم .

والملاحظ ان الرحالة لم يتطرق الى عادات الصابئة وطرق معيشتهم كما تطرق الى آخرين بل قال انهم يلبسون الملابس العربية ويتسمون باسماء اسلامية . ثم رجع الى الارمن فقال انهم يبلغون في البصرة خمسين اسرة وهم أمناء نشيطين يمتنون المهن المالية والتجارية ولباسهم لا يختلف عن لباس السكان وانهم يتمتعون بعطف المقيم البريطاني .

ان قول الرحالة هذا غير صحيح لان الارمن كانوا يرتدون الملابس الاوربية ولا يرتدون العباة واليشاغ او الزبون ولم يكن الجميع في حماية المقيم البريطاني اذ ان قسماً كبيراً منهم كان من التبعية اليونانية او العثمانية .

وقال الرحالة ان النصارى الكاثوليك كانوا قليلين فهم عشرين اسرة فقط بينهم عدد من سكان البصرة النصارى القدماء وهم يتعاطون التجارة وكانت لهم كنيسة ترتبط بمستشفى الاخوان الكرمليين .

وانا أدري بان الرحالة المذكور لم يعرف شيئاً عن تاريخ هؤلاء النصارى الا القليل ولم يعرف بانهم من أصل سكان المنطقة الجنوبية من العراق وقد كانوا زمن الدولة العباسية والراشدية والاموية وان الشيخ مغامس المنتفكي عند حكمه للبصرة وتوطيد علاقته بالهولنديين وقع معاهدة صداقة وتجارة وتعاون معهم وتمهد بحماية كنيسة الكرمليين وذلك سنة ١٧٠٥ م ١١١٧ هـ وكان الكرمليون قد سكنوا البصرة منذ سنة ١٦٢٣ م .

ثم يرجع الرحالة الى يهود البصرة ويقول بانهم مائة اسرة وأظن بأن الرحالة أخفق في تقديره لان عدد اليهود في البصرة كان اكثر من عدد أي طائفة اخرى وكان منهم الكتاب والموظفون والتجار والصاغة والصيارفة وكانت لهم مدرسة

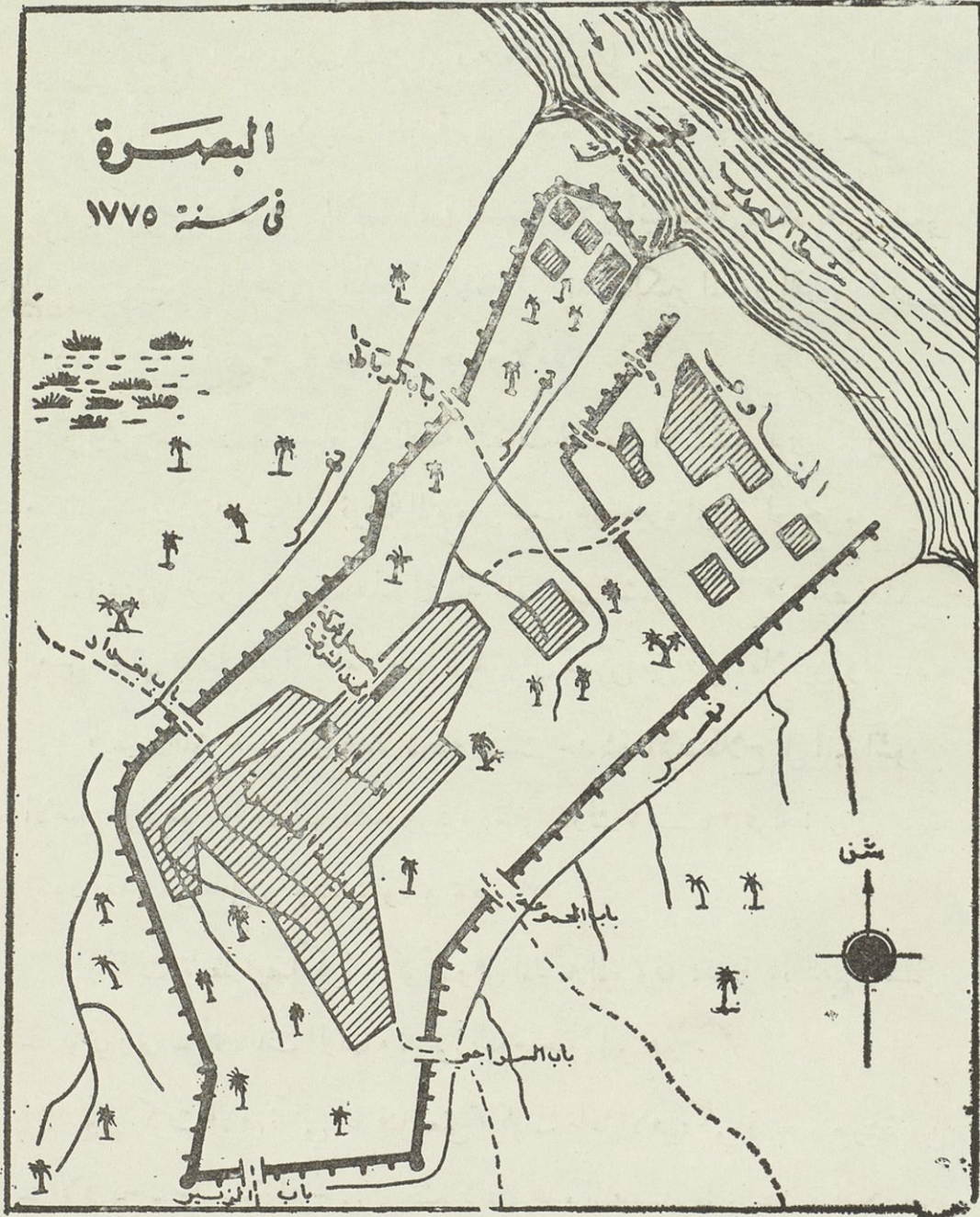
خاصة بهم وهي على صورة كبيرة موسعة من الكتايب الاسلامية .
ويكفي ان نعرف ان عدد اليهود في البصرة كان سنة ١٨٨٠ م نحو من ثلاثة
آلاف وهذا العدد يذكره صاحب كتاب مباحث عراقية ويقول ان عددهم أخذ
بالنقصان في أواخر الايام الكثرة هجرتهم الى حلب والهند .
ولم يذكر لنا الرحالة شيئاً عن حالة اليهود الاجتماعية ولم يصف لنا ازياءهم
وطرق اجتماعاتهم الدينية علماً بأنه كانت هناك كنيسة - توراة - مع مقبرة خاصة
 لليهود ومع حاخام ومحل لذبح الدجاج والاغنام ومعملاً لاستخراج الشيرج .
ثم يتحدث الرحالة عن المهنود ويقول انهم من البانيين وكانوا يشتغلون
بالدلالة والخيطة والحياكة اليدوية ووكلاء اخراج ومضمدين وطباخين وحراسا
وفراشين للقنصلية البريطانية .

والحقيقة ان المهنود في البصرة كان اكثرهم من المسلمين ولم يكن فيهم من
البانيين الا عشرة بالمائة وكان هناك عدد اكبر من السيك والبراهميين وغيرهم
وكان عددهم يبلغ نحو من ١٢٠٠ نسمة وقد اختلطوا بالسكان وخاصة الاسلام
منهم واصبحوا لا يختلفون عن اهل البلاد في شيء .

أما توفيق بكنفهام فكان في وصفه لشط العرب والنخيل والحاصلات الزراعية
وطيبة الارض وحالة الفلاح ووفرة المياه وأخلاق أهل البصرة التي قال بانها
كانت جيدة مع الاجانب لانهم قد اختلطوا بهم عكس سكان العراق الباقين فهم
يكفرون الاجنبي غير التركي ولا يتقربون اليه ويتنجسون منه .

ولم يحدثنا الرحالة عن مجالس البصرة وخاصة في لياليها كما وان لم يتصل
بالعلماء والمثقفين غير الذين عرفهم بواسطة المقيم البريطاني وعليه فان رحلته الى

البصرة وكتابتها عنها ولو كانت فيها بعض المتعة الا انها ناقصة ومع ذلك فقد
 أطرفنا بحديثه عن البصرة قبل قبل ١٥١ سنة .



﴿ خارطة البصرة عند زيارة الرحالة بكنغهام لها ﴾

حول كوت الافرنكي وكوت السيد :

الكوت في اللغة معناه البيت المربع ويصغر على شكل كويت وهو اسم علم مشهور وكانت مدينة الكويت الحالية كوت صغير بناه آل عريعر من الخوالة .

وكذلك عرف هذا الاسم باللغة الهندية والارانية فكان معناه يقارب المعنى العربي حيث هو الحصن او الملجأ او القلعة او البيت الكبير المسور الذي يكون لرئيس العائلة وتبني حوله بيوت الأهل والاولاد .

ومما يجب ان لا ننسأه ان لفظ الكوت لا تقال الا للبناء الذي يكون قريباً من الماء دون الالتفات الى نوعية الماء من حيث هو بحيرة او نهر او بحر .

وبمرور الزمن تحورت هذه اللفظة فاصبحت تشمل كل أرض خصبة تنبت العشب وهي قريبة من الماء أملاً بانها لا بد وان تسكن من قبل الفلاحين والرعاة .

ويقول المؤرخون ان هذه اللفظة ليست حديثة الاصطلاح بل انها آشورية الاصل او بابلية او كلدانية فلقد ورد في سفر الملوك ١٧ - ٢٤ قوله : وأتى ملك آشور يقدم من بابل وكوت دعوا وحماة .

وكانت تلفظ ايضاً كوتا وكوتي وهي المدينة المعروفة بمدينة ابراهيم وتسمى - كوتي ربي - أي بيت الرب وتدعى اليوم جبل ابراهيم .

وفي كوت الافرنكي عرفنا معنى الكوت أما الافرنكي فهذه مأخوذة من - الافرنج - والمصدر افرنجي حيث كانت هذه المنطقة من البصرة تسكن من قبل الافرنج حيث كانت هناك مزرعة للاوربيين ومنذ زمن الدولة العثمانية كان

اتجاه الانكليز والفرنسيين اليها حتى اذا ما جاءت الحرب العظمى الاولى حفر
الانكليز قناة فيها وبنوا مسفناً ومعملاً لتصليح السفن ومحووا المنطقة الداخلية
منها - بورت مارين - أي منطقة الميناء البحري وتسمى منطقة كوت الافرنجى
اليوم - حي الاندلس - .

أما كوت السيد فلقد كانت بساين تابعة للارمني مسروبيان وفيها من
فلاحين التعابة ثم في سنة ١٩٢٢ م اشترت شركة هلس اخوان - بيت الجوك -
هذه الارض من مسروبيان واعطت الفلاحين التعابة ثلاث ربيات عن كل نخلة
فيها وكان عدد نخيلها لا يزيد عن عشرة آلاف نخلة .

ثم أرادت أن تعطي هذه الارض الى موظف قدير يديرها فعينت (دوسن)
لادارتها وكان يعاونه في ذلك السيد عبود شبر واسست مزرعة كوت السيد .
وكان الناس قديماً يسمون هذه المنطقة بمنطقة مسروبيان ولكن نظراً لأن
سكان هذه المنطقة اكثرهم سادة وان الفلاحين التعابة كانوا من السادة أيضاً
اقترح دوسن أن تسمى المنطقة بمنطقة كوت السيد خاصة وانها مملوءة بالاكوات
- جمع كوت - وكان يسكن كل كوت منها اناس من السادة الاجلاء .

ومن أشهر اكوات منطقة البصرة كوت الجوع وكوت الشيخ وكوت السادة
وكوت ابن نعمة وكوت الزهير وكوت الباشا وكوت الكوام وكوت الخليفة
وكوت غضبان وكوت العصيمي وكوت بندر وكوت الفداغ وكوت عباس وكوت
ابن جلاوي وكوت السني وكوت اليوم وكوت زغير كما هناك عدة اكوات اخرى

بعض حوادث البصرة في القرن التاسع الهجري :

في سنة ٨٤٠ هـ - ١٤٣٦ م حدث في البصرة أعظم مد ارتفع فيه الماء حتى

غمر اكثر ارض البصرة مما سبب في دمار المزروعات وهلاك الحيوانات وانتشار
البعوض وفقدان المواد الغذائية وتكدس الناس باعداد كبيرة في محلات مرتفعة
وضيقة مما أدى الى ظهور الامراض وخاصة الحمى التي فتكت بالبصريين حتى
يقال انه كان يموت بالبصرة يومياً ٣٠٠ نفس .

ثم روعت البصرة سنة ٨٦٠ هـ - ١٤٥٦ م باعظم زلزال خرب وسبب في
قتل الناس وارتفاع المياه في الانهار وقلع بعض الاشجار .
ومما تجدر الاشارة اليه ان في هذه السنة تعرضت كل من الكوفة وبغداد
للزلزال ايضاً وكانت بغداد قد تعرضت للزلزال ثلاث مرات في ساعة واحدة .
وفي سنة ٨٦٨ هـ - ١٤٦٣ م ظهر في البصرة فرس له جناحان يطير بهما
نحو مائة ذراع .

وكان هذا الحيوان يخرج نهاراً من البحر ويدخل ضواحي البصرة وكان
الناس يطاردونه وهم على ظهور الجياد العربية الاصيلة التي كانت تشتهر بها البصرة
وتتاجر بها مع الاقطار العالمية وخاصة الهند .

وكان هذا الحيوان البحري أسرع من الجياد كلها بل انه بسرعة البرق
وكان اذا حاصره الرجال وهم على الخيول فانه يطير مستعملاً جناحيه .

وقيل ان هذا الفرس البحري الطيار كان يركن الى البحر ليلاً فاذا اصبح
الصباح ظهر للعيان متبختراً سائراً وهو رافع رأسه الى الاعلى فاتحاً جناحيه
مرة ثم يطبقهما أخرى .

وقيل ان اكثر من خمسمائة فارس حاولوا صيده وطاردوه ولكن بدون جدوى
حيث يستعمل الطيران في الهروب .

وكان جسمه بقدر جسم الحصان الاصيل وهيئته جميلة ولم يعرف انه تناول طعاماً أو شيئاً من الاعشاب سوى انه كان أحياناً يشرب من مياه الغدران والانهار ولقد أقام على ذلك عشرة أيام ثم اختفى وقد بقيت اخباره تتناقلها الاسن الى ما قبل نصف قرن حيث ذكر ان شعره كان ذهبي اللون ورقبته طويلة مجلمة بالشعر فاذا أشرقت الشمس شع النور من شعره حتى سماه البعض بالبراق .

ومن حوادث القرن التاسع الهجري استيلاء - دوندي - على البصرة بعد أن أخذتها من أمير العرب مانع . وكان مانع هذا قد انتزعها من - الجلالية - في إمارة السلطان أحمد بن أويس .

وقد مات دوندي سنة ٨٢٢ هـ فكان استيلاؤها على البصرة سنة ٨٢٠ هـ ١٣١٧ م وقد اقيم ولدها أديس مكانها .

وقد ذكر العزاوي (دوندي) في كتابه تاريخ العراق بين احتلاين ج ٥ ص ٥٥ فقال انها بنت السلطان حسين الجلالي وكان بارعة الجمال ذهبت مع عمها السلطان احمد الى مصر فتزوجها هناك الملك الظاهر برقوق ثم فارقتها فتزوجها ابن عمها شاه ولد بن الشيخ علي بن أويس الذي دبرت (دوندي) في قتله وذلك في سنة ٨١٩ هـ .

وقد ملكت دوندي غير البصرة واسط والحويزة وضربت السكة باسمها في البصرة كما كان يدعى لها على المنابر وفي كل الصلوات .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الدولة الجلالية انقرضت سنة ٨٣٥ هـ ويقال أن الجلاليين ماعوا في البصرة . وخوزستان ولم يعرف لهم أثر علمياً بأن أصلهم من المغول .

ومن حوادث هذا القرن ايضاً انه في شهر شعبان من سنة ٨٣٨ هـ - ١٤٣٤ م
ملك البصرة ابراهيم بن شاه رخ . الذي أراد اولاً العدل ثم انقلب على أهل
البصرة فحدثت معركة بين جنده وأهل المدينة ليلة عيد الفطر وكان نتيجتها انهزام
جيش ابراهيم بعد أن قتل منه عدد كبير .

وكان ابراهيم شاباً جميلاً ويحب الفنون الجميلة ومنها الخط ويقال انه كان
خطاطاً ماهراً وقد جمع حوله الخطاطين وأخذ يشجعهم . مات في رمضان
سنة ٨٣٩ هـ .

ومن حوادث القرن التاسع الهجري ايضاً وفاة ابن دليم محمد بن يوسف بن
احمد بن محمد القرشي الزبيري البصري وكانت وفاته سنة ٨٤٤ هـ .

وقد توجه من البصرة سنة ٨٤٣ هـ الى مكة ثم رحل منها الى طيبة وبقي
مدة وفي طريق عودته الى مكة وفي محل قريب من ساحل جدة توفي هناك وكان
ذلك في شهر ذي القعدة وقد حمل الى مكة ودفن بها .

وابن دليم هذا فقيه متكلم وكان حديثه يمتاز بالتروي والثقة ويقال ان له
بعض التفاسير المخطوطة وقد ضاعت وكان يريد تبييضها في مكة ولكن المنية عاجلته
ومن الحوادث ايضاً وفاة - الحاجة - ملك ابنة محمد بن حسن بن محمد
البصري ويعرف ابوها بالكواز وكانت قد ذهبت الى الحج مرتين وفي الثانية
بتاريخ ليلة الجمعة ١٨ شوال سنة ٨٤٥ هـ توفيت في مكة تحت هدم .

وكانت الحاجة المذكورة كريمة النفس والنسب تعمل للبر والخير متدينة تنفق
من مالها للفقراء والمساكين وعلى خدام بيت الله الحرام .

وكذلك توفي في هذا القرن عطاء بن عبدالعزيز بن عبدالكريم بن عبد الله

ابن الكحال محمد بن سعد الدين محمد بن ابي الفرج بن ابي العباس بن زماخنة
الاديب شجاع الدين ابو حسين بن العز الجلال القحطاني البصري الشافعي الذي
يعرف بابن لوكة .

وسمي بذلك نسبة الى اللوكة وهو القطن الجديد المحلوج الخالي من الشوائب
وقد اشتهرت اسرته بتجارته وكانت البصرة تنبت القطن بكثرة وتتاجر به مع
امارت الخليج العربي وايران وتركيا .

ولد ابن لوكة في البصرة في شهر ربيع الاول سنة ٧٩٤ هـ نشأ بها حيث تعلم
القرآن والفصاحة وكان شعره من النوع الجيد .

وقد سافر الى الحلة وبغداد واجتمع بادبائها وشعرائها كما سافر الى شسترثم
اخذ يتردد على الحجاز واليمن والهند .

ولقد تعرف على الكثيرين من ابناء الهند والجالية العربية الذين أحبوه
وكانت نيته ان يمكث نهائياً في مكة او المدينة ولكنه مات في مدينة كلكتا بالهند
في شوال سنة ٨٦٠ هـ .

ومن الحوادث ايضاً وفاة الشيخ عبد الله البصري وهو ابن عبد الواحد بن
محمد زيد جمال الدين بن زكي الدين الشيرازي الأصل البصري الشافعي .

ولد في البصرة سنة ٨١٩ هـ ونشأ بها وتعلم على ابراهيم بن احمد بن زفرق
وعلى ابنه محمد كما وانه كان يتعلم اللغة الفارسية .

وفي سنة ٨٤٨ هـ قصد مكة حاجاً ثم رجع الى البصرة واصطدم مع المشعشين
الذين كانوا يحتلون المنطقة الكبيرة من جنوب العراق ومنطقة عربستان والحويزة
وقد فر الى مكة سنة ٨٦٣ هـ وهناك اجتمع بعلمائها ورجالها .

وقد ذكره المؤرخون فقالوا انه كان عالماً جليل القدر شاعراً يميل الى الجدل
ولكنه احياناً كان يروي الاحاديث غير المستندة ليدافع بها عن رأيه .
ومن تصانيفه كتاب فتح الرحمن في مسألة دور الضمان كما له بعض الشروح
والتعليق التي لم تستشر كثيراً .

توفي ليلة السبت ١٨ صفر سنة ٨٩٣ هـ عن عمر يبلغ الرابعة والسبعين وقد
دفن بالمعلاة بمكة .

ومن توفي من البصريين في القرن التاسع للهجرة أيضاً ابن زقزق وهو محمد
ابن ابراهيم بن محمد بن احمد البصري وكان ابوه وأخوه محمد من علماء البصرة ايضاً
لقد رحل ابن زقزق الى مكة وسكنها وقد رآه السخاوي في مكة سنة ٨٩٣ هـ
وتحدث عنه . كما وانه سكن المدينة المنورة عدة سنين .

وقد أخذ عنه الشيخ عبدالله البصري صاحب كتاب فتح الرحمن في مسألة
دور الضمان كما ذكره المؤرخون فقالوا انه كان ممن أخذت عنهم القراءات كما
تميز بالعربية والفقهاء .

ومن مؤلفاته شرح الجواهر الذي يقال انه أجاد فيه كل الاجادة .

توفي في شهر رمضان سنة ٨٩٨ هـ - ١٤٩٣ م .

ويقال ان ابن زقزق كان بشعره متأثراً بابن الكبوش البصري وهو عز الدين
عبد السلام بن صالح البصري الشاعر المعروف .

وكان ابن كبوش قد نشأ في البصرة وبرز بها وصارت له مدرسة خاصة
وكان قد سكن في آخر حياته في المدرسة النظامية .

ولم يكن ابن كبوش بالشاعر الأديب فحسب بل كان صناعياً كيماويا وله

قصيدة في رثاء عز الدين عبدالعزيز بن جعفر النيسابوري منها قوله :

يزدحم القول حين امدحه كجوده والوفود تزدحم
كأنما النظم من سهولته ينظمه قبل نظم الكلم

وقد ذكره صاحب كتاب الحوادث الجامعة في ج ٥ وفي عدة صفحات . كما

نسب المؤرخون قوله :

عطا ملك عطاؤك ملك مصر وبعض عبيد دولتك العزيز
تجازي كل ذي ذنب بعفو ومثلك من يجازي أو يجيز

وقد توفي ابن الكبوش سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م ولكن شعره بقي حياً تناقله
الأفواه وقد حدثني أحدهم بان العلامة محمد الامين الشنقيطي المتوفى في الزبير في
١٤ جمادى الثانية سنة ١٩٣٢ م - ١٣٥١ هـ والشيخ محمد بن عبد الله العوجان
المتوفى في جمادى الاولى سنة ١٩٢٤ م - ١٣٤٢ هـ كانا من الذين تأثروا بشعر
وأدب ابن كبوش الذي بدوره كان قد تأثر به ابن لوكه وهناك العدد الكثير
من أدباء وعلماء وشعراء البصرة الذين كانوا قد تأثروا بهذا البصري الكبير .

لاعب الشطرنج البصري العالمي :

هو حماد الاعمى البصري من مواليد نهاية القرن التاسع للهجرة قيل انه ولد
سنة ٨٩٠ هـ أو بعدها أو قبلها بسنتين وقد تربى في البصرة وفقد بصره وهو في
العقد الثالث وكان قبل ذلك من اشهر لاعبي الشطرنج في البصرة والعراق ولكنه
عندما فقد بصره زادت فيه حذاقة اللعب فقد ذهب الى الشام سنة ٨٩٣٦ هـ ونزل
بالبادرائية ولما علم به لاعبوا دمشق اجتمعوا به - وتراهنوا - معه فغلبهم جميعاً .
ولقد علم به لاعبوا الحجاز ومصر فقدموا دمشق وتراهنوا معه بعد أن قرر

أن يلعب مع خمسة لاعبين منهم دفعة واحدة وعلى خمس رقع وقد ظلب
اللاعبين الخمسة .

ومما تجدر الإشارة اليه انه قبل أن يفقد بصره كان يلعب مع أي لاعب
ماهر على أن تربط عينيه ربطاً محكماً ومع ذلك فكانت الغلبة له .

وقد كتب ابن الفرات الناصر للدين محمد بن عبدالرحيم في الجزء الاول
ص ١٩١ من المجلد الرابع من تاريخ ابن الفرات وفي حوادث سنة سبع وستين
وخمسةائة حادثة حول رجل غني كان له ولد يلعب القمار وكان كثيراً ما يضطر
الى التجاوز على أموال والده والتعاسر عليها ولكن والده كان يحبه ولذا فهو
لا يريد ان يؤلمه ولكن الوالد لما أحس بالوفاة وعلم ان هذا الولد لا بد وانه
سيخسر جميع أموال والده فلذا نصحه على انه بعد موته اذا اراد أن يلعب
القمار فليلعب مع أحذق الناس بهذه اللعبة .

واقدمت الرجل الغني وكان يعيش في دمشق وأخذ ولده بالوصية وسأل
عن أحذق لاعب قمار فقيل له انه بالكرخ فقدم بغداد والتقى بالرجل وأخبره
بالقصة فقال له الرجل اذا فليكن لعبك مع استاذي بمدينة واسط واعطاه عنوانه
فقصده الغلام واسط والتقى بالرجل وقص عليه القصة فقال له اذا فليكن لعبك مع
استاذ الجميع وهو في البصرة لان البصرة مدينة الملاهي والتردد والشطرنج ولعب
القمار ومجالس الشباب .

ولقد التقى الغلام باللاعب البصري الذي وجدته يشتغل عاملاً يوقد النار
للحمامات وهو في حالة رديئة وعيشة ضنكا .

وقد اخذه اللاعب البصري الى بيته الذي وجدته في حالة سيئة ثم اخذ

يعظه ويقول له يا ولدي أنا أعظم لاعب قمار في الدنيا وأحذق من عرف بهذه
اللعبة ومع ذلك هذه حالتي وان والدك أراد أن يعطيك درساً بعاقبة اللاعبين
وانك ستكون مثلي توقد نيران الحمامات .

وفي الحقيقة ان الحياة البصرية لم تفقد روعتها ومجالسها سواء آ كان في العهد
الصفوي الذي ابتدأ من سنة ٩١٤ هـ وانتهى سنة ٩٤١ هـ أم في عهد حاكم واسط
ابن شنكا الذي استولى على البصرة سنة ٥٦١ هـ بعد أن كان قد هاجمها قبل
ذلك سنة ٥٥٤ هـ زمن الوالي كشتكين .

والى عهد قريب وقيل حتى في نهاية الحكم العثماني للبصرة سنة ١٩١٤ م
١٣٣٣ هـ كانت هناك عدة محلات وبيوت داخل المدينة وخارجها للانس والطرب
كانت تتخللها موائد لعب القمار على انواعه من شطرنج وورق ونرد ودومنا
ومحيس ومنقلة ومربعة التي كان يسميها البعض - صبت - كما هناك الرهان على
الخيول والكلاب والديكة والبزاة والصقور والابلام والقوارب والسباحة
والفطس وغير ذلك من أنواع الالعب التي كان يتراهن عليها الناس ويخسرون
الاموال وهي في ذلك تارة كنوع من التسلية لهم وتارة طلباً للربح والمال .

فهرس الجزء الاول منه كتاب البصرة في الفترة المظلمة

	صفحة
المقدمة	٣
كلمة الناشر	٧
البصرة : معنى البصرة وتأسيسها	٨
تجارة البصرة مع تطور الزمن	١٣
<p>ماذا قال عنها الرحالة ، صكوك البصرة ومصارفها قبل الف سنة أول باخرة رست في شط العرب ، أول تاجر اشترى الصوف العراقي وصدره عن طريق البصرة .</p>	
البصرة قبة الدنيا : اول سايلو واول برج مراقبة يؤسسان في البصرة سنة ٥٢٠ هـ ، اسالة الماء قبل ١٢٠٠ سنة في البصرة ، وزارة النفط في البصرة اول مدرسة طب ومختبر حيواني ، مصانع ضرب وصهر المعادن ، من هو الباليوز ، البواخر ترسو في شط العرب ، البصريون يرفلون في الحضارة آل رزق من تجار البصرة ، اول رئيس غرفة تجارة في العهد العثماني والعهد الوطني .	٢٢
البصرة حاضرة تجارية زراعية :	٣٨
<p>كم كانت تبعد المدن التجارية العالمية عن البصرة ، ما هي طرق المواصلات في البصرة ، من الذي شق طريق بصرة - عشار ، وماذا تعرف عن السراجي والزبير والقرنة ، لماذا سميت الفاو ، وفي اي دقيقة احتلها الانكليز ، كم عدد جزر شط العرب ، ومن كان يحب الثمن البصري .</p>	

٥٤ صفحات من حياة البصرة في الفترة المظلمة :

الوقية الباذنجان والشجر بفلس وحقبة المشمش بفلسين ، وسائط النقل على الخيل والحير والابلام العشارية والنصارية، أسماء البواخر النهرية والبحرية التي كانت ترسو في شط العرب، طابع البريد من البصرة الى بومبي وقيمتها سنة ١٨٦٣ م ، العملة من البارة والمجدي والباي وكيف كانت رسوم الكرك ، متى اشترى المسافر ١٥ بيضة بعشرين فلساً .

٧١ البصرة في ٤٠٠ سنة :

صفحات من الفترة المظلمة، البصرة تقاوم الطاعون والقحط والجراد والثلوج ابو ذويل اكبر مذنب يظهر في سماء البصرة وهو على شكل سيف ، متى عرفت البصرة التطعيم بالثوم وان التمر لا يحمل مكروب الطاعون ، اول جمعيات تعاونية وفلاحية تأسست في البصرة ، متى صدر اول نظام طابو ونظام اراضي وهل طبقا حرفيا في البصرة ، اول انتخاب يجري لمختاري البصرة مع نموذج برقية قاضي الشرطة .

٩٠ البصرة أيام زمان :

كم مساحة لواء البصرة ونفوسها حسب تعداد سنة ١٩٢٣-١٩٤١-١٩٦٥ عدد الجاموس والتمم والبقر والخيل في البصرة والحليب يوزع في الطرقات، اول مكلمة برقيه بين البصرة وبنغداد واول (قابلو) يجري بين الهند والبصرة ، الحالة المعاشية في مدة خمسة قرون عندما كانت وقية السكر بقرشين ، رحلات من البصرة الى بغداد والهند ومكة ثم اكتيال البدو

الطحين ، الوقية بـ ١٤ فلساً (الوقية ٣ كيلوات) .

١٠٧ بحاث بصرية :

علاقة البر تغال والهولنديين والانكليز والمساقطة التجارية بالبصرة ، الملابس البصرية من دشداشة والمزوية ثم القلانيس والسرواويل المزركشة ، احياء نهر الحجاج يحيي خمسين الف ايكر من الاراضي الزراعية في البصرة ، تاريخ تأسيس أهم الشركات التجارية الوطنية والاجنبية في البصرة ، فلس بصري قديم عليه صورة نخلة تشبه العملة العراقية الجديدة .

١٢٦ البصرة كتبت تاريخ الحضارة :

ماذا تعرف عن ام قصر وتاريخها ، ما عدد الجرائد التي كانت تصدر في البصرة أيام العهد العثماني مع اسماء محرريها ، معلومات عن تاريخ الصيرفة والشركات التجارية في البصرة ، هل كانت في البصرة محاكم قبل العهد الوطني سنة ١٩٢١ ، وما هي درجاتها .

١٤٦ البصرة في العهد العثماني :

نظام التبعات خاص بالبصرة فقط فمتى وجد ، متى دخلت شط العرب اكبر حوت و كان طول ذيلها ١٢ قدما ، عصابة في العهد العثماني زيفت النقود في البصرة ، وفاة شخصيات كبيرة في البصرة جلهم من العلماء والفضلاء ، الاراضي الاميرية وكيف كان يصادها السلطان عبد الحميد ، مباحث نشرتها جرائد الرقيب والتهذيب والزوراء والجوائب في العهد العثماني

١٦٥ اعرف البصرة في تاريخ الفترة المظلمة :

سواح زاروا البصرة في القرن التاسع عشر فماذا قال عنها الرحالة بكنغهام
متى ظهر في البصرة حصان مجنح فسماه الناس بالبراق ، من هي شجرة در
البصرة ، اعظم لاعب شطرنج دولي كان من البصرة ، اعرف كوت
الافرنكي و كوت السيد، بعض حوادث البصرة في القرن التاسع الهجري .



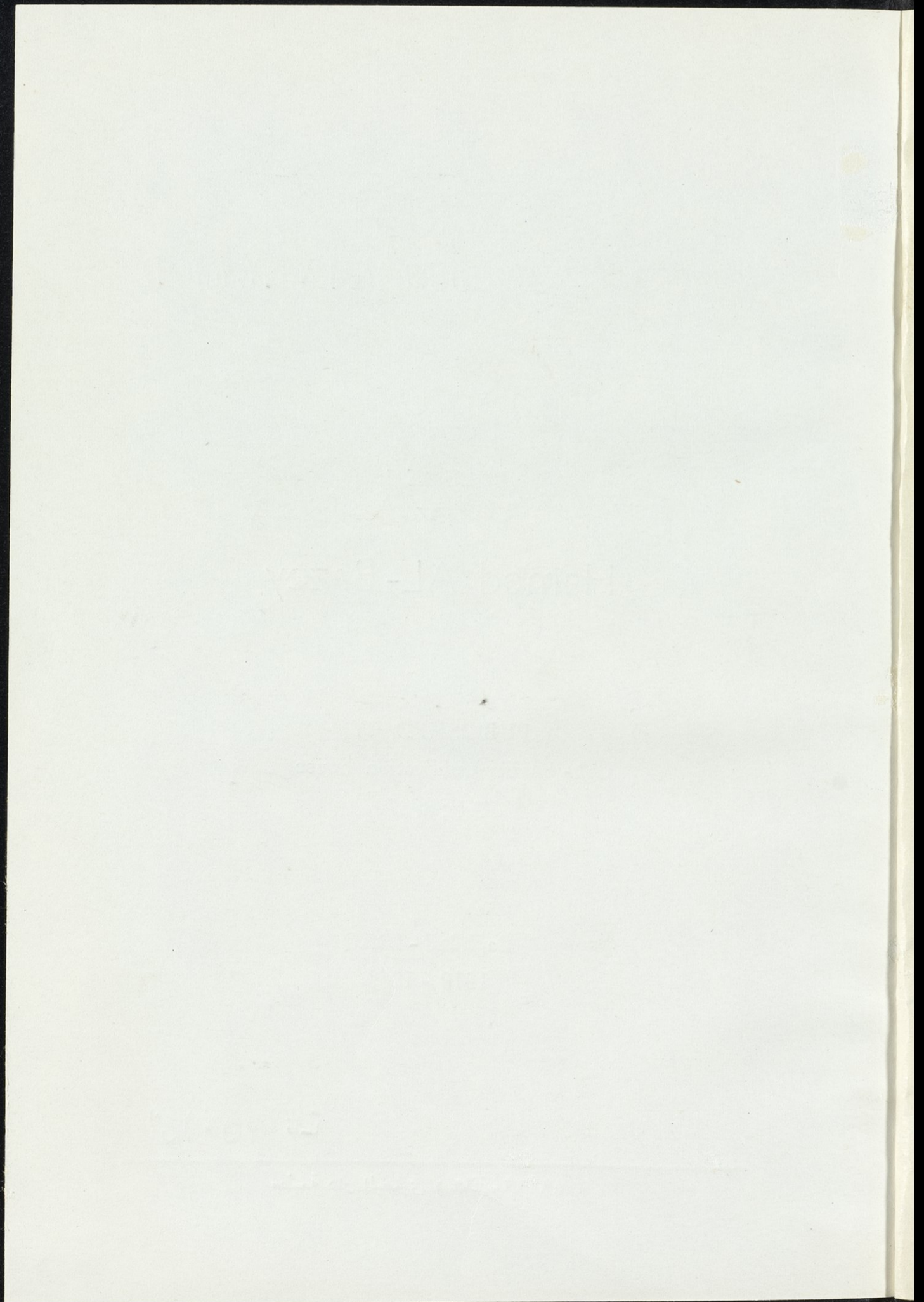
﴿ احد مناظر تداية النخيل في البصرة ﴾

فهرس الصور

قشلة البصرة سنة ١٩٠٦ م	١٢
منظر داخل مدينة البصرة	١٦
منظر بصري اخذ سنة ١٩٢٥	٣٧
جسر بصري قديم	٥٣
بيت بصري قديم	٦٤
البصرة سنة ١٩١٤ م	٨٠
مقبرة السيد احمد الرفاعي	٨٩
صبري افندي صندوق أمين البصرة	٩٢
السيد طالب باشا النقيب	١٠٤
منظر بصري اخذ سنة ١٩١٥	١١٢
مدرسة ياد گار حریت (تذكار الحرية) في سنة ١٩٠٨ م	١٢٩
الشيخ صالح باش اعيان والمهامي عمر فوزي	١٣١
محمد نجيب المشراقي	١٣٢
عبد الوهاب الطباطبائي	١٣٣
منظر تخطيطي للنخيل المعمرة في البصرة	١٤٥
خارطة البصرة عند زيارة الرحالة بكنغهام	١٧٧
منظر تدلي النخلة	١٩١

انتهى طبع الجزء الأول من هذا الكتاب

في مطبعة دار البصري ٣ / ٢٠٠٠ / ١٥ / ٢ / ١٩٧٠



BASRAH
DURING THE OTTOMAN PERIOD

VOLUME 1

BY

Hamed AL-Bazey

PUBLISHED BY

AL-Basri's publication house

Tel ; 89279

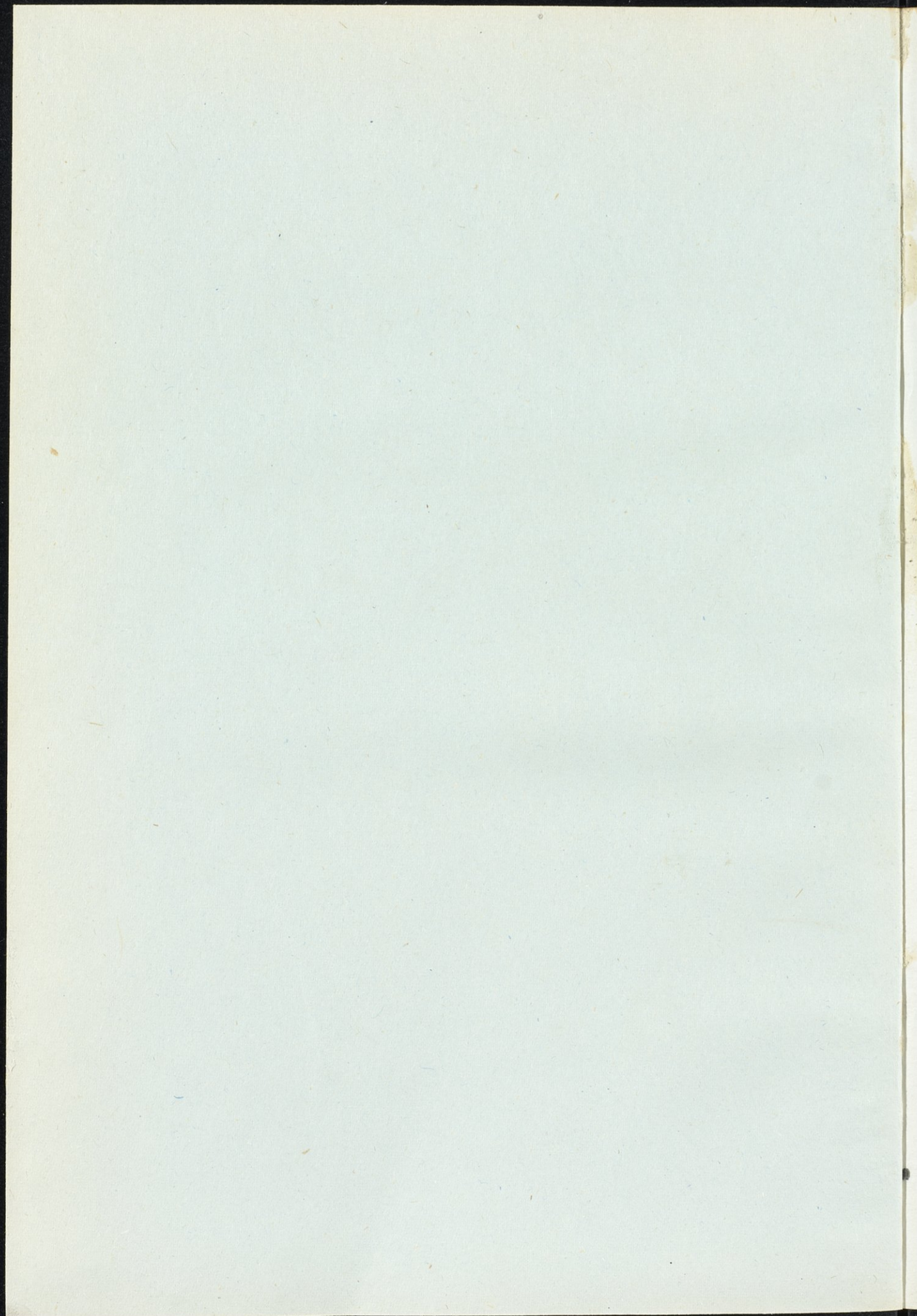
Baghdad - IRAQ

1970 - 1389

PRICE 250 FILS

الثن (٢٥٠) فلساً

مطبعة دار البصري (هاتف ٨٩٢٧٩)



Cornell University Library

DS 79.9.B3B38
v.1

Basrah fi al-fatrah al-muzlimah.



3 1924 028 565 590

olin

